b a k e r   a b u   b a k e r

بكر ابو بكر

الثبات: النواة الصلبة والوطنية والقطار العربي



الأمين

الثبات: النواة الصلبة
والوطنية والقطار العربي

الثبات: النواة الصلبة

والوطنية والقطار العربي

بكر أبو بكر/مؤلف من فلسطين

الطبعة العربية الأولى 2020

دار الأمين للنشر والتوزيع



رام الله فلسطين

وطنية 970568549769+

جوال 970599649769+

e: mail: daralamin2010@gmail. com

تصميم الغلاف: رامي قبج



المونتاج الفني: دار البيرق العربي

الثبات: النواة الصلبة
والوطنية والقطار العربي

بكر أبو بكر

مقدمة:

كان من المقدر أن تكون كل واحدة من المواضيع أو المحاضرات الثلاث على حدة كتابًا منفصلاً، إلا أن الحوارات مع الأخوة والأخوات الكرام الذين أسهموا في البناء والنقد أدت إلى أن اقترح أكثرهم أن تكون هذه المحاضرات كتابًا واحدا في ثلاثة أبواب أو ثلاثة كتب في سفر واحد.

ولما كانت المواضيع ذات صبغة نظرية فكرية تمهّد للحفر وللبناء المتواصل في الشخصية النهضوية العربية ومنها الفلسطينية بالتخصيص، لما لقضية فلسطين من مركزية الجمع ومركزية التواصل ومركزية الربط، فإن إمكانية الربط بين المواضيع الثلاثة تظهر جلية ولازمة.

بناء على ما سبق آثرنا أن يكون هذا الكتاب مكونًا من كتبنا الثلاثة أو محاضراتنا الثلاث في حقيقة الأمر، ما يمكّن من حسن الاطلاع والنقد والإبداع.

بكر أبو بكر

-الثبات: النواة الصلبة والوطنية والقطار العربي-

الباب الأول

في الوعي
بين الفكر والتنظيم

الفصل الأول:

في الفكر والتنظيم، ومعادلة النصر.

في الفكر والتنظيم، ومعادلة النصر.

هل تُقاس صوابية الفكرة بمقدار عدد من يتبناها فيُمارسها؟ أم تقاس صوابية الفكرة بمقدار من يؤمنون بها فقط حتى لو لم يمارسوها؟ أم تقاس صوابيتها من ذاتها؟ ومضمونها، أم من مقدار تأثيرها إيجابا أم سلبًا في الناس والجماهير؟

بمعنى آخر هل انتشار الفكرة أي فكرة هو حكمٌ على صحتها أو مصداقيتها؟

قد تجد من الإجابات بين النعم واللا الكثير، ولكن النظر بمقياس التناظر التناقضي لا يصدق في كثير من الحالات كما حالنا هنا.

الفكرة بمعنى أنها: عملية صراع أو حوار بين مجموعة مواد أو أفكار سابقة ولاحقة في الذهن، أو باعتبارها وليدة أفكار جديدة أو متخلقة عن الأولية نتاجا لصراع يؤدي لانتزاع فكرة ضمن جهد عقلي شاق هي نتاج عقلي لمكوّن عقلي قد يكون مرتبطًا بالواقع، أو سليل خيال أو إيمان غيبيّ.

الفكرة بين الجماهيرية والصواب!

المكوّن العقلي الأول أو المادة الأولية أو الفكرة الأولية تمثّل ما استقر في ذهن الإنسان من الصغر، في اللاوعي، أو في مراحل من حياته وارتباطاته تلك التي صنعت فيه المرجعية الفكرية أو محرّك القرار، أو مرجعية القيم والأسس الحاكمة لطريقة إنتاج الفكرة لديه.

قد يكون المنهج المتبلور عبر السنوات والتجارب، أو عبر الدراسة والثقافة قد تكوّن وتشكّل في الإنسان ليحدد مسار الانتزاع أو النجاح

في عملية صراع الأفكار، لذا فإن امتلاك الفكرة الأولية التي قد تُختزن في اللاوعي يقابلها امتلاك المنهج الذي يكون الإنسان به بصيراً فيتمازجان معًا في عملية القدرة على إنتاج الفكرة الجديدة.

الفكرة الجديدة قد تكون مقبولة أو مرفوضة، ما يدخل بها هنا قيم وعادات المجتمع أو ثقافات مختلفة أو مقدار واقعيتها أو خياليتها، أو قد تراها مقبولة لمن يمتلك أدوات البحث أو حسب منهجَهُ المنفتح أو المنغلق، وتكون الفكرة غير مقبولة-خاصة غير فكرته- لمن لا يتنسّم عبير الحرية ولا يفهم معنى التنوع والتعدّد بمنطق الحوار الديمقراطي.

الفكرة قابلة للعيش عبر الزمن، وقابلة للنجاة من الخذلان أو الذوبان أو الإهمال متى ما استطاع شخص أو فئة قوية، وتمتلك أدوات النشر وقدرة التبشير تحقيق التأثير في الآخرين عقليا وميدانيا معًا.

إن فكرة صحيحة (أوغير صحيحة من زاوية نظر أخرى) تدوم ما توفّرت لها عوامل الإيمان، والنموّ الحر، والنشر من شخص مؤهل أو مجموعة، فتصبح رائجة ومنتشرة ومتبناة، ولم يكن يوما الرواج (الجماهيرية) فقط للفكرة دلالة نجاحها أو مثاليتها أو صِحتها، بالطبع استنادا لمرجعيتنا العقلية التي تشكل المقياس والحكم.

موضوعة الفكرة الصحيحة والخاطئة باعتقادي تنطلق بالتحديد من المخزون الثقافي والمرجعية العقلية للشخص.

وفي الإطار الوطني الفلسطيني فمن المفترض لمرجعية أي فكرة (سياسية، أو غيرها) أن ترتبط بالهدف العظيم وهو تحرير فلسطين العربية، وبذا يصبح مبدأ التحرير مرجعية قِيمية (مبدئية وأخلاقية) يتم الحكم بالرجوع لها لمدى صلاحية أي فكرة أخرى.

لا يجب التقليل من أهمية التربية والتثقيف والتدريب هنا لتحقيق الإيمان والاكتساب **للمبدأ أو الركيزة الحاكمة، مع امتلاك المنهج العقلي.**

الركيزة أو المبدأ تمدّ المنهج بالمرجعية، واختلاف المرجعيات قد يكون مفتاح تقبّل وانفتاح حين التعددية في إطار الاتفاق على الغاية المركزية/الركيزة، وقد يكون باب انقطاع وعداء حين تتشبث المرجعية بمنطقها الإقصائي لما غيرها فيحدث التباعد والتنابذ.

الفكرة الثابتة تتحول إلى مبدأ، وحين يتم التمسك بها دون أي إمكانية تجديد تتحول إلى فكرانية (أيديولوجية) متطرفة، وعندما تصبح الأيديولوجية بمنطقها الإقصائي مبدأ ومرجعية تدخل مرحلة منهج الفسطاطين أو المعسكرين المتناقضين: أنا أو هُم، فلا ترى عبرها إلا اللونين (الأسود والأبيض فقط) وتبدو كل الألوان الأخرى وكأنها تنويعات على وتر التناقض.

الفكرة إما أن تكون ضعيفة بضعف حامليها، متذبذبة، أو قوية بواحد أو أكثر من عوامل قوتهم العقلية أو الروحية أو التأثيرية الاتصالية (القدوة)، أو بمدى تطبيقها بالميدان.

وأيضا لا تعني قوّة الفكرة وتأثيرها صحتها أو صحتها المطلقة أي إلى الأبد إلا إذا ارتبطت بتبدل العيون مع اختلاف الأزمان، وما يتبادل معا اختلاف مناهج البحث وطرائق النظر.

صحة الفكرة ترتبط بالمرجعية، أيٍّ كانت، والتي تتحول لمقياس قضائي[1] إما صح مطلق أو خطأ مطلق، وقد ترتبط بمقياسها الفلسفي

1- من مناهج التفكير حسب خالد الحسن منهج التفكير القضائي الذي يحكم على الفكرة من منظور القاضي الذي يقر الصواب أم الخطأ، وهو نموذج إلى جانب المقياس أو منهج النظر الفلسفي والثالث الماضوي والرابع الواقعي السياسي.

الشمولي، وقد تُفهَم الفكرة بمرجعية أو بمنطق التغيير هنا فتتدفق في إطار التجدد لتكون قادرة على الحياة والتطور والنمو.

جماهيرية الفكرة أي فكرة ليست دلالة ولا هي حُجّة على صحتها، ولاسيما صحتها المطلقة، إلا بمقدار الوعي بالمرجعية وقدرة الفكرة على خدمة الثقافة وخدمة الفكر العام وخدمة الجماهير.

صلابة الفكرة

قد تكون الفكرة ضعيفة بذاتها، فتحتاج لإثراء وإغناء وتَفَكّر جديد، وقد تكون قوية بذاتها وتحتاج لإيمان وتبنّي ونشر، ولكن في حالة الإيمان بالفكرة يجب ألا يتم الاكتفاء بالإيمان لوحده وإلا لكان مصيرها حين الاستقرار بالذهن دون العمل في سلّة القمامة العقلية أو في مزبلة التاريخ.

أن الإيمان بأي فكرة تعتقد أنها صحيحة، يفترض معادلة ثلاثية مكونة من

أولاً: **التبني** لها بأن تصبح منهجًا أو تصبح فاتحة للأفكار الجديدة ومجال حوارها، أو سِجالها.

وثانيًا: أن **ننشرها** نحن، وندعو لها، إذ بدون دعوة ودُعاة ومبشرين واستقطاب تظلّ الفكرة تراوح في رأسي أو رأسك أو في أدراج المكاتب أو في كُتب التاريخ المهملة.

وتأتي المرحلة الثالثة المتعلقة بالفكرة وهي مرحلة التبنِّي التي قد تظهر في ذات الشخص عبر **القدوة**، وقد تظهر عبر المؤسسة أو التنظيم عبر التطبيق من خلال إدراجها ضمن فكر وثقافة وحياة التنظيم السياسي (أو غير السياسي) في كافة وسائل

عمله عبر آليات: الاجتماع الدوري وعبر التقارير وعبر اللقاءات التنظيمية وعبر اللقاءات التثقيفية غير المنقطعة وفي الدورات، وفي مسار العلاقة مع الجماهير.

الفكرة الضعيفة أو المتذبذبة بمعنى تلك التي لا تستطيع الصمود أمام غيرها قد يكون مصدر ضعفها من ذاتها، وقد تكون لقصور فظيع في حامليها، قصور في الاستقطاب أو ضعف في القدرات على الإقناع أو التأثير، وربما لضعف الإيمان والتشكّك أصلا، أو للنظر في المساحة الواسعة بينها أي بين الفكرة (النظرية) والتطبيق التي تجعل من الفكرة في ذهن الشخص تتراوح بين الأيمان وبين التذبذب.

ومن هنا ننطلق لضرورة تصليب حَمَلة مشاعل النور (الفكرة) أولًا ليستطيعوا أن يُشِعّوا بها إلى الآخرين، ولا قيمة لِمشعل لا يضيء، إذ أنه عبر استعداده لتقبل النار يحولّها بحركتنا (التبني) إلى نور يضيء للآخرين.

إن صلابة الفكرة بمنطق التأثير هي بمقدار صلابة المؤمنين بها، الذين يستطيعون تطويقها بجدران من حديد الإقناع والحُجج والتأثير، فتكون حقيقة الصلابة في الناس والتبني، وليس ذات الفكرة لوحدها باعتقادي، لأن المقياس المحدّد لصلابة الفكرة إما مدى ارتباطها بالمرجعية العقلية أو مدى قدرة الحُكم عليها وفي الحالتين فهذه قدرة إنسانية قابلة للتعلم والتطوير والتنمية.

النواةُ الصلبةُ والدوائر وخوض الصراعات

يحيطُ بالكيان سواء أكان كيانًا بشريا، إنسان، أو كيانًا سياسيا أو اقتصاديا... (منظمة، تنظيم، جماعة)...الخ مجموعة من الدوائر تلك

القريبة منها، سندًا ودعما وحماية، والأخرى البعيدة.

وكلما اقتربت الدائرة كلما كان تأثيرها على المركز أكبر، ومن هنا فإن مسعى الجاهل أو الأحمق أو الانتهازي هو تفجير الدوائر، أو نقل مكونات الدوائر البعيدة منها إلى الأبعد، والقريبة إلى البعيد.

فكرةُ تدمير المركز تأتي سواء بأفعال مهدّفة أو أفعال طائشة، بينما الحكمة تقتضي تغليظ حدود الدائرة القريبة والعمل على توسيع نصف قطرها لما لها من جدار حماية متين للمركز.

المركز-مركز الدائرة قد يكون أنا، أو نحن، أو الكيان مثل المؤسسة أو البلد أو الأمة، وهنا يهمنا في هذه المعادلة فلسطين.

في قاعدة تكثيف العناصر الداخلة في نطاق الدائرة الأولى القريبة، لا يعني المرور بحالة رياضية تقرّب أو تبعد كما الحال مع واحد زائد واحد، وإنما تعني خوض الصراع الداخلي، والخارجي.

إذ أنه بقدر ما يجب فهم الآخر، وطريقة التعامل معه، ضمن رؤية واضحة للهدف وديمومة النضال وتعدّد وسائله بقدر ما قد نتمكن من جلبِه وتقريبه لدائرتنا، أو الدائرة الثانية وهكذا.

تمثل الثوابت الفكرية (الأهداف) عوامل غير قابلة للتغيير في المرحلة، فالثورة أو النضال يفترض وجود نواة بشرية صلبة مؤمنة بالفكرة والهدف والوسيلة وتنشر وتدعو وتدافع عن ذلك.

النواة الصلبة من مهامها توسيع الدائرة حول الفكرة وتغليظها، وحول الهدف وحول القضية المركزية، بخوضها النضال بكافة أشكاله.

نحن نخوضُ نضالات على مستويات عدة، فنحن نخوض النضال (الجهاد) الذاتي التغييري في النفس، والنضال في المحيط سواء المحيط القريب بنا أو البعيد، والنضال الأكبر ضد العدو الرئيس.

أن خوضي نضالي الذاتي بتغيير طبيعة شحنات عواطفي اليائسة، أو بتغيير أفكاري القاتمة أو السلبية أو البائسة بجرعات الإرادة المنفتحة على الأمل المفعَم بالإيمان هو قرار ذاتي قابل للشحن والشحذ والتمرين على حجر الوعي الذي يجعل من قضية الصراع بأبعاده المختلفة وعيًا أوليًا لا يمكن الاجتياز للعقبات أو العبور للشط الآمن بدونِه.

أن الصراع لكي يحقق الهدف يحتاج لصراع وصراعات، وكل نتيجة تتحقق من صراع يكون في بطنها بذور صراع جديد، ومن هنا فإن معادلة الصراع تظهر كأنها متوالية لا تتوقف.

تأتي هنا قضية الثابت والمتغير، فمتى كان فهمنا لمتغير الصراع واضحًا يصبح «متغير» الصراع هو الثابت، وتصبح مجموعة من الأركان الداعمة لهذا الفهم ضرورة.

التنبّه وثوابت الفكر النضالي

من ثوابت الفكر الثوري العربي الفلسطيني هو تكثيف النقاط الداخلة في نطاق الدائرة الأولى والدائرة الأولى هي الدائرة المحيطة بنا أي المحيطة بالمركز، وعدم إلقاء المخالفين في البحر الواسع البعيد عن دوائرنا الثلاث الرئيسة، وإنما خوض الصراع معهم وبهم، بما يعيد الضم للدائرة الأقرب، فالنصر يتأتى من معادلة الإيمان والعمل والدعم والإسناد من هذه الدوائر-على اختلاف درجة تأثيرها ومستوى دعمها- بلا أدنى شك.

إن الدوائر المحيطة بالقضية الفلسطينية كمركز تنبّه للوعي القومي ولأحرار العالم، والوعي الحضاري، والوعي الوجودي، والوعي

التحرري ترتبط بفكرة النضالية والرسالية والديمومة والثورة حتى تحقيق النصر.

إن كانت دائرتنا {الجماهيرية} الأولى في السياق النضالي التحرري لفلسطين، هي الجماهير الفلسطينية المتحلّقة نحو الفكرة، فكرة التحرر من الاحتلال والاستعمار والنكوص الذاتي، نحو مركز التنَبّه نحو فلسطين، فأننا بأمسّ الحاجة لجعل الدائرة متينة، ثم تتسع لتتحول الدائرة الثانية وهي دائرة الجماهير العربية بمثل الدائرة الأولى متانة، لأن الأمة المرتبطة بنا جغرافيًا وبشريًا ولغويًا وتاريخيًا وحضاريًا واقتصاديًا وثقافيًا ودينيا (المسلمون والمسيحيون في دائرتنا العربية)، هي الجدار الحامي، وهي الحاضنة ما ثبت بحقائق التاريخ القديم، والحديث منذ النكبة عام 1948م. ثم يلحقها الدائرة الثالثة الممثلة بجماهير الدول الإسلامية الأخرى، وأحرار العالم المؤمنين بالحق والعدل والتقدمية.

الدائرة {الفكرية} الأولى لا تقف عند حدود الجنسية، بقدر ما تتصل بجميع أحرار العالم الذين يؤمنون بفكرة فلسطين والحق الفلسطيني والنضالية الفلسطينية بغض النظر عن دين أو جنسية الشخص، لأن الارتباط هنا في مفهوم الدوائر ارتباطٌ فكريٌ وحقوقي، وفي الحد الأدنى سياسي مصلحي، يرى بالعدالة المتحققة في فلسطين (حين تحققها) مكسبًا له كما هي دعم لنا.

وبغض النظر عن حجم التأييد هذا إن كان من المستوى الأول (الدائرة الأولى) سواء فُهمت أنها تحرير فلسطين وإقامة الدولة الديمقراطية لكل سكانها من مسلمين ومسيحيين ويهود، أو فُهمت استقلال دولة فلسطين على حدود 1967 فأننا نحتاج للفئتين في سياق الصراع الفكري، وصراع الرواية، ضمن الدائرة الأولي ما بين الهدفين وما

بين الأولوية أو فكرة المرحلية بمعنى صحة فكرة أن هذه تؤدي لتلك.

مركز التنبّه الأساس أيضا هنا، ومنطلق الصراع الوجودي الرئيسي هو وضوح الرؤية بطبيعة العدو الرئيسي، الذي لا يتغير –وهو في حالتنا الاحتلال الاستعماري الإحلالي الصهيوني-مهما قام الخصوم أو المتناقضون الثانويون أو الانعزاليون بحرف المسار، كما حصل في مراحل كثيرة من عمر الثورة الفلسطينية.

في مراحل عِدة قام النظام السوري أو النظام العراقي أو النظام المصري أو النظام الليبي أو غيرها من الأنظمة العربية، بحرف الثورة والمسيرة عن مركز التنّبه، وعن تناقضها الرئيس مرات عديدة، ولكنها -أي تلك الأنظمة جميعا- لم تكن في تلك الفترات لتمثل بالنسبة لنا إلا التناقض الثانوي، مهما بدا حينها عملاقًا من القذارة يغطي لوح الشمس، ومهما بدا أولوية في لحظات الصراع الشديد.

يصدق ذات الأمر اليوم (منذ عام الكورونا، وصفعة «ترامب-نتنياهو» والتطبيع المجاني 2020م)، لنرى هرولة أشخاص وأنظمة عربية انعزالية ضعيفة تتفلت من عروبتها ومنطق قوتها منطلِقة كالطريدة نحو حتفها، نحو التتبيع للصهيو-أمريكي في وهم التعاون الاقتصادي وجلب السلام! الذي ما هو إلا السقوط في فخ الاستعمارية والهيمنة والتمدد الصهيوني.

معادلة النصر

في مركز التنبّه للقضية يفترض الوعي أن معادلة النصر تأتي بالتضحية والإيمان معًا، فبدون تضحية بالوقت والجُهد والعطاء والمال والنفس فلا نصر أبدًا.

بدون إيمان بالله سبحانه وتعالى، ونصره الأكيد ضمن شرائطه، وبدون إيمان لا يتزعزع بحقّنا التاريخي والقانوني منذ الأزل، وروايتنا الحقيقية والأصيلة، وبدون أيمان بالعدالة والديمومة، وبقدرة شعبنا الجبارة تضمحل الأهـداف وتنتحر الشخصية الوطنية والعربية الجامعة أو تتساقط على درب المغريات والامتيازات فتصبح عالَة على الثورة أو خنجرًا في ظهرها.

إن مركز التنبّه في الدائرة أيضا يفترض العمل بلا كلل بالمطلق لقضية فلسطين، التي هي دون سواها تشكّل مركز التنبّه لنا، في العقل، وفي الروح، وروح الأمة لا تشيخ ولا تموت.

ومركز التنبّه في ذات الأمة الواحدة، ومركز التنبّه في مجال الحركة التي يجب ألا تهدا من قِبَلي، وقِبَلك، ومن قِبَل من أُسخّر نفسي لتكثير أعدادهم ليكونوا مثلي من دُعاة المركز، والدائرة الأولى (جماهيريا وفكريا ورِساليًا ونضاليًا) حول مركز التنبّه ممثلا بفلسطين.

الأمة نحـو الـدائرة الأولـى دومًا

فلسطين عبر التاريخ لم تقُم لها قائمة إلا بتحالفات الداخل مع تحالفات المحيط العربي والإسلامي دائرة دائرة، وهذا ما كان من شأن كل حروبها التحرّرية المعروفة، أو غير المعروفة حديثًا مثل التحالف الفلسطيني المصري الذي أقامه ظاهر العمر الزيداني في القرن الثامن عشر فأنشأ أول دولة فلسطينية في العصر الحديث.

لم يكن النَفَس العروبي والإسلامي في منطقتنا عنصريًا، وإنما هو حاجة تاريخية حضارية ثقافية ترتبط بالدائرة الأولى، التي تضم وحدة اللسان، وما يرتبط بها من ثقافة وحضارة أمة أسعدها الله بنعمة

التوحيد ما بين المسيحيين والمسلمين، وما الدوائر الأخرى المنبثقة عنها من شعوب أو قوميات إلا توسعة هامة لهذه الدائرة، وليس حلولًا في مكانها أبدًا.

الدائرة الأولى حول القضية الفلسطينية التي تُشكلُ الثابت الأصيل هو محور التمسك بالقضية والإيمان بقدسيتها وعدالتها وتحرير فلسطين ضمن شعار العرب الفلسطينيين الخالد ثورة حتى النصر.

إنه النصر الذي من أبرز مقوّماته الإيمان والعمل والوحدة الداخلية، وإن تعددت الآراء فالوحدة المطلوبة هي وحدة الارتباط بفلسطين، ووحدة الارتباط بالتحرير ووِحدة الارتباط بالإطار الجامع الذي استطاعت الثورة الفلسطينية أن تشكّله من خلال منظمة التحرير الفلسطينية، لذا كان في الثورة الفلسطينية حتى ضمن الدائرة الفكرية النضالية الأولى مختلف القوميات والأديان والمذاهب الفكرية.

في هذا التنوّع المحمود حول الهدف تكون الدائرة الأولى حول المركز قد اتخذت هيئتها، ومن يحاول أن يُسقط الدائرة أو يفجرها فهو قطعًا خارج عن الصف والهيئة ومجال التنبّه.

وفي الدائرة الثانية مرتكز أصيل وحائط لا يمكن الاندفاع دون الاستناد له، فإن لم يكن الحائط الثاني (الجماهيري) صلبًا ومؤيدا وداعمًا -حتى على ركاكة أو ضعف أو عدم اكتمال الدعم منه- فنحن في حالة الاستفراد والتخلي التي معها نضطر لخوض النضال تحت شعار «يا وحدنا»[2] الذي كلما ابتعدنا عنه بفهم طبيعة التناقضات

2- كانت يا وحدنا مع انطلاقة الثورة الفلسطينية عام 1965 ثم كانت مع الصمود الأسطوري في بيروت عام 1982، وكانت مع الحصار السياسي والمالي المتكرر للثورة

وحُسن إدارة التعامل معها كلما اقتربنا من بشائر النصر بإذن الله.

توسيع الدائرة

إن الدوائر اليوم تلك التي يجب تنميتها بحقيقة الالتفاف حول النضال الفلسطيني تبدو ضعيفة وغير متماسكة وتبدو العناصر المكوّنة لها مختلطة بحيث لا تستطيع أن تستبين شكلها من الداخل والخارج.

أين نحن من الدائرة الأولى؟ فكريًا وجماهيريا ونضاليًا؟ وأين دول العرب من الدائرة الثانية، وأين الأمة أو الأحرار والأبرار في مقابل الفُجّار والكفار؟ بينما يشُدنا التحزّب والالتفاف نحو الشخوص والهوى والنزق، ونحو المناصب والأنظمة الانعزالية، ونحو الأيديولوجيات والزائل، ونحو الإقليمي، بعيدًا عن مركز التنبّه؟ وبعيدا عن المشتركات والمبادئ الجامعة؟

فلسطين مركز التنبّه، وكلما اتسعت الدائرة المحيطة بها، وكلما زحزحنا الآخرين بشخوصهم أو فكرهم أو نضالهم (الميداني) معنا ليقتربوا من الدائرة الثانية فالأولى كلما اقتربنا مقدارًا كبيرًا من النصر.

نحن جـزءٌ لا يتجزأُ من هذه الأمـة بحضارتها وتاريخها ومستقبلها، ويزدادُ نضالنا قوة بها ومنعة، ونضعُف كلما تفتّتت تحت ضربات الصهيونية الاستعمارية، أو تحت ضربات القوى الإقليمية، أو العالمية التي لا تسعى الا للهيمنة وتحطيم الأمة فداءً لمصالحها

الفلسطينية، أنبل ظاهرة في العصر الحديث كما قال عنها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، خاصة بعد حرب الخليج ثم تدمير العراق، وكانت صفعة الرئيس الأمريكي الصهيوني «ترامب» للأمة أن جعلتنا وحيدين دون الأمة التي آثر بعض أنظمتها التراكض نحو التتبيع البشع.

الاقتصادية وهيمنتها، وفداء للكيان الصهيوني ولسلب مقدرات العرب وعلى رأسها النفط.

مهما يكن الاختلاف مريرًا فإن الوعي بضرورة الارتقاء للعودة لمركز التنبّه، هي من الثوابت التي تجعل من الأخ أخًا من الحياة حتى الممات، لذا فإن علوّ صوت المنبّه الأساسي وهو القضية المركزية تصبح القاعدة، والثابت التي تقضي على النباتات المتسلقة والطفيليات المتمحورة فقط حول المكتسبات التنظيمية أو الشخصية أو السلطوية.

فكرة الأمة والنظرية والتطبيق

من المهم أن يكون لدينا وعيٌ عميق وسعيٌ واضحٌ للفهم، كما السعي للتغيير والتطور لأن المدخل لأي خطوة صحيحة نحو التقدم هو الوعي والفهم، وعليه فإن التبني لأية مبادئ يكون مرتبطًا بالتفكّر والتأمل مادام التغيير للأفضل هو الهدف.

إننا نحتاج **للثبات والنواة الصلبة ولربط الأمة بحبلٍ وثيقٍ** عبر الاعتصام والالتفاف حول مبادئ ومقومات منها:

1. التاريخ الجامع، والجغرافيا المتّصلة.
2. العلاقات الاجتماعية واللسان العربي الجامع،
3. الحضارة والثقافة المتنوعة، والديمقراطية المشتركة،
4. الحرية والكرامة وقبول التنوع في الإطار العربي الجغرافي المنفتح.
5. «الفهم» الرحب للفكر الإسلامي في منطقتنا، وبمسيحيينا،
6. وضمن مركزية فلسطين كقضية تمثل وعاءً جامعًا.

7. والارتباط بالمفهوم المصلحي الاقتصادي التكاملي لهذه الأمة.
8. المفهوم الإنساني والتقدمي في التطور، وتحقيق المستقبل الواعد.
9. (لا مجال في منطقتنا لممارسة السياسة على أساس {توازن المصالح}، ولكن القاعدة العامة للتحرك السياسي هي {توازن القوى})[3].

كل هذا في الدائرة المكوّنة لأسس ثبات ولجدار الأمة العربية الأول وهو الجدار الحامي لمركزية فلسطين أي باعتبارها مركز تنبّه، ولقضية فلسطين وتحررها، يلي ذلك المحيط الإقليمي كدائرة لاحقة.

وإن لم يوجد من يتبنى مثل هذه الفكرة أو المقومات فذلك لا يقطع بعدم صلاحيتها، وإنما اختلاف النظرة منها، وقدرة أو عدم قدرة حامليها على نشرها أو غرسها.

حُسن التقبل للفكرة يحتاج لدعوة ولأطر جامعة ويحتاج عوامل ذاتية وموضوعية إن لم تتوفر الآن، فهي قابلة للتوفر مستقبلًا في ظل متغيرات الإقليم والعالم.

اختفى مفهوم التحليل الأحادي للتاريخ، أو المتغيرات ذاك التحليل الذي يرتبط بعنصر موحد واحد، وذلك لأن تشابك واجتماع مجموعة من العناصر الفكرية والميدانية الواقعية مع النشاط التنظيمي-الفكري الداخلي ضمن البوابة المفتوحة على المتغيرات هو القادر على إحداث الفرق والتغيير وصنع التاريخ.

بمعنى آخر فإن **الدين الإسلامي هكذا مجردًا قد لا يكون بين**

3- أمين هويدي، أزمة الأمن القومي العربي، لمن تدق الأجراس؟!-دار الشروق-بيروت 1991م، ص12.

معتنقيه خلاف، ولكن الخلاف الحقيقي في اتجاهاتٍ ثلاثة رئيسة:

الأول: طريقة الفهم، ومنه تنشأ التيارات

والثاني: في الاستغلال، وهو ما تقوم به غالب الأنظمة والمتطرفين فداء للكرسي والمصلحة وأوهام الخلود.

والثالث: هو في إدراك معنى التنوع في ظل الصراع وقبوله من عدمه.

وعليه تستطيع أن نستخدم المقوّم أو العامل الأساس (الدين) ليس مجردا، وإنما مرتبطا ب{الفهم} أو {الاستغلال} أو {الإدراك السليم للتنوع} فيتوفر لدينا عاملان من ثلاثة وهما لوحدهما لا يفسران حركة التحشيد أو التجميع أو التغيير.

لا بد من النظر في عوامل أخرى كثيرة تتعلق بالمستهدَفين بالفكرة، وطرائق جذبهم وتحشيدهم، وطبيعة القوى المتحكمة بالمجتمع... الخ، ما يحتاج هنا لعامل الربط والتشبيك وتوسيع مساحات الاتفاق والأطر القائمة.

وبالقطع فإن عامل ضخ مجموعة من القيم قد يمهّد أو يقترن بالعوامل الجامعة السابقة لتُحدث التغيير بالمجتمع أي مجتمع.

إن نظرية ماركس-لينين التي حبلت بالتفسير الطبقي ولدت فناءها من ذاتها متى ما تجمّدت، كما الحال في النظريات الإسلاموية الإقصائية الجديدة سواء التي تستخدم الناس وتستغلهم تحت رداء الدين شعارًا بلا مضمون انفتاحي وثوري، أو تستغل الدين لهدف مصلحي للبلد أو التنظيم أو الزعيم وهو الاستخدام الغالب فإنها تحمل بذور فنائها في داخلها.

إن نظرية تكامل العوامل أو تضافرها وفق فهم صحيح للمرحلة

القائمة، وفي إطار الوعي بالمتغيرات الداخلية والخارجية، وتتبع مسار المتغير الاقتصادي والثقافي الفكري، وعبر توسيع الوعاء في فهم التناقضات وإحسان التوازن بينها هو القادر على إحداث الفرق.

قد يسأل سائل أين كلّ هذا الفكر النظري من التطبيق؟

سؤالٌ مشروعٌ ولكن مشروعيته إن استندت لنظرة أحادية العوامل في التفسير، أو لوهم أن لا حركة للتاريخ، وإنه مجردٌ يكرر نفسه! أو لعدم وجود إدراك واعي لحقيقة قوى التغيير وتحليلها بالضرورة ستُنتج فهما منحرفا أو خاطئا.

لذا فان التمهيد، ثم التبشير أو كليهما مراحل هامة يتبعها التحشيد في إطار قبول التنوع لتحقيق النشر والتوسع، ما يقتضي مدّ الخيوط وإمساك العقل عن التناقضات الثانوية، وتكريس النظرة باتجاه ثابت وبخطى متعرجة (تكتيكات) ضمن السير في حقول الألغام[4].

4- فكرة السير المتعرج أو السير بين حقول الألغام جاءت ضمن سياسة الراحل ياسر عرفات الذي استخدم التكتيك في خدمة السراطية (الاستراتيجية) مدركا أن فلسطين والقضية الفلسطينية ستظل أو يجب أن تظل هي مركز التنبه وهي الوعاء الجامع للأمة بفكر الرسالية والنضالية والديمومة.

الفصل الثاني:

الإنسان الواعي والحوار/الصراع الذاتي

الإنسان الواعي والحوار/الصراع الذاتي

بين الحوار والصراع تقاربٌ وتضادٌ يعتمد على زاوية النظر أو طريقة الفهم، بمعنى أنك إن افترضت أن الصراع يعني أن تتخذ موقفا من الآخر ذو طابع حِدّي إلغائي إقصائي، أي إما أنا وإما هو، فبذا يصبح الصراع في نقيض مع الحوار الذي يعني بشروطه الأولى -أي الحوار- الاعتراف بالآخر ثم إتاحة المجال المتبادل للنقاش من حيث هو تبادلية والتزام.

حوارٌ وصراع!

إن رأيت الصراعَ سِمةً للحياة،[5] من حيث هي استخلاف وصراع دائم بين مكونات متضادة أو متباعدة بمسافات مختلفة، فإنك تقترب لتتخذ موقفًا قد يعرف الحوار بأنه صراع أو درجة من درجات الصراع في أقلّه.

الصراع بالتعريف الإقصائي هو المتمثل بفكرة الأبيض والأسود، ولا ألوان بينهما، وأنا ومن بعدي الطوفان، ومدرسة إيجاد النقائض للقضاء عليها.

وهي مدرسة الفسطاطين[6] بحيث يكون طرف في فسطاط

5- رأي الراحل د. صائب عريقات أن الحياة بما فيها من تناقضات وصراعات تحتاج للخروج من ذلك إلى حوارات وتفاوضات دائمة، كما أشار لها في حواراته معنا في المجلس الثوري لحركة فتح، وفي كتابه حول التفاوض في سيرة علي بن أبي طالب.

6- عبر عديد قيادات الإخوان المسلمين ومنهم الفرع الفلسطيني-حماس عن هذه الفكرة، فكرة الفسطاطين أو المعسكرين: معسكر الإيمان واحتكار الصواب والحق والقداسة مقابل معسكر الغير أو معسكر الضد أو الكفر. ومعسكر المقاومة مقابل التسوية أو الخيانة، بتكرار طوال سنوات حتى استطاع خالد مشعل في وثيقة حماس

(معسكر) ويقابله الآخر في المعسكر المناوئ أو المعادي، ما يعني أن حالة الصراع بهذا التعريف المحدّد هي حرب تنطبق عليها قوانين الحرب التي منها حين التمكن[7] إبادة الآخر.

وجهة النظر للصراع من حيث هو حوار متبادل صعب، قد يكون بين الإنسان وذاته، أو بينه والآخرين أو بين تنظيمه أو جماعته والآخرين فهذا شأن آخر وفهمٌ مختلف.

قد ينظر البعض للصراع بمخرجاته أنها كلها سلبية أو عدائية من حيث أنها لا تقبل إلا تفوق أو فوز أحد الطرفين.

بينما بالرأي الآخر فإن للصراع -بغض النظر عن شِدّته- له من الفوائد ما يجعل الفكر يتحرك، وما يجعل العقل تدور عجلته، وما يجعل الفرد في حالة مستمرة من التشكّك إلى أن يأتي اليقين، ثم التشكك فالتفكير والتأمل ثم اليقين في متوالية حوارية صراعية لا تتوقف.

إن الصراع بمنطق تقليب الأمر على كافة جوانبه، وتبنّي الفكرة ونقيضها وإعمال العقل فيما بين الأفكار حتى المتناقضة هو صراع إيجابي، قد يقترب في مفهومنا من لغة الحوار الذاتي والجماعي، بمعنى الاعتراف بالآخر المخالِف، وإتاحة المساحة المشتركة وتداول الرأي والالتزام.

نحن في سياق فهمنا هنا لا نفترض أن الصراع ينحصر بمفهوم الاستعداء أو نفي الآخر كليًا، أو تدميره إما أنا وإما هو، وإن وُجِد مثل

عام 2017 أن يبني فكرا جديدًا مستنيرا يقبل الآخر، إلا أنه لم يتغلغل في صلب القاعدة في التنظيم العالمي أو الفلسطيني فشكل مشعل تيارا محددًا في داخل التنظيم.

7- وهكذا فهمت فكرة التمكين القرآنية (والذين إن مكناهم بالأرض) في التنظيمات الإسلاموية بمعنى تحييد الآخرين أو التخلص منهم.

هذا التعريف للصراع فنحن نعدّه أكثر أشكالها حِدّة، بينما درجاته الأخرى هي الغالبة على المسار العقلي والاتصالي بين الناس بحيث نعرفه بأنه يمثل عملية حوار شديدة الوطأة على العقل لكنها دائمة ومتّصلة وملزمة ومتوالية لاستخراج الخيارات كلها.

الصراع القريب

ما بين خوض الصراع القريب والصراع البعيد مسافة، لابد أن تبدأ من المنطقي وهو القريب، ولكن كثير من الناس من يستسهل ذاك البعيد ويستصعب القريب.

فالقريبُ صراعٌ في النفس في الذات في الشخصية، ولهذا الصراع أدوات تحتاج لدأب ومثابرة أي لديمومة، كما تحتاج لتحريك الفكرة باتجاه التنفيذ عبر مركّب **الإرادة** والتي ما هي إلا ناقلُ الحركة من سرعة إلى سرعة وبدونه يظل المسار الداخلي بطيء الايقاع ولا يحدث نتيجة عدم التسارع أي تغيير.

إن الصراع القريب هو الصراع الحميم في نفس الوقت، وهو الصراع الذي أخوضه يوميًا مع نفسي بالحوار/الصراع الداخلي الذاتي لتثبيت مجموعة من القيم والمفاهيم والأفكار والتوجهات في نفسي.

لكي أكون صادقا مع نفسي وأمام الآخرين لا يكفي التعبير عن ذلك لفظًا، ولكي أدعو الناس للصبر فلا يجب أن أكون ملُولًا، وعندما يكون المحيط قابلًا للانفجار أكون قد راكمت عناصر التحليل مسبقا لآلية ردّات الفعل.

الصراع القريب هو صراع النفس الإنسانية، وحوارها الصعب الذي حضّت عليه الديانات عامة، بواقع التأمل والتفكر وجهاد النفس، كما

حضّ عليه القرآن الكريم الذي جعل للنفس درجات من تلك النفس الأمارة بالسوء، والموَسوِسة، والمطمئنة واللوّامة والراضية المرضية، وجعل لكل درجة عناصر قوتها وضعفها ومسارها الذي يجب أن تسير عليه. إن النفس هي حقيقة الشيء وعينه وجوهره كما ورد في معجم تاج العروس، وفيها الوساوس والظنون والخلجات وما يتحدث به الإنسان عن نفسه وغيره، وظنونه وأفكاره ومواقفه وضميره.

والنفس هي بؤرة الصراع/الحوار الداخلي القريب بين قوى الخير والشر، بين الإيجابية والسلبية بين العُبوس والابتسام.... ، ولها صفاتٌ وخصائص كثيرة؛ منها: القدرة على إدراك الخير والشر، والتمييز بينهما، والاستعداد لهما، والقدرة على التحريك والتغيير.

لذا فإن البدء من حيث ما أملك أجدر أن تتم العناية به من البعيد الذي قد يكون صديقك أو شريكك أو أخيك، أو قد يكون القضية التي تحملها وتصارع في داخل التنظيم أو المؤسسة لتمثلها والدعوة لها أو لإحداث التغيير فيها.

الثائر والمجاهد، والإنسان الحقيقي من يبدأ بنفسه، فيعمل جاهدًا على تنقيتها وتشذيبها، وعلى اتساع عناصرها ويعمل على تحويل المركّبات السيئة النشِطة فيها إلى مركّبات إيجابية، وهو الذي يتّهم نفسه أولا بالنظر والحوار الداخلي والتساؤل ومحاسبة ونقد الذات قبل أن يوجّه أصبع الاتهام للآخرين أو قبل أن يقوم بتمزيق الآخرين بقنابل السخرية والشتائم والتجريح والاتهام.

الثائر والإنسان الواعي والمجاهد الحقيقي من يركّز على العمل، وعلى الموقف وعلى النتيجة.

والإنسان الواعي هو من يوجّه نقده للعمل والموقف والنتيجة،

فيعيد تركيب مكونات القوة فيه، وإن كان من انحدار أو مخالفة من الآخرين في أي منها يقوم بنقده وفق مقتضيات الحوار العام وآداب الحديث مع الآخرين، وبما لا يضر بمنطق الاحتفاظ بالعناصر الإيجابية ضمن الدائرة المحيطة بالذات.

الحوار الذاتي.

يخوض الإنسان يوميا حوارًا صعبًا مع ذاته، فقد يبدأ من فكرة المَظْلَمة والعجز أو اللوم والتقريع، أو التذكير بالعجز أو البكاء على الذات، أو الأسهل من كل ذلك الاتجاه للوم الآخرين على كل ما يحصل له.

فهو بائس بسبب الآخرين! وهو لم يحقق أحلامه بسبب الآخرين وهو في حالة منحطّة من المشاعر أو البؤس للمؤامرة أو الموانع التي وضعها الآخرون في طريقه!

وكأن كل أمنياته قابلة للتحقيق لولا الأعداء المتربصون به من كل جانب.

في هذا الحوار الداخلي وأمثاله من الحوارات الذاتية الصراعية القريبة قد تُشل الحركة، وتُطفَأُ شعلة التفكير المنتج وتسبب صدمة لحامله وتعرقل أي خطوة قد يتخذها الشخص إلى الأمام، أو ترفض أي يد تمتد لتقديم العون.

إن الانتقال من الحالة النفسية الانهزامية والحالة النفسية المثبطة والحالة النفسية المحطّمة أو السلبية إلى تلك الإيجابية لها من المفاتيح ما يملكه الإنسان العادي والإنسان الثائر المناضل في يده،[8]

8- كان المفكر هاني الحسن يرفض أمثال هؤلاء الساخطين الدائمين لسبب أو بلا سبب،

ولكنه كثيرا ما ينظر للبعيد، ولا يستطيع أو لا يريد أن ينظر لما هو تحت أنفه!

في الحوار الداخلي اليومي نستطيع أن ننمّي علاقاتنا مع أنفسنا، ونستطيع الانتقال من حالة القتامة إلى حالة الإشراق وسطوع الشمس وفق مجموعة من الأفكار التي نرى منها التالي:

1. **الابتعاد عن التعميم**: فليس كل حالة سلبية مرّت بي أو بغيري، أو بمسار القضية أو الثورة المؤثرة بي تقتضي أن تُعَمّم على المجموع، وليس كل حالة خاصة يصِحُ أن تكون مقياسًا لكل شيء، فتغيير زاوية النظر وعدم التمسك بها بنفس طريقة التفكير الأولى قد يُزحزح فكرة التعميم عن موقعها الحصين وهي التي ترتبط باستعمال كلمات مثل (دائما، أبدا، لازم، كل شيء)
2. **القياس بناء على تجربة واحدة**: فحين نفشلُ لمرة مع أنفسنا-داخل المؤسسة، في التنظيم السياسي، مع صديق...- قد تتحول مركّبات الفشل إلى كابح للتقدم، فتخور القوى وتضعُف الإرادة ما يقتضي للخروج من الحالة حُسن الإعداد والتمرين المُسبق والتجهيز والتخطيط وليس اختلاق الأعذار، والتراخي والانسحاب.
3. **أبدا يومك بابتسامة**: وبشكل إيجابي وبجدول أعمال منظّم مسبقا تعرف نتيجته ما يضفي على يومك الحُبور والفرح.
4. **الانتقال من الأسف والبكاء على الذات** (والحال والأحوال) إلى النظر من منظار البسمة والتفاؤل: فليس كل مصيبة أو

ويسميهم أصحاب فكر النعوة (النعي)، أي ذوي الفكر السلبي الذين يجعلون من الحبة قبة بتكبير السلبيات إلى درجة القعود والموت وعدم القيام بأي عمل.

محزَنة أو شر (خاص أو عام) يقع به الإنسان-أو المجتمع أو التنظيم وينعكس عليّ- ثم يلحقه آخر بعد فترة مثلا بمقياس ثابت، إلا ما تم التركيز عليه وإبعاد العناصر الإيجابية الأخرى.

حيث أن ذاكرة الإنسان انتقائية قد تنتقي فقط ما هو سلبي! ما وجب معه أن نتعلم كيف نسيطر على عقلنا ومسار أفكارنا.

الفكر السلبي وإن كان متباعدا قد تضعه كلّه في سلة واحدة، فتصبح الحياة محطّمة لا تستحق العمل لتطويرها، بينما تقوم بإزاحة كل العوامل الإيجابية بعيدًا فلا تنظر لها، وهنا يجب الموازنة بين الحالتين أو التوقف عن مراكمة السلبيات فقط، وتضخيمها بسؤال النفس ما الذي يجعلني محبوبًا أو ناجحًا أو مناضلًا أو مؤثرًا في المحيط، أو سعيدًا بدل الأسئلة السلبية المعاكسة، ولنتقبّل الثناء والشكر والتعليق الإيجابي ونراكمه ونرصّده.

5. **عدم الإغراق في العواطف الجيّاشة:** من سوء تقدير النفس، أو استعذاب البكاء عليها، من مثل تكرار ذاتي بالقول (أنا بلا فائدة، لذا أنا فاشل) (الكل يحتقرني أو يكرهني) أو أنا لست مهمًا أو لستُ مؤثرا في مسار العمل، ولكن الحقيقة تكمن بالنظر من زاوية أخرى أو بالاستعانة بصديق.

ومثل هذا الشخص يسمى في إطار الفكر الثوري النمط التطهّري أي سريع التأثر بالمواقف خاصة السلبية، فينكفئ وينعزل وينسحب ما يتيح للشخصية الانتهازية أن تتقدم.

6. **التشخيص أو التحليل الصحيح:** لأي أمر من الأمور، لأنه في الحوار الذاتي يجب أن يأخذ الشخص جميع العوامل بالاعتبار تلك الداخلية والمجاورة والخارجية ويوازن بينها، فلا يركز على عامل واحد ويفترض به الدليل القاطع في كل الأحوال، فلكل موقف أو مشهد أو تصرف مفاعيله، لذا من المهم حين التفكير أو الحوار عزل الحدث عن المشاعر التي ارتبطت به لمعرفة طبيعة الحدث والشعور وأين أنا منهما.

وبالتركيز على ما يمكنني تغييره وليس على فكرة اللوم والاتهام ما لا طاقة لي به أو بتغييره.

7. **امتلاك منهج تحليلي فكري معرفي:** لمعرفة الأسباب، وهو من أهم ما قد تمتلكه النفس من أساليب تستطيع بها أن تغادر مربع السلبية القاتل إلى مربع الإيجابية النشِط، فالأول يرتبط بالنقد المُيئس والثاني يرتبط بما يمكنني عمله.

8. **اختيار الكلمات الصحيحة وتصنيفها:** واستبعاد الكلمات المعوجّة، وهي من أهم الأمور فاستخدام الكلمات الصلبة أو النافرة (والمنفّرة) مدعاة للحزن واليأس والسلبية، مثل: هم يكرهوني، أو هم سيئون دومًا، والتي بدلا منها يتم التساؤل لم يختلفون معي؟ وبدلًا من وصم الآخرين بالحقد أو التفاهة لمن أنا أخالفهم! وغيرها من الكلمات التي معها يجب تغيير القاموس الداخلي لمفرداتي مرتبطا بالابتسامة الحقيقة الداخلية.

لذا علينا اختيار الكلمات الإيجابية حيث وجب، والمناسبة في حواراتنا مع الآخرين وفي حواراتنا مع أنفسنا فيصبح المضمون والقالب واحدًا.

9. **بدلا من التشخيص السلبي، وفكرة الاتهام علي أن انتقل للسؤال والجواب:** فبدلا من إغراق الذات بتحليلات مُنهارة ابدأ بطرح الأسئلة وأبحث عن أجوبة متنوعة وأقارنها لأخرج من فكرة اللوم والاتهام السهلة إلى فكرة الاستنتاج والتخطيط للأفضل، بل واللجوء للإيحاء الذاتي، فأنا أستطيع وأنا قادر وأنا واثق من تقدمي وإمساكي بزمام الأمر.

10. «**أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا»:** أفلا أكون ممتنّا لأنعم الله علي بشكل دائم؟! أفلا أقتدي بالمسيح عليه السلام الذي رأي البياض وأشاد به في كومة السواد، وألا أكون مثل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الذي رغم المغفرة التامة له من الله يجهد نفسه بالتقرب إليه وليرد على من سأله عن تواصل عبادته رغم المغفرة له، قائلا: «أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا».

والشكر والامتنان قد يبدأ من تذكر الأنعم من الله عليك وفي النفس الكثير مما يمكن النظر فيه.

وقد يبدأ بقول شكرًا لمن يفعل أي شيء لك ويستمر مفعول الامتنان مع كل نسمة هواء تتنفسها إلى الطبيعة وأنعم الله عليك التي لا تحصى ما يجعل الامتنان الدائم رسالة تفاؤل لا تنقطع ترى الجمال، أو الحقيقة في كل شيء.

11. الثائر أو المناضل أو المجاهد في ذاته وغيره يحتاج ليحمل عبء الأمانة على كتفيه أن يكون **مؤهلا نفسيا للدعوة أو الاستقطاب أو جذب الآخرين**، وكلما كان نقيّ النفس ثابت الحال هادئ النظرة قوي الإرادة قدوة في مسلكِهِ من قول وفعل كلما كان عبء الأمانة مما تستحقه أكتافه.

الوسطية المتهمة في النضال!

قلنا فيما سبق أنه: في الحوار الداخلي اليومي مع ذاتنا، نستطيع أن ننمّي علاقاتنا مع أنفسنا، ثم مع غيرنا، ونستطيع الانتقال من حالة القتامة إلى حالة الإشراق وفق مجموعة من الأفكار، لذا يجب ألا نتموضع في مستنقع قتامة النظرة الإقصائية التعميمية أو الاتهامية.

ولنفهم النضال الحالي في منظور يرتبط بالسؤال والجواب كما بالنقطة التاسعة التي تتعاطى مع اتهام الآخر فيما سبق لنا قولة.

من أهم مشاكل التيار العام في الثورة الفلسطينية في تاريخه الطويل (رآه المعارضون التيار المتنفّذ حسب مصطلحاتهم) هي مواقفه المرِنة في كثير من الأوقات وفي عديد الأمور، والتي تصبّ في سِمته الغالبة ممثلة بوسطيته واعتداله.

ومن أبرز مشاكل هذا التيار، وهو التيار الوطني مشكلة التموضع بين الأطراف المتقاتلة أو المتصارعة سواء في المساحات الجغرافية أو السياسية، أو حتى في مساحات الأهواء الشخصية للسلاطين أو أمراء الحروب، لذلك أقرّ هذا التيار منذ البداية وعلى رأسه حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح التمسك بمحور الاعتدال الصعب والوسطية المتهمة كثيرًا، وبعدم الرغبة بالتدخل في شؤون الدول العربية، أو غير العربية.

في مرحلة الكتلتين (الشرقية والغربية) وقفت كوادر التيار الوطني بقوة ضد تصنيف ما كان يُسمى دول الاعتدال العربي بالخيانة والرجعية والاستسلام، فاتُهمت هي نفسها بالخيانة والرجعية واليمينية والاستسلام. (حسب مصطلحات اليسار)، وبالنفاق والكفر والعلمانية (بمعنى اللادينية) حسب مصطلحات الإسلامويين.

وبعد أن انكسر المحور الشرقي (بانهيار الاتحاد السوفيتي-روسيا) وتم ابتلاع العالم بفم الغول الاستعماري الأمريكي، ظلّ التيار الوطني الواسع ممثلًا بغالب منظمات منظمة التحرير الفلسطينية اليوم على ذات المسافة من مواقف الدول العربية المختلفة، والى ذلك ظلّت قياداته تُتهم بوسطيتها واعتدالها،[9] من هذا المحور وذاك في العالم العربي والمنطقة.

الوسطية والاعتدال لا تعني عدم وجود صلابة أو مبدئية في الموقف، بل على العكس يأتي ذلك في نطاق **الصلابة التي هي بتكريس أولوية ومركزية وأساسية القضية الأولى أي قضية فلسطين** والتي هي مركز التنبّه للأمة، ما هي بالنسبة لكثير من أنصار اليسار فقرة في كتابها الأممي الاشتراكي، وما هي بالنسبة لليمين (الإسلاموي) في مسارها الأممي الإسلاموي مجرد مسواك! كما قال محمود الزهار.

إذن الصلابة المبدأية حول الفكرة الرئيسة، والقضية الأساس تستوجب الوسطية الواعية والاعتدال بمنطق تحقيق ما يخدم القضية الرئيسية بأن تتخذ المواقف الوازنة التي تحقق الالتفاف حول قضيتك وبأن تأخذ من جميع الأطراف ما يصب في خدمة الهدف الرئيس، وأن تعمل على تكثيف المكاسب، وتكثير معسكر الأصدقاء، وتقليص المخاسر ما بين الأطراف المتصارعة، وما أكثرها في عالمنا العربي.

نعم، يجب أن ننجز حقيقة الدقّ على خزان العقل، وأن نحرر ونُطلق الشوائب كي لا تطغى على الثوابت.

9- بعد اتفاقيات أوسلو (1993-1995م) تجد عديد المعارضين-خاصة من خارج الوطن- لا يتفقون مع التيار الوطني، إلى الدرجة التي يتهمونه فيها بالخروج الكلي من عباءة الثورة الفلسطينية دون تمييز بين مكوناته أو محاكمته وفق مواقفه المتغيرة، وذلك لسبب الدخول للوطن وإنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية التي رأوها استسلامًا كليًا.

وفي علاقاتنا العربية علينا التحلي بمنطق الاعتدال والوسطية والصبر في سياق التريّث وتصليب الوعي عبر تقديم الأساسي على الثانوي.

وإلى ذلك نحن بحاجة لحجارة كثيرة جدًا لنبني الجدار: جدار الحق والقدرة والمواجهة، ومن هنا لا يجب أن نستهين بأي حجر، ويجب أن نبلور ضعف الآخر فينا في وسطنا بإمكانية تجاوزه والنظر في حقيقة الحرص عليه مهما ضعفت فيه بعض الأوصال.

ببساطة إن **تـوازن القوى يحقق النصر، ونحن في أضعف حالاتنا كأمة لذا ما علينا، ونحن طليعة هذه الأمة، إلا الصبر والوعي والاعتدال، وحين النظر نقوم بالسعي الحثيث للمراكمة لكل أسباب القوة** لأن من يظن أننا كفلسطينيين منفردين أو حتى كأمة قادرون على تحقيق توازن المصالح مع العدو واهم.

ونصرنا النهائي نحن بأمتنا مهما بخلت علينا أو تكاسل أو تخاذل أو خنع أو ركع الأبعاض فيها، لننظر في الكأس الملآن ونقبل الحجر المجوّف ونغلق الفجوات.

تظلُ وسطية النضال في الإطار الفلسطيني (والعربي) مطلوبة لغرض تنحية الثانوي عن التأثير في الأساسي الذي هو استمرار جعل فلسطين قضية العرب المركزية، دون الالتفات للصارخين في وديان غيرهم ممن يستثيرون الغبار حولنا فننشغل بقضايا جانبية عن القضية المركزية.

ما أسهل أن تتهم الآخرين ولا تبحث عن إجابة أو حل، وكأنك تلقي بكل عبئك النفسي -نتيجة قصورك- على الآخر وتكتفي بالاتهام وهو المشجب، وترتاح.

ما أصعب أن تقف وسطًا بين المتصارعين في أمتنا وميداننا الحضاري، في إطار التمسك بمثلث (الصلابة والوسطية والحضارية) وبالتمحور حول أولوية فلسطين، ما أصعب ذلك لأنك بهذا الاعتدال، والتقبل والتفهم للآخر، وهذه الوسطية وهذا التجاوز للعثرات تظل متهما!

ويا لها من تهمة جليلة عندما نحمل فلسطين فقط بين جوانحنا.

الفصل الثالث:

بين النظرية والتطبيق

بين النظرية والتطبيق

لا بأس أن نعود مرة ثانية لنتعرض للفكرة والتفكير بتوسع أكثر مما أشرنا له سابقا لنقول إن **التفكير** مجهودٌ عقليٌ يقوم به الإنسان لتقليب أو تحقيق فكرة، والفكرة الناتجة أو القائمة ليس منبتّة عن غيرها وإنما مرتبطة بأفكار أولية هي بذرة الأفكار، أو هي الأفكار الأولية التي تخوض في العقل صراعها مع مستجدات الأفكار، الأفكار القادمة الطارئة، فتنتزع فكرة أخرى، وحيث لا فكرة من العدم فإن وجود البذرة الأساسية هو مع التكوين الشخصي.

التفكير والتعامل مع الفكرة؟

يقول بعض المفكرين أن: عملية التفكير عملية مستمرة في الدماغ لا تتوقف أو تنتهي طالما أن الفرد في حالة يقظة أو حتى كان مسترخياً إلا أن دماغه في حالة نشاط وعمل دائم فهذا النشاط الدائم يسمى بالتفكير.

بينما موسوعة علم النفس تقول أن التفكير: (كل نشاط ذهني أو عقلي يختلف عن الإحساس، والإدراك الحسي أو يتجاوز الاثنين إلى الأفكار المجردة).

ويراها آخرون: (كلُّ سيل أو مجرى من الأفكار تبعثه وتثيره مشكلة أو مسألة قيد الحل، مثلما يشير للنظر إلى الأمور، وتقليبها وتفحصها بقصد التحقق من صحتها أو ضبطها).

فالتفكير سيلٌ أو توارد غير منتظم أحيانًا من الأفكار والصور والذكريات والانطباعات العالقة في الذهن. وهو **خريطة الذهن لحل**

المشكلة كما يقول المفكر الكبير زكي نجيب محمود.

وكما تقول الموسوعة أن التفكير هو: العملية التي ينظّم بها العقل خبراته بطريقة جديدة لحل مشكلة معينة، بحيث تشتمل هذه العملية على إدراك علاقات جديدة بين الموضوعات أو العناصر في الموقف المراد حلّه، مثل إدراك العلاقة بين المقدمات والنتائج، وإدراك العلاقة بين السبب والنتيجة، وبين العام والخاص، وبين شيء معلوم وآخر مجهول.

أما معناه الخاص فيقتصر على حل المشكلات حلًا ذهنيًا عن طريق الرموز، أي حل المشكلات بالذهن لا بالفعل.

وعُرف أيضا أنه: القدرة على التحليل والنقد والتوصل إلى نتائج تستند إلى استنباط أو استدلال سليم وحكم سديد.

ويرى البعض أن التفكير ما هو إلا مجموعة العمليات أو المهارات العقلية التي يستخدمها الفرد عند البحث عن إجابة لسؤال أو حل لمشكلة أو بناء معنى أو التوصل إلى نواتج أصيلة لم تكن معروفة له من قبل وهذه العمليات أو المهارات قابلة للتعلم من خلال معالجة تعليمية معينة.

في جميع الأحوال فالتفكير جهدٌ عقليٌ والتفكير نشاط مستمر، والتفكير يقود من ألى، عبر التقليب أو الصراع والانتزاع أو الحوار الذاتي للوصول لفكرة محققة أو مختلفة.

وهذه العملية تُعد من القدرات العقلية أو المهارات[10] لدى كل

10- يمكن تتبع الكثير من البرامج والدورات والكتب المتخصصة بتنمية مهارات التفكير المتعددة. من مثل مهارات التفكير العلمي والتفكير الناقد والتفكير الإبداعي. وهناك تصنيف آخر لمهارات التفكير مثل: التفكير الحسي والتجريدي والحدسي والناقد والخيالي والمنطقي والفلسفي والعلمي والإبداعي والخرافي و(التفكير في التفكير)

إنسان وهي قابلة للتنمية كما هي قابلة للتدريب عليها وتقويتها كما الحال مع كل القدرات التي بالتدريب عليها تصبح مهارة محترمة إلى جانب قدرات التخيّل والتذكّر في العقل.

الفكرة من حيث تنشأ في العقل، نتيجة التفكير، إما نتقبلها استنادًا إلى معطيات ما، أو لربما نرفضها أو نقلّبها، وفي الحالة الأولى أي حالة التقبل والقبول للفكرة فإننا قد نُدخلها في باب التقبل الجزئي لذا فنحن نشكّك بها، ونتفحصها ثم نقبل أو نرفض. بمعنى أن القبول قد يكون جزئيا أو كليا.

أما في حالة الرفض فالأسباب عديدة: إما لضعف الفكرة أو عدم اكتمالها أو عدم صِلتها، وفيما بين القبول والرفض نقع في المرحلة الوسيطة دوما ما بين التشكك الطويل وما بين الصراع بين مُجمل المعطيات والحوار بين الأفكار القديمة أو الشبيهة أو المتناقضة.

بمعنى أن الصراع داخل العقل يتخذ مسارَهُ في حالة التقليب للفكرة بمنطق الصراع بين المتضادات أو بمنطق الحوار للوصول للأفضل وبذلك يكون تقليب الفكرة قدرة على دراستها من عديد زوايا النظر أو بإضفاء ألوان جديدة عليها.

الحقيقة والمطلق

الفكرة قد تكون صالحة وقد تكون غير صالحة، وقد تكون صحيحة أو غير صحيحة، وقد تكون إيجابية أو سلبية.

وفق ما يورد د. مصطفى النشار ود. حسني الهاشمي في كتابهما المعنون: التفكير العلمي وتنمية البشر ص27-30، مضيفين ضرورة تعلم: مهارات: التركيب والتحليل والتشخيص والتفسير والمقارنة والتصنيف والملاحظة. ويتوضح في سياق الكتاب أن التفكير والشعور والرغبة تعد من وظائف العقل الأساسية.

وتصنيف الفكرة بين الصلاح من عدمه أو غير ذلك يعتمد على المقياس المستخدم أو على القِيم الحاكمة (المرجعية العقلية) كما يعتمد على زاوية النظر للشخص حسب قيمه أو مبادئه هو إذن من الصعب أن تكون الفكرة صالحة لذاتها ما لم تستند للقيم أو للتطبيق.

هناك مبحث طويل يناقش العلاقة بين الفكرة المطلقة والفكرة النسبية والفكرة المطلقة من حيث قدرتها على تفسير نفسها بنفسها، أو من حيث اكتفائها بذاتها عن غيرها ومن حيث أن هي مرجعية لمعتنقها، ولنا فيما قاله «هيغل» أو «ماركس» أو تقي الدين النبهاني حول الأمر الكثير.

أن العقائد لدى المؤمنين مطلقة، وأن تكون هناك مرجعية صلبة هذا جيد بل وضروري، لكن في المقابل -وهنا قد تكمن المشكلة- فأن مفهوم المطلق المكتفي بذاته أو غير القابل للمسّ أو الذي يمثل الحقيقة أو الصحيح الذي لا شكّ به حسب مفهومهم قد يتوسع ليشمل الأفكار الناشئة عنها!

وقد يشمل التنظيم الذي يدّعي تمثيل الدين أو العقيدة (المطلق/أو الحقيقة الكاملة) وكما هو الأمر عندما يتم إسقاط الحقيقة هذه على الشخوص فتتطابق الحِكمة والمطلق والحقيقة للفكرة مع ذات الأشخاص فيصبحون غير قابلين للمسّ! وهذا هو الفكر المنحرف والمتطرف تمامًا.

عندما يتم الكتابة في مَعرِض الأفكار والمبادئ والمفاهيم والقيم تعترضك التساؤلات المُحِقة أحيانا عن مجال التطبيق في مدى الفكرة، أو إمكانية التنفيذ في ظل المفهوم، أو العلاقة بين النظرية والتطبيق؟

فمنهم من ينشط فيسعى للفهم ثم للربط بين المكونين (النظرية

والتطبيق) عبر الدعوة والتبشير والاستقطاب فالتغيير بدءًا من الأقرب (أنا) من خلال التبني والتطبيق، وصولًا إلى الأبعد (الآخر بدوائره) ومنهم من يتخفّف من الأحمال، والأعباء فلا يشمل ذاته، ويعمل على نقد النظرية لمجرد أن الواقع -كما يراهُ حقيقةً أو انعكاسا لذاته-لا يتقبلها أو يرفضها أولا يطبقها؟

إن العلاقة بينهما وثيقة (بين النظرية والتطبيق) إلى الدرجة التي لا يكون فيها للثانية من حياة إلا بالأولى، ورغم قدرة الأولى على العيش بدون الثانية، متخفية أو ظاهرة، إلا أن الأكتاف المتينة هي ما تحتاجه النظرية لتحملها وتنقلها وتتمثلها فتعكسها في الذات، وفي واقع الناس والأمة.

تُواجَه بالفاشلين والمنهزمين والانتهازيين والبُلداء الذين يعكسون درجات فشلهم وخيباتهم على الآخرين، إلى الدرجة التي يجعلون فيها من يريد أن يفهم ويتثقف ويسعى ولو حَبْوًا لتطوير ذاته وتغيير نفسه وتمتين فكره وتطوير شخصيته ثم الآخرين، وكأن ذلك من رابع المستحيلات[11].

وقد تواجه بالاستهلاكيين الماديين وهم مَن لا يقرأون أو لا يفكرون أصلًا، فيحكمون على الفكرة من العنوان، وإن قرأوا يتخذون الموقف أثناء القفز العريض بين الجُمَل والكلمات فينفِرون مما لا يهضمونه، ويتطيّرون مما يخالف أفهامهم المحدودة، فينكمشون أو يلقون بوجهك بشتى التهم، وبحجارة الإحباط والسلبية التي ما هي إلا انعكاس لشخصياتهم الهزيلة.

تجِد بين الرافضين للفكرة، لأي فكرة مختلفة عما استقر بذهن

11- يعتبر العرب أن المستحيلات ثلاثة هي: الغول والعنقاء والخل (الصديق) الوفي.

الشخص، أو لأي فكرة تطويرية أو فكرة جديدة (نظرية) مُعادين أبديين، ذوي نظرة جاهزة مُسبقة يحملون ضمنها عقلية جامدة وقوالب مصبوبة!

حيث يرمون عليك حجارَتهم بالقول صراحةً أو تلميحًا أو لمزاً وسخريةً: هذا كلام فارغ! وهذا كلام إنشائي! وهذا حرام! وهذا مما لا فائدة منه، وما هذا إلا تزجية للوقت؟

من هؤلاء المنغلقين عقليًا من لا يميّز بين المفاهيم من مثل ذاك التائه بين الأسلوب الإنشائي الوصفي وبين التحليل النظري المنهجي فيفترضون أن الشعر تحليل، وأن القصة في موضع الحكمة إنشاء كما يتوهون بين عمق التحليل والأمثولة والمقاصد، ولكنهم بدل أن يصمتوا يثرثرون بما لا يفقهون.

التفكير التحليلي أو النظري بكافة أشكاله هو ممّا لا غنى عنه في صناعة الأفكار ووضع المناهج، ورسم المبادئ، وبناء القيم في موضعها الصحيح.

إن **الدعوة والرِسالية والمنهج** الذي يبنيه الإنسان في ذاته، ويبنيه التنظيم السياسي (أو الثقافي أو الاجتماعي...) في أعضائه له من الغايات ثلاث

الأولى: أن يطبقه الشخص في ذاته، ولو تهاون الآخرون فهذا واجبه نحو نفسه.

وثانيا: أن يطبّقه التنظيم (أو الجماعة) نحو أعضائه في أي حلقة من الحلقات حتى لو تهاونت الحلقات الأخرى، أو سلسلة القيادة.

وثالثا: هو ما يتوجب دعوة الجماهير له فرديًا أو جماعيا ضمن أي تموضع يكون فيه الإنسان ضمن عقلية الواجب الشخصي والوطني والاستخلاف الرباني في الأرض.

إن المفاهيم والأفكار والقيم بناءٌ نظريٌ يتحققُ قطعًا بالتطبيق العملي، ولا يعني قلّة المتبنّين للفكرة الصحيحة أنهم منعزلون، أو أنه لا يجب اتباع فكرتهم لقلة المنخرطين.

فكما يقول الفضيل بن عيّاض: (عليك بطريق الحق، ولا تستوحش لقلة السالكين، وإياك وطريق الباطل ولا تغترّ بكثرة الهالكين). [12]

إن المفاهيم والأفكار والقِيَم بناءٌ نظري يتحقق قطعًا بالتطبيق العملي، ولا يعني عدم التطبيق العملي أن يتم التخلي عن البناء النظري، وإلا لكان تدريس الدين (البناء النظري) لا قيمة له عندما نرى أو تقارنه بحال الأمة العربية والإسلامية المتردي اليوم.

وحين لا يتم قبول النظرية إلا في ظل رؤية التطبيق! تسقط مهمة التفكّر والنظر والإيمان، وتسقط مهام التثقيف والغرس والدرس والدعوة!

وتصبح مبادئ وقيم الصدق والأمانة والحب والثقة والصبر والنظافة والنظام، وبناء العلاقات الصحيحة والتخطيط والتنظيم والمتابعة والفهم...الخ، غير ذات قيمة ما دام المجتمع أو النظام أو التنظيم أو الجماعة أو جزء منها لا يطبقها!

12- وتذكر المقولة أيضا بصيغة: «عليك بطرق الهدى ولا يضرك قلَّة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين»، والفضيل بن عياض الخراساني، أحد أعلام أهل السنة في القرن الثاني الهجري، لقب بـ«عابد الحرمين»، وهو من الزُهّاد. وهناك من ينسب هذه المقولة إلى لابن القيم، كما تُنسب لعلي بن أبي طالب

حين نشترط في المحيط حولنا (سواء بالدائرة الأولى حولنا أو الثانية أو الثالثة على افتراض أننا نحن المركز)، أو المجتمع أن يكون مطبِقًا لما ندرس أو نتثقف فيه (النظري) وإلا فلا! نكون بهذا الفهم القاصر قد تخلّينا عن دورنا الطليعي نحن وهو الدور المتحقق عبر قيامنا (العملي) بمهمة الدعوة وتثقيف الذات والمجتمع بالفكر والمبادئ والقيم وعبر القدوة بالمسلكية والعمل.

حين نربطُ بين تطابق الواقع السيئ والبناء الفوقي (الفكرة)، فلا نتقبل الفكرة لانعدامها بالواقع؟ نتحول لمقلّدين فقط، وتصبح مهمة المدرس أو مهمة الأب والأم، أو دور أستاذ الجامعة لا قيمة لها! إلا إن كان كل الطلاب في إطار تطبيقهم العملي لما درسوه منفّذين فاعلين؟ وتصبح مهمة التغيير للواقع الذاتي أو الجماعي مهمّة أو عملًا لا صِلة لنابِه، وهو من غرائب التفكير!

إن أهمية البناء الفوقي (النظري والفكري العقلي والثقافي) بأهمية البناء التحتي في أطُر الحضارة ممثلا بالعمران والصناعة والإبداعات والمؤسسة والبناء، فمتى انقطع النظري (الفهم والعلم وإعمال العقل والنظرية) فإن التطبيق سينحسر بتكرار غريزي لما كان سائدًا. لنشهد العالم يتقدم ونحن نكرر فشلنا ونكرر إخفاقاتنا.

يقول محمود سامي البارودي:

لو كان للمرء عقلٌ يستضيء به/في ظلمة الشك لم تعلق به النُّوَبُ (المصائب) ولو تبين ما في الغيب من حدث/لكان يعلم ما يأتي ويجتنبُ لكنه غرض للدهر يرشقه/بأسهم مالها ريش ولا عقبُ.

الشخص الذي يستطيع تقصير فترة التمثّل (الدرس والفهم والاستيعاب) فيحوّل الفكرة أو النظرية إلى تطبيق ينجح، ويتطور،

ويغيّر، والجماعة أو التنظيم الذي يستطيع تحويل أفكاره وقيمه ومنهجه إلى تطبيق نضالي ينجح وينتصر.

إن الفهم القاصر القائل: أن لا فائدة من الفلسفة والأفكار (النظري) في عالم الصناعة أو الزراعة أو التنظيم أو المؤسسات أو الاقتصاد (العملي) هو فهم عقيم.

وكأن أي من تلك التطبيقات العملية (منبع القوة) تأتي من فراغ عقلي؟! وما هذا الأمر بالجوهر والواقع إلا تراكم نظري معرفي (منبع القوة) لا بد منه ليتحول بالتبني والجهد والممارسة إلى تطبيق عملي.

بين النظرية والتطبيق والدائرة (كيف نتعلم؟)

لم نتعلم بسهولة أبدا! بل تعلمنا بمشقّة شديدة، حيث كنّا نذهب لمناهل العلم لنقرأ ونسمع بانتباه وتركيز ووعي، فلم نترك مفكرا أو كاتبا أو كتابا اعتقدنا أن به من العلم ما يفيدنا الا طرقنا بابه أو صفحاته.

لم نتعلم بسهولة والى ذلك تعلمنا وما زلنا نتعلم[13]، ومن ظن أنه قد علم فلقد جهل[14].

تعلمنا أن لا نحكم على المكتوب من عنوانه نعم، وبالبصيرة ورغم الاستدلال عن المكنون من المظنون، ومن الجوهر عبر الشكل

13- عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((طلبُ العلم فريضةٌ على كل مسلمٍ)). وقال عليه السلام: ((لا حسَدَ إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه الله مالًا فسلَّطه على هلَكتهِ في الحق، ورجلٌ آتاه الله الحكمةَ فهو يقضي بها ويعلِّمها)). وقال: ((فضل العلم خيرٌ من فضل العبادة، وخير دِينكم الوَرَع)).

14- والمقصد أنه مكتفي بعلمه إلى الدرجة التي لا يرى جديدا، أو لا يرغب بتطوير فكره أو ذاته بأي من جوانبها (الفكرية أو النفسية، والمشاعرية، أو الجسدية أو الخلقية القيمية).

إلا أن الغوص في مضامين الكلمات والعبارات وسياق الفقرات[15] هو في حقيقته ما تعلمناه فلم نُطلق الأحكام جزافا، ولم نتسرّع فنُدين أو نلفظ أو نقبل أو نرفض...تعلّمنا.

التعلم والعلاقات المعوجّة

تعلمنا أن ندرك جيدًا وأن نفهم جيدا، وأن نتعاون على الفهم جيدًا، وكثير من آداب التعلم التي كانت شذرات التقطناها من معلمينا الكبار أكانوا أشخاصا أم كُتبا أم خبرات وتجارب لنا أو لغيرنا، والحصيف من يتعلم من تجارب غيره، ولا ينتظر أن يقع بخطأ غيره ليتعلم منه.

تعلمنا ألا نتسرع، وأن نتريث وأن نعتدل ونتوسط، رغم أن الكثير من الأمور قد لا تحتاج لكثير تفكر أو تريث لاتخاذ موقف، إثر كثير بحث وتجارب طويلة وخبرات، وإثر استقرار مرجعيتها وإثر إدراك واعي من مثل أن يكون لك رأي أو مبدأ ثابت بالكيان الصهيوني أنه كيان احتلالي إحلالي ذو هيمنة استعمارية على المنطقة.

فكيف بك أن تفهم في ظل القناعة المبنية على تحليل عميق ومتواصل وتجارب واضحة الدلالة، كيف لك أن تفهم أن الإسرائيلي المحتل لأرض فلسطين يمدّ يده إلى السودان أو دول الخليج أو المغرب أو تركيا لخير هذه البلدان! وخير «إسرائيل»؟ إن هذا المنطق لا يتفق إطلاقا مع التحليل السليم والمتريث والمعتدل، لأنه نقيض القاعدة العقلية: ما بني على باطل فهو باطل.

15- في القراءة العميقة تبحر بالمضامين من خلال الكشف على خلفية الكاتب ومصطلحاته وظروف كتابته للمادة، وتتبع ما يكرره من أفكار ومصطلحات محددة، ونظر في السياق وتأمل في الحجج ومقارنات تحتاج لقلم وورقة وتدوين.

وكيف لك أن تفهم طبيعة العلاقة الأمنية أو الاقتصادية أو السياسية التتبيعية المعوجّة من كيانات عربية انعزالية مع المتسلط الصهيوني، التي تفترض أن هذه العلاقة لمصلحة الأمة العربية؟ أو المحيط أهذه طُرفة أم ماذا؟ أو كيف لك أن تفهمها حتى لمصلحة هذه الدول التي سرعان ما سيتم ابتزازها وتفتيتها والهيمنة فيها وعليها!

فلا علاقة سليمة بتاتًا بين الشعب والبلد الواقع تحت الاحتلال وبين المحتل، ولا بين الضعيف وبين المتسلط المهيمن، وحين تسقط الندية يسقط الحوار، وينتحر السلام ويصبح حجة الضعيف فقط.

علينا أن نفهم أن وجود الكيان الصهيوني بذاته بقلب الأمة العربية والإسلامية قد اخترع أساسا لتفتيت وشرذمة ولتدمير هذه الأمة وسلبها إرادتها، والهيمنة على اقتصادياتها وتحطيمها؟

فكيف لي أن أتعامل مع من يسعى لتحطيمي يوميًا، وافترض أن أمامنا عدو آخر مشترك؟

اتفاقيات الضرورة الكونية والتعلم

اتفاقيات الضرورة الكونية تأتي حين تتكالب عليك الأمم لتنتج سياقا خارجًا عن النص التاريخي اسمه «اتفاقيات أو سلو».

وحين يَعرُج الفلسطيني على رجل واحدة ليمرّ من خلال النفق مُجبرا وصولًا لقيام الدولة، وفق النقاط الخمسة الممثلة للمرحلة النهائية عام 1999 ينكشف الوجه الصهيوني المعادي[16]، رغم الاتفاقيات

16- اتفاقيات أوسلو كانت مرحلة لخمس سنوات فقط، والملفات النهائية التي كان المتوجب التفاوض عليها هي الحدود والمستعمرات والمياه والقدس والأمن واللاجئين.

المرعية دوليا، ويتكشف بالتجرية العملية أمام الفلسطيني ومن ورائه العربي بالتجربة أن هذا العدو لا يقبل من الآخر «الغوييم» إلا الدونية والإذلال والدنيّة والعبودية.

ولا يقبل إلا الهيمنة والتسلط عليه فلا يقبل الندية والمساواة أبدا، وكيف لذلك ألا يكون وتعملق فكرة اليهودية الإقصائية العنصرية في فكر اليمين الإسرائيلي؟

تعلمنا من «أوسلو» وما قبلها وكثيرًا بعدها إن فكر التطرف والإقصاء والتهجير والاحتلال والإحلال والقوة القاهرة المهيمنة في المجتمع الإسرائيلي اليوم والتي تشكل مضمون العقيدة (اليهودية اليمينية العنصرية) ومضمون الصهيونية لا يمكن أن تتحلل من ذاتها، إلا بانقلاب فكري ثقافي ومجتمعي وعسكري يؤدي لقبولهم بنا نحن المواطنين السكان الأصليين لهذه البلاد نحن العرب الفلسطينيين، دون خرافات اليمين والصهيونية التاريخية التوراتية التي لا قيمة لها بالقانون الدولي ولا عند المؤرخين والعلماء ولا عند ذوي اللّب واليقين، وهذا ما لا نراهُ قريبا مطلقًا.

نتعلم ولكننا نُشدَه!

تعلمنا الكثير ونتعلم، ولكننا في سياق التعلّم كثيرًا ما نقف مشدوهين أمام من يظنون بأنفسهم قادة رأي أو قادة الاتجاهات (trend) بالمجتمع! فيفصّلون الأفكار على مقاييس أمزجتهم أو أمزجة حكّامهم، وليس على مقاييس ومناهج التفكير السليمة، فيتوهون هم، ويتوّهون معهم جزء من الأمة أو الشارع العريض.

لقد هالني أن العديد من هؤلاء الكُتّاب أو المفكرين أو المثقفين

أو الساسة العرب لم يتعلموا إلا القليل! فهم والمزاج يحركهم، والنظرة المتعجلة غير المتريثة، والهوَى والنزق والمصالح ينظّرون للقضايا المصيرية ليس بعمق وجودها وثقل تبعاتها، وخلود عناصرها الأولية، وإنما بخفّة الناظر إلى سوق السمك ليميز بين السمك النيء وذاك البائت!

وما كانت القضايا السياسية خاصة الثقيلة حضاريا كقضية فلسطين، مركز التنبه والقضية الرئيسة، بهذه الخفّة التي استدعت من مجموعة كُتّاب عرب أن يطلبوا من الفلسطينيين التريث مع الصهيوني! رغم أن التجربة خير برهان!

طلبوا التريث وعدم رفض خطة «نتنياهو-ترامب» التصفوية عام 2020 حتى بعد صدورها مغلّفة بحبال الكفر والمؤامرة الجلية من أول كلمة إلى الخريطة الفاقعة، إلى مضامينها التوراتية المشبعة برفض السياق التاريخي العربي الثابت لهذه الأرض، مع ما تتضمنه من إهانة لا نظير لها للإسلام عبر تقسيم الأقصى وغيرها من النقاط المثيرة للقرف والاشمئزاز لأي إنسان حر.

كانت هذه البداية ولحقها حفلات الهرولة والتتبيع والإلحاق بالصهيوني المهيمن والحاكم فيما أسمي بالتطبيع!

يقولون!

يقول أحد هؤلاء الكتاب بعد10 أيام عن إعلان ترامب لرؤيته العنصرية التدميرية (أعلنت في 2020/1/28): «ما نراه صحيحاً تجاه هذه المبادرة هو التريث قبل الحكم النهائي عليها بالرفض التام أو القبول المؤدي إلى التفاوض المفيد والحاسم»؟!

في المقابل يقول الكاتب العراقي د. سعد ناجي جواد: «إن كل ما يجري الآن هو ليس فقط محاولة لتهميش أو محو القضية الفلسطينية من الساحة والاهتمام الدوليين بالكامل، وإنما أيضا لمحوها من الذاكرة العربية تماما. إلا أن هذا الحلم على الرغم من التشرذم العربي واصطفاف أنظمة عربية معه، سرًا أو عَلناً، خوفا أو رغبة بالانصياع للأوامر الأمريكية، سوف لن يُكتب له النجاح لسبب بسيط هو وجود الشعب الفلسطيني وثباته على استرداد حقوقه»- من ورقته تحت عنوان: خطة «إسرائيل» في شرذمة الوطن العربي تبعث من جديد... والصفقة البائسة هي البداية... والعراق الدولة المرشحة الأولى.

كثيرٌ من كتاب الخِفّة والذّلّة أشاروا لتراجع القضية الفلسطينية في أذهان العرب!؟ وهي بالحقيقة تراجعت في أذهانهم هم التي تم غسلها كليًا، أو ثقبها ونخرها.

كما أشاروا لوجود أعداء جُدُد وعلى رأسهم إيران «المحتلة»، حيث تظهر «إسرائيل» برأيهم واقفة «بصلابة» إلى جوار الدول أو المحور المناوئ لإيران؟! (حيث تظهر المساواة غير العادلة بتاتًا بالاحتلال، بين الاحتلال الصهيوني الوجودي، وبين «الاحتلال» الإيراني المرفوض في دول العرب) وكأنهما حلفاء؟

وفي حقيقة الأمر أن قتال أو عداء الجارين التاريخيين أي العرب وإيران هو الطامة الكبرى -التي نتحمل معًا جريرتها- والتي جعلت من الإسرائيلي يتعملق بكل وضوح، وجعلت من المثقف العربي المؤتمِر من قادته المستبدين ينهار قيميا وفكريا وأخلاقيا.

هل تتعلم الأمة من تاريخها؟

نعم، أنّ تحارب الجارين التاريخيين وهما إيران والعرب ليس فيه إلا مجلَبة للشر، وليس لإيران أن تعيث فسادا في عواصم العرب، ولا للعرب أن يعيثوا فسادا في طهران أو مشهد أو أصفهان، وليس يمثل ذلك إلا خِفة استراتيجية وتاريخية وحضارية لدى السياسيين والمثقفين، وقد يكون وراءها شراء ذمم وانهيار أخلاقي، وتطاحن مصالح، أو انصياع للمستبدين الكثر!

حين يكون جارك الجغرافي والديني والثقافي والحضاري مستقرٌ منذ الأزل والى الأبد، فليس لك إلا أن تتعامل معه، وكما كان شأن حلقات مختلفة عبر التاريخ سلبًا وإيجابا اقترابا وابتعادًا، وليس كما حال المحتل لأرضنا الذي جاء من البعيد ليقدّم نفسه بديلًا عن جيرة التاريخ، وعلى أشلائنا، وليرسم في سماء الأمة إجازة لسلب أرض العرب بموافقتهم.

علينا أن نتعلم في القضايا الاستراتيجية والحضارية المصيرية أن لا تريّث، وإنما مرجعية ثابتة، وفكر واضح، وقرار واضح أو منهجية فكرية صلبة، وفي شؤون الساعة من القرارات ما يمكن أن تعطى صبغة الواقعية التي لا تضرّ أبدا بالمصير.

وحين يقولون لنا: أنتم لوحدكم! لهم أن يسيروا خلف القرار الوطني المستقل المتحالف مع أركان الأمة ومصالحها، فلا يتم النظر للقضية الفلسطينية من زاوية أنتم فقط وإنما نحن أنتم.

إن فلسطين أرض العرب منذ الأزل وستظل، وفيها للمسيحيين كما للمسلمين تمامًا، هكذا يجب أن يفهم جيراننا الإيرانيون، والأتراك، وهكذا يجب أن يفهم العرب عامة، فحين يتكلمون عن فلسطين

عليهم الحديث عنها بمنطق نحن، وليس أنتم بمعنى التخلص من عبء لا يريدونه، أو يتحللون منه تحت ضغط السيّد أو المستبد، أو المهيمن الأمريكي-الصهيوني.

نحن الفلسطينيون، نحن العرب الفلسطينيون علينا من الذنب الكثير خاصة بتشرذمنا، ولا نُنكر، وآن لنا تجاوزه، ولكن المحور العربي المصطف ضد إيران، والمحور الإيراني الذي يُفسد قلب الأمة كلاهما مَن يتيح للفكر والنموذج الصهيوني أن يتمدد ويتوسع ويرتاح في بطن الأمة، بل وأن يتم الترحيب به إلى الدرجة التي يصبح فيها القبول بمعلاق فلسطين أو جبنتها السويسرية[17] وفق الجزار (اللحام) الأمريكي مطلبًا عربيا يتحرر فيه الأبعاض من أعباء كثيرة لطالما جعلت منهم وكانهم أسرى المبادئ والقيم الثقيلة، والفكرانيات (الأيديولوجيات) التي لم يعد لها مكان في هذا الزمان الاستتباعي والاستهلاكي.

17- تشبّه خريطة الضفة الغربية من فلسطين المنخورة بآلاف المستعمرات بالجبنة السويسرية كثيرة الثقوب أو بمعلاق الذبيحة، أو بالباندوستانات أو المعازل أوالجزر بين بحر المستعمرين الذين يسيطرون على غالب أرض الضفة/الدولة الفلسطينية من مجمل أرض فلسطين.

الفصل الرابع:

حوار مع مفكر

حوار مع مفكّر (7/1): خالد الحسن وجيل المستحيل

ليس من السهل أن تقرأ للمفكر والكاتب الكبير خالد الحسن[18] رحمه الله، سواء في أو راقه السياسيّة العديدة، أو في تحليلاته ذات الطابع العروبي الخالص والمفعمة بالإيمان العميق بالنصر.

كما ليس من السهل أن تطّلع على كتبه ودراساته الفكرية الرصينة، دون استغراق. وهي الكتب التي جالت بين دوائر متعددة في المعنى والماهيّة، وفي الفكرة والإسقاطات، وفي طريقة الفهم وتعدد الأفهام، وفي مناهج التفكير، وفي الاستراتيجي والمرحلي.

بحيث أنك لن تستطيع فكاكًا من أسر مفرداته، ومصطلحاته وتعريفاته، وطريقة رؤيته للأمور وتوضيحه لمجريات الأمور السياسية والاقتصادية والاجتماعية على غير الهيئة أو الصيغة التي يعبر فيها زملاؤه عنها.

خالد الحسن (أبو السعيد) - كما كان إخوته الكبار من نفس جيل ثورة المستحيل -ثورة بساط الريح- كمال عدوان وصلاح خلف وماجد أبو شرار، وجورج حبش وعبد الوهاب الكيالي وسليمان النجاب، ونايف حواتمة... ولاحقًا صخر حبش وهاني الحسن وعثمان أبو غربية...- كان عمودًا من أعمدة العقل والفكر في الثورة الفلسطينية، كما في حركة فتح، أولئك الذين استطاعوا تحقيق الربط الفكري الثقافي الصلب، بالوضع السياسي المتغير الذي كان يطغى بمفرداته

18- خالد الحسن «أبو السعيد» (1928-1994م) مفكر وسياسي ودبلوماسي عربي كبير، وقائد فلسطيني من رجال الثورة الفلسطينية الحديثة، مواليد مدينة حيفا العربية الفلسطينية، عضو اللجنة المركزية لحركة فتح، وله ما لا يقل عن 24 مؤلفا في السياسة والفكر العربي والثوري والإسلامي.

اليومية وحراكه السريع على تنظيرات المفكّرين طويلة النفس تمامًا كما هي حرب الشعب.

إن المفكر ينهد نحو المستقبل، ويرى الحاضر بواقع ارتباطاته وصيرورة حركته متنبئا بالمآلات والنتائج من النظر في منحى العلاقة بين القيادة والجماهير، وعينه أبدا لا تتحول عن الخصم أو العدو الأساسي، وفي استبصار للمتغيرات الداخلية والخارجية وفق معادلة مركبة يستطيع عبرها حل الرموز والإبهامات.

يعمل المفكّر على رسم شكل الطريق أو الطرق المحتملة، لأنه لربما يكون للنتيجة الصحيحة أكثر من طريق يمكن اتباعه تمامًا مثل حل مسألة الرياضيات التي قد تقبل أكثر من مسار يكون في جميعها طرقٌ للباب المؤدي للنتيجة أو الحل.

ويأتي هنا دور القائد السياسي بعد المفكّر للنظر في الطريق الأقصر أو الطريق الأسلم أو الأوفق وفق تقديره للوضع القائم والمتغيرات، أو وفق مصالح القوى المتنافسة في ظل تعظيم مستوى الفائدة أو المصلحة المتحققة للقضية وليس لذات القائد.

خالد الحسن من تلك القيادة الفريدة التي جمعت بين الفكر والثقافة والعقيدة (الأيديولوجية)، وبين السياسية والإدارة الإنسانية، وتكاد تلمس في كتاباته -ومن جايلوه ممن ذكرنا وغيرهم- البُعد الوطني (والقومي) الإنساني، والبعد المستقبلي، والبُعد الإيماني فلا انقطاع للأحبال الثلاثة أبدا.

فالقضية قضية عقدية إيمانية مرتبطة بحبل من الله وبحبل من إرادة البشر، والقضية تملك مفاتيح المستقبل مادام القابضين على الجمر هم مُلاك المفاتيح التي سيتم تسليمها كما هي غير ملوّثة

للجيل الصاعد إن لم تهتدي الأجيال الحالية للأبواب.

أبو السعيد رحمه الله لم يكن ليترك أي فرصة دون أن يتخذ مقعد المنظّر والمعلم والسياسي الواقعي، كما نرى في كتابه: من يحكم الآخر،[19] وهو مدار حوارنا. كما يتخذ أبو السعيد مقعد الأب الموجّه بسلاسة لا تقطع حبال الودّ، وبلطافة لا تشعر المستقبِل بضعفه الفكري أو السياسي أو المعرفي عامة، بل بطراوة اليد الحانية التي تسير بك إلى النهر لتشربان منه معًا.

في مقابلاته وكتبه وكثير من ندواته ومقابلاته فإن للفكر والسياسة والاقتصاد كثير ارتباط حتى يصح القول أن ما يتحدث فيه هو أقرب للفكر السياسي ولفلسفة علم النفس السياسي دون الإضرار بمفاهيم العلوم السياسية والقدرة على استجلاب الجماعات التائهة عن مجرى النهر إليه.

في قراءة بكتبه الكثيرة ومنها كتاب من يحكم الآخر «إسرائيل» أم أمريكا؟ الذي نتصفحه بين يدينا، وهو الذي قدمه كمحاضرة عام 1981 في صحيفة الأنباء الكويتية نرى بوضوح أنها محاضرة ورؤية ما تزال تحمل العمق والبُعد المعرفي والفكري والسياسي ذو الوزن الثقيل.

حيث يقدم خالد الحسن الفكرة بـرداء العقيدة الوطنية، والمصطلح بعمقه العربي والقومي، والسياسة من حيث هي المصالح السياسية-الاقتصادية-الثقافية الجامعة للقضية والأمة معا وبأبعادها

19- نشر الكتيب/الكتاب المعنون: من يحكم الآخر أميركا أم «إسرائيل» لخالد الحسن لأول مرة عام 1981 ضمن سلسلة: أوراق سياسية رقم5. وأعادت حركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح، مفوضية الإعلام والثقافة والتعبئة الفكرية نشره عام 2020. ومما اكتشفناه لاحقا وجود كتيب بعنوان: الجماهير العربية والحرية بنفس مضمون هذا الكتاب للأخ أبو السعيد حيث يبدو أنه تم تغيير العنوان لاحقا.

العالمية، ويقدم المفاهيم العديدة، التي منها مفهوم القائد من حيث هو والجماهير متماهيان.

ويقدم أبو السعيد النظر للتعامل مع الدول العربية من زاوية التضامن والتعاون والوحدة التي لا بد منها، إن عاجلا أو آجلا، ونحن أحوج ما نكون لها اليوم في العام 2020م، لأن بها تتأسس معادلة النصر بإقامة الدولة الديمقراطية في فلسطين، وطرد الاحتلال وفكر الاستعمار والاستعباد، والتخلص من الاستكبار والاستبداد.

حوار مع مفكر (7/2): نحن وأمريكا و"إسرائيل"

عندما تقرأ لكاتب كبير أو مفكر شهير فإنك تحارُ في تفسير تشكيلات الحروف وأدب صياغة الكلمات أحيانًا، كما تَحارُ في فهم مضامين أو مدلولات العبارات والفقرات ومقارعتها للزمن، ففيها من الجدّة والحداثة والإبداع الخالد ما يذهلك.

وتجد بين الرؤى المطروحة أفكارًا ما زالت تراقبك وتنظر إليك وكأنها تعيش معك اليوم رغم رحيل الكاتب أو الحكيم من سنوات، وربما دُهور، وهي هكذا الأفكار الكبيرة والمبادئ الجليلة والتي نتناقلها عبر الأجيال مشيرين فيها لإنجازات هذا الفيلسوف أو المفكر أو الكاتب أو القائد قائلين: وكما قال فلان.

ومن هؤلاء الذين تُسند اليهم الأقوال الخالدة والعبارات والحِكَم التاريخية والتنبؤات المغفور له خالد الحسن «أبو السعيد» أحد أبرز قيادات ومفكري الثورة الفلسطينية، بل والعربية، وهو المفكر الثوري والأصيل والوطني والديمقراطي والإسلامي والعروبي الذي لم يرى قوة الأمة إلا بوحدتها الحضارية الثقافية والاقتصادية والسياسية.

وفي إطار إطلاقنا النسخة الثالثة المهمّشة من كتابه حول العلاقة الملتبسة بين «إسرائيل» وأمريكا، ودور الجماهير العربية بالتغيير وجدت من التحليل لأبي السعيد ما فاجأني إلى درجة الإدهاش لما مثّله من تشخيص للصورة اليوم! وإن كان التحليل كتب من 40 عامًا مضت، لذلك وكما أشرت تظلُ الأفكار العميقة خالدة لا يؤثر فيها الزمن.

في العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية والعرب يقول القائد

أبو السعيد أن أمريكا (لا تكترث)[20] بالعرب أو مصالحهم بل وأكثر من ذلك (لا تكترث بمصالحها معهم)؟! وحين يتعملق السؤال يتبادر إليك أن في الأمر سرًا خفيًا، أو ممسَكًا! لتُفاجأ بقول أبو السعيد الواضح (لأنها تعلم أن ردّ الفعل لن يتجاوز صرخة ألم، أو صرير أسنان طحنها الشقاق)!

فكيف نرى اليوم من تساوق وهرولة مُذِلّة أنهى بها العرب حتى مرحلة الصراخ وما عادوا يحتملون حتى صرير الأسنان!

ويضيف أبو السعيد مشددًا على ضرورة المواجهة لنكون أمة تُحترم من غيرها، وخاصة من أمريكا، فيقول أن واشنطن تقول لنا يوميا -وهذا الكلام عام 1981م- (أنتم صفر العالم)!؟ وأن (إسرائيل وحدها تستحق أن تكون رقما)!؟

لماذا يا أخ أبو السعيد؟

وما لنا لا نكون رقمًا في المعادلة الدولية كدول عربية أو أمة عربية أو إسلاميه؟؟! ليسرع بالإجابة قائلا، لأنه: (كلما أهانتنا أمريكا ازددنا اعتمادا عليها)!

صدقت يا أخ أبو السعيد، فأين هي أمة الصناعة الثقيلة والزراعة والثقافة الجامعة والتقانة (تكنولوجيا) والوحدوية الجغرافية التكاملية على النموذج الأوربي بالحد الأدنى؟ إنها صفر حتى اليوم كما قال الأمريكان.

وما بالك يا أخ أبو السعيد وأننا تخلصنا من عدم الاكتراث الأمريكي والازدراء الذي ذكرته بأن انبطحنا كليا!

20- كل ما هو بين قوسين من نص أبو السعيد في كتابه من يحكم الآخر أمريكا أم «إسرائيل» الصادر لأول مرة عام 1981، وبطبعته الثالثة هذا العام 2020م.

حين يتعرض أبو السعيد للعلاقة الملتبسة بين أمريكا و«إسرائيل» يوضح بدقة أن لأمريكا الدور الرئيس في قيام الكيان الصهيوني في أرض فلسطين منذ القرن 19 وكان لها الدور أيضا في صدور إعلان أو ورقة بلفور التي أسماها الزعيم جمال عبد الناصر وعد من لا يملك لمن لا يستحق.

وبالتالي هو يقول أنه كان لأمريكا ذات الدور الاستعماري الانجليزي في إنشاء الكيان الغاصب في فلسطين، [21] فلا تتلهّوا أيها العرب بالتغطية على ضعف إرادتكم واستسلامكم وفشلكم بالمواجهة اليوم بالقول أن ذلك مردّه اللوبي الصهيوني في أمريكا! فالعلاقة بين الكيانين عضوية لأنه كما يقول خالد الحسن (في غياب الإعلام العربي تصبح «إسرائيل» وكأنها جزء من أمريكا، ما يبرر لها كل تصرفاتها).

ولك يا أبو السعيد أن ترى اليوم أننا نحن-الأمة العربية بكثير من سياسييها ومثقفيها الانعزاليين الأوغاد-قد أخذنا الدور الرسمي للتبرير للأمريكي، ويا ليتها وقفت عند هذا الحد بل تعدتها بمسافات فلكية بالتبرير للإسرائيل! وشيطنة النضال الفلسطيني؟! أفلا يحق لهم والأمر كذلك أن ينتعلونا كالحذاء!

يرفض أبو السعيد نوم العرب ومواتهم السياسي حين لا يتسخدمون عوامل قوتهم بالمواجهة حيث أن أمريكا لا تواجَه إلا بالقوةـ وبالارتباط الذي لا ينفك بين بالسياسة والاقتصاد ووحدة كلمة الأمة في ثلاثية واضحة.

تلتقي ثلاثية عوامل القوة المطلوبة لدى أبو السعيد مع ثلاثية أخرى له وردت في كتابه من يحكم الآخر «إسرائيل» أم أمريكا، وهي

21- في كل كتبه تقريبا يشير للدور الأمريكي الاستعماري العميق في منطقتنا ووجوب مقاومته بتضامن الأمة العربية جمعاء.

ثلاثية المواجهة التي تقتضي من الأمة: المعرفة ثم خوض المجابهة ثم (إرادة الاستمرار موحدين)؟

ومن أين لنا يا أخ أبو السعيد هذه الإرادة وأنت حذّرت من العجز والذلة والامتناع عن المواجهة الذي أدى بنا للتبرير، وأدى بالأمريكي لازدرائنا (يعني احتقارنا).

إننا–وخاصة انعزاليو الأمة-نحتضن قصورنا المذلّ بحنوّ عجيب –وليس القصور التي يسكنونها-حتى آل المآل لما هو عليه، بالقول أننا لا نستطيع، لذا لنركع ونؤثِر السلامة والدِعة (لا يموت الذئب ولا تفنى الغنم!) ونتحلق حول الغرائز الاستهلاكية التي حذرتنا منها!؟

حوار مع مفكّر (7/3): الأقانيم الثلاثة والقصور العقلي

ليس من السهل على القارئ بين بطون الكتب أن يستدل على مكامن الخلود للعبارات والفقرات والرؤى إلا متى ما قارن القديم بالحديث أو التحليل النظري بما أصبح واقعًا اليوم، أو حين رؤيته لوجه الكاتب يضحك من حال الأمة المغبَرّ؟

وأراك يا أخ أبو السعيد تضحك! ولربما أنت تبتسم بحرقة الذي حذّر ولم يستمع أحد لتحذيره.

في لقائه بصحيفة الأنباء الكويتية عام 1981 أي قبل عام واحد من اجتياح لبنان وبيروت، كان أبو السعيد يحذّر من اتساع الخطر الأمريكي الذي لا يبتغي إلا زرع «إسرائيل» دولة قائدة ومهيمنة في المنطقة، وها هي النبوءة تتحقق!

النبوءة تتحقق مع «الشرق الأوسط الجديد»[22] لشمعون بيريز ومع «مكان تحت الشمس»[23] لـ«بن يامين» نتنياهو الذي أراهُ احتكر

22- ببراعة سياسي خبيث رسم شمعون بيرز رئيس الوزراء الصهيوني-ثم رئيس الدولة- الأسبق في كتابه المعنون: الشرق الأوسط الجديد الصادر عام 1994م نظاماً إقليمياً بوجه قومي، وبخطط اقتصادية ضخمة وطمس تاريخي ساذج لكل تركيبة الشعوب العربية، داعياً بذلك إلى «من اقتصاد الحروب إلى اقتصاد السلام». ويدّعي شمعون بيريس بالكتاب أيضا: بأنه لن تقوم تنمية اقتصاديه في الشرق الأوسط من غير دولة «إسرائيل»! وبأن هذه التنمية لن تتحقق إلا عن طريق (السلام)، وبالكتاب يعظّم في الاقتصاد المشترك بين «إسرائيل» والدول العربية والفوائد التي سيجنونها منها، ومن جانب آخر يعمل على تقزيم القضية الفلسطينية. ويبدو أن منهج بيريس المخادع هذا قد أصبح واقعا منذ عام الكورونا والتتبيع مع العرب عام 2020م.

23- مكان تحت الشمس هو كتاب رئيس الوزراء الإسرائيلي اليميني المتطرف والكاره للعرب «بنيامين نتنياهو» الذي صدر بالعبرية عام 1993م، وترجم للعربية من قبل دار الجليل عام 1996م، وتقول نبال خماش عن الكتاب أنه: يعدّ نموذجًا واضحًا للصيغة الواقعية المتطرفة، التي تعرف بـ «الواقعية الهجومية»، وهي نظرية تعكس

الشمس، شمسنا، يوزع أشعتها على سائر المنطقة كما يشاء!

أنت من قال أن أمريكا تنظرُ لنا وتقول (أنتم صفر و«إسرائيل» هي الرقم)، وقد صدقت فها هي «إسرائيل» تجتاح البلاد والعباد وتمتلك كل الأرقام على الطاولة.

لماذا يا أخ أبو السعيد؟ بِتنا نعلم أنه لتخاذلنا، ولأننا رفضنا امتلاك مبرر وجودنا الذي لا يقوم إلا بقوتنا السياسية-الثقافية-الاقتصادية الموحدة؟

في قراءتي في كتاب أبو السعيد المعنون من يحكم الآخر كثير فقرات تحتاج التركيز، وهكذا هو الحال مع أصحاب القول الثقيل والفكر الراجح والحكمة الصارخة، لذا فكلما غصنا فيما وراء الكلمات كلما وجدنا الكثير.

وكأنك بالقراءة العميقة تبحث في طبقات الأرض وعلم الآثار التي مهما نقّبتها في فلسطين وجدتها كلها تقول أنا فلسطين، فقط وليس أولئك المدّعون الذين لم يمتلكوا شرف أن يكونوا هباءً في أي طبقة من طبقات أرضها فكيف بالسماء!

اشتهر أبو السعيد باجتراح المصطلحات والتي منها يصادفنا بهذا الكتاب مصطلحي **الموت السياسي والقصور العقلي** فلقد رأى الموت

تصورا مقدمًا بالأساس للدول العظمى بهدف تعظيم معالم قوتها وسيطرتها ضمن مبدأين أساسيين: توازن القوى، وإلقاء التبعات على الآخرين. وهما عنصران يلمس القارئ حضورهما في كل صفحة من صفحات الكتاب الذي يقع في 438 صفحة. والكتاب يعبر فيه نتنياهو عن أهمية التمسك بالمبادئ والقيم الصهيونية لتشكيل الهوية اليهودية أولا، كما يعبر عن احتقاره للعرب والفلسطينيين الذين لا حق لهم، وثالثا يرى التعامل مع أمة العرب بالقوة فقط وصولا للسلام! «قوة الردع المعتمدة على قوة الحسم»، وهو ما حققه بكفاءة المصرّ على مبادئه وقيمه الصهيونية! في زمن التخلي العربي عن المبادئ والقيم العربية الأصيلة.

السياسي عند العرب بالعزل الغبيّ بين القطاعات حيث قال: (أن حركة المجتمع والدولة، تتداخل فيها كل القطاعات الاقتصادية والسياسية، وأي عزل بين الاقتصاد والسياسة، هو الوقوع في الموت السياسي).

يقول أبو السعيد حين الحديث في متن كتابه عن حرب العام 1956م أي العدوان الثلاثي على غزة ومصر وموضحا السياسة الأمريكية الثابتة: (منطلق التفكير الأمريكي هو مصلحة أميركا في توسيع واستمرار نفوذها ومصالحها احتكاريًا لمنطقة الشرق الأوسط ودعم «إسرائيل» يمثّل نهجا أساسيًا في نجاح هذه الاستراتيجية التي لا يمكن أن تستمر إلا بالقوة، ولا يمكن أن تواجه إلا بالقوة)[24].

وهل تُرانا فهمنا ذلك اليوم بأن المواجهة لا تكون إلا بالقوة بأقانيمها الثلاثة[25] (جوهرها الثلاثي) مما قاله أبو السعيد بوضوح؟

القوة ليست فقط مقتصرة على القوة العسكرية على أهميتها القصوى وضرورتها لمن يبغي إنشاء دولة قوية ومنيعة وممتدة، وأنما حال تذبذب أو ضعف القوة العسكرية التي لا غنى عنها، رأي أبو السعيد اقترانها الثلاثي الأركان حيث يجب أن يتكامل السياسي والاقتصادي والثقافي.

الثلاثة أقانيم اليوم منهارة يا أخ أبو السعيد، فالسياسي الإنعزالي

24- {القوة} فقط هي ما تغنى بها «نتنياهو» وقبل تسلمه رئاسة الوزراء في كتابه مكان تحت الشمس، وما فعله عدوانًا وممارسة يومية على أرض فلسطين، وفي مواجهته لإقناع أمة العرب الخائفة والنطيحة بالاستسلام، حيث ذكر عند التوقيع مع بعض دول العرب على ما أسمي بالتتبيع في 2020/9/15 أن: «السلام الذي نؤسس له اليوم سوف يستمر، لأنه مبني على القوة»، مستطردا «عملت على تعزيز ركائز إسرائيل لكي تصبح قوية جدا لأن القوة تفضي إلى السلام».

25- الأقانيم الثلاثة مصطلح مأخوذ عن الديانة المسيحية في الثالوث الإلهي، وكلمة الاقنوم اليونانية: تعني ما يقوم عليه أو فيه الجوهر. من الأقانيم الثلاث لبيان لينين الشهيرعام1917 كان: «الخبز السلام والأرض للجميع».

عن أمته قد فقد البوصلة المبدئية والأخلاقية فتاهَ ومالَ وترنّح ثم سقط وخنعَ.

والاقتصادي بيعَ للامبراطورية الإسرائيلية المهيمنة، فيما أسمى التعاون الاقتصادي الموهوم بين العرب القابلين للغزو، وبين الغزو الصهيوني المهيمن.

أما الثقافي الفكري فلقد اخترقه «نتنياهو» الذي صنع بالسلام بالقوة، كما قال متبجّحاً وبالنص الصريح في واشنطن 2020/9/15م بالقوة فقط ولا غير جئتم!

قال كبيرهم الذي علّمهم السحر «بنيمن[26] نتنياهو» يا أخ أبو السعيد في الحفل الأمريكي أن: «السلام الذي نؤسس له اليوم سوف يستمر، لأنه مبني على القوة»! وهل هناك أو ضح من ذلك!؟

مستطردا «عملت على تعزيز ركائز «إسرائيل» لكي تصبح قوية جدًا لأن القوة تفضي إلى السلام»؟! تأكيد لا بد منه لدول الضعف والاستسلام والانعزاليين العرب.

إلى ذلك لم يستطع الساحر في توقيع التتبيع في واشنطن مع بعض العرب إلا أن يتبجّح مبتهجًا بغسيل دماغ أهل التتبيع الانعزاليين وباختراقه عقل الأمة التي ستلحق به كما قال كالقطيع يتبع الراعي. [27]

26- تذكير أن أصول معظم الكلمات العبرية من بيئتها الحقيقية أي من الجزيرة العربية حيث أن عديد العلماء يفترضون أن أصل اللغات الكنعانية والفينيقية والآرامية والعربية الحديثة (الشمالية القرشية)...الخ والعبرية هو الجزيرة العربية بمعنى أن اللغة العربية القديمة هي أصل كل اللغات.

27- أكد نتنياهو نجاح عملية غسيل الدماغ العربي، واختراقه العقل العربي حتى العمق فيما صرّح به علنا في 2020/9/15 حين قال في واشنطن: «السلام الذي نشهده اليوم ليس فقط بين القادة بل بين شعوب إسرائيل والإمارات والبحرين»!، يقول بين الشعوب-ويفترض المحتلين شعبا- ألاحظتم حجم الاختراق الذي لم يحصل لا في

لقد تحطم الحائط، لتجد اليوم بين مثقفينا ومفكرينا من يصفقون للسلطان السياسي المستبدّ، ولنظرتهم الدونية الاستهلاكية غير القيمية فيبيعون فلسطين وعروبتهم وقيمهم فيما كان العكس من الإسرائيلي الذي أعلن جهارًا تمسكه بالقيم والمبادئ الصهيونية وبالقوة.

يقول خالد الحسن عن النظرة الاستخذائية (الضعيفة والذليلة) لأمريكا: (إن هذه النظرة العربية لا تدعو إلى الألم فحسب، بل إنها تدعو إلى الحزن الشديد لهذا القصور العقلي، أو الموقف التبريري للصداقة مع واشنطن).

لقد سقطت الأقانيم الثلاثة يا أبو السعيد، وبات قصورنا العقلي، والتبريري جليًا.

مصر ولا الأردن الموقعتان لاتفاقيات السلام!؟ ونحن نقول: نعم، سقط الانعزاليون من المثقفين والسياسيين والإعلامين العرب في حضن نتنياهو-ترامب أذلاء منكسرين، وها هو يعلن أسماءهم جهرًا! ولكن أمة الكرامة والإباء والهمة العالية لا تموت أبدا بإذن الله.

حوار مع مفكّر (7/4): الاستبداد والاستمراء.

قلنا أن الحوار مع خالد الحسن يأخذك نحو المستقبل بلطافة الأب الحاني الذي يعرض عليك مقوّمات الواقع، مستلهمًا تجارب التاريخ فينهض بك ويسير حثيثًا نحو تحقيق الهدف.

ولنا أن نقرأ عن الاستبداد في كتاب أبو السعيد المحلّق في فضاء القيادة والمعنون: لكي لا تكون القيادة استبدادًا، من حصاد تجربتي،[28] والذي كنّا قد قرأنا قبله كتب أخرى في ذات الموضوع، ولكل نكهته وبصمته منذ فاجأنا عبد الرحمن الكواكبي في كتابه الثري طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد.

وما بين هذا وذاك سنتكلم عن إشارات أبو السعيد في الكتاب بين أيدينا (من يحكم الآخر) حول الاستبداد (الديكتاتورية) حيث يقول بغرابة الطرح وعجب الكلام ردًا عن سؤال سبب ما أسماه المحاوِر لأبي السعيد **الكسل الجماهيري**، ليعلّل أبو السعيد بالقول: (لا يختلف اثنان على أن الجماهير العربية على امتداد العالم العربي قد جُنّبَت من قبل قيادتها. لسبب بسيط هو غياب مستمر للحرية والديمقراطية لصالح نمو مستمر للاستبداد المعبر عنه باحتكار الصواب والقيادة والرأي حتى وصل الأمر في بعض البلدان إلى عدم السماح للجماهير بتأييد النظام إلا بموافقة!) حتى لا يعتادوا على المبادرة!

مضيفا أن الاستبداد طال مجالات: الفكري والسياسي والاقتصادي والقيادي (لدرجة الخنق) وما كان له أن يكون كذلك لولا الشعور

28- ويمكن أن نقرأ للدكتور خالص جلبي: الاستبداد المعاصر، ود. كمال عبد اللطيف بكتابه الاستبداد، بحث في التراث الإسلامي، وأيضا للكاتب محمد عبد الكريم تفكيك الاستبداد، ونقرأ في الوعي للدكتور علي شريعتي كتابه العودة إلى الذات.

بالعجز الداخلي والهزيمة الداخلية لدى القيادة موضحا (أن الواثق لا يستبدّ).

وفي سياق فكرة الاستمراء يوضح أن قمع الحريات لفترات طويلة قد يتحول إلى (استمراء) العبودية! وبالتالي يتم صناعة العبيد! والى ذلك فإن (مجتمع العبيد لا يمكن أن ينتصر) كما يورد نصًا!

ويتنبأ أبو السعيد هنا بالثورات العربية التي قامت لاحقًا نتيجة العبودية، والاستبداد، وقمع الحريات والسلطوية[29].

حيث قال نصا أن: (الاستبداد الفكري والسياسي والاقتصادي والقيادي الضاغط لدرجة الخنق، ينتج بالضرورة هذا الضجر القائم، فضلا عن ما ينتج عنه حُكما من تناقضات ذات طبيعة تفجيرية جماهيرية لا يمكن إذا استمرت إلا أن تنتهي بالثورة الشعبية).

ويعود ليؤكد أيضا (إن الأمة العربية، إذا استمر حالها على ما هو عليه، فإنها مقبلة على انفجار...وسيكون الثمن المدفوع للعودة إلى الطريق القويم باهظاً جداً).

(الانفجار) الذي توقعه أبو السعيد هو ما رأيناه تمامًا في مراحل مختلفة في عديد الدول العربية ما بعد تنبؤات أبو السعيد، بغض النظر عن الكيفية التي أديرت بها الثورات أو الحراكات أو الانفجارات الجماهيرية أو النتيجة التي وصلت إليها.

يورد أبو السعيد ما نصّه: (يقول ميكيافيلي في كتابه (الأمير) في إحدى رسائله لأميره: - إذا غزوت باريس فمن السهل جدا أن تحتلها

29- يؤكد أبو السعيد في كتابه المعنون عبقرية الفشل: ص205 أن (جماهير الأمة العربية ليست عاقرا، فالضغط يولد الانفجار، والظلم يولد النزوع الأشد إلى الحرية والعدالة، والكبت يولد الرفض لما هو قائم، والرفض لما هو قائم يولّد العنف المنظم لاستعجال ما هو قادم لتحقيق ما يجب أن يكون قائما).

لضعف جيشها، ولكنك لن تستطيع البقاء فيها، لأنك، بسبب الحرية القائمة لدى شعبها، ستواجه مقاومة شعبية تضطرك إلى الخروج منها. أما إذا أردت غزو القسطنطينية. فسيكون من الصعب عليك احتلالها بسبب قوة جيشها، ولكنك إذا انتصرت. فمن السهل البقاء فيها، لأن حجم الظلم القائم على شعبها سيعفيك من مقاومة الشعب إلى فترة طويلة).

حوار مع مفكّر (7/5): العقل والغريزة

في حوار العقل والغريزة تنقلنا إشارات أبو السعيد في كتابه من يحكم الآخر إلى مستوى عقلي من المهم الانتباه له فإما ننظّم أمورنا ونعزّز قوتنا الداخلية بالتحكم بأنفسنا عبر العقل، أو فإننا متروكون لقوة الغرائز التي تفرض نفسها علينا وتسيطر.

ولماذا أرسل المبشرون والرسل والحكماء أصلًا إن لم تكن رسالتهم لتنظيم الغرائز والرغبات وتنظيم (وفي سياق متشدد لقمع) الشهوات والرغبات والغرائز لتخدم الشخص والناس والمجتمع وليس لتسيطر عليه!

أبو السعيد يربط العقل بالقضية، ويربط الغريزة الاستهلاك، فالمجتمع والتنظيم والبلد الذي يمتلك قضية يقوده عقله، أما المجتمع الذي يتفلت من القضايا الجامعة فينهار لتصبح قضاياه مرتكزة على حاجاته الغريزية فقط.

يحذر أبو السعيد القيادة من قطع الصلة مع الجماهير، لأنه بقطع الصلة هذه قد يتجه المجتمع لغرائزه (الملذات الدنيوية، والجهوية والإقليمية والعائلية والاستهلاكية الغربية و...الخ).

يقول إن (قطع القيادة صلتها مع الجماهير يقطعها عن القضية القومية) وبالتالي (تتحول إلى الذات! وتصبح الغرائز هي اليقظة ويصبح الاستهلاك هو محور التفكير)[30].

30- يسمي المفكر العربي الجزائري الكبير مالك بن نبي هذا الأمر الاستهلاكي ب«التكديس» أي التكديس لمنتجات الحضارة، الذي لا قيمة له بدون عقل وروح الحضارة، وذلك في كتابه شروط النهضة، وحيث رأى مشكلة الانحطاط في ثلاث مشكلات أولية: مشكلة الإنسان، مشكلة التراب، مشكلة الوقت.

وفي ظل هذه الحالة التي تنقطع بها صلة الجماهير بقضيتها الأساسية لها أن تتجه لشؤونها الخاصة بعيدا عن القضية الجامعة وحينها يصبح السؤال الذي يطرحه أبو السعيد بصيغة المستنكر غير مستنكَر وهو (هل هناك إدراك حقيقي للخطر الصهيوني على الأمة العربية أولا؟) والآن نقول بملء الفم أنه نتيجة غياب العقل وتعملق الغرائز ونتيجة انقطاع الصلة بين القيادة العربية والقضية الجامعة والجماهير وتعملق الاستبداد ودفن الحريات لم يعد للشعب الا أن ينشغل باحتياجاته الخاصة أو غرائزه بعيدا عن قضيته المركزية نعم أصبح كما قلت يا أخ أبو السعيد (الاستهلاك محور التفكير) وقامت الغرائز ونام العقل.

قال خالد الحسن (مجتمع بقضية، يقوده عقله في سبيل القضية وتصبح الغرائز تابعة لا قائدة... لحركة الفرد والمجتمع).

مضيفا لما سبق: (أما إذا زالت أو تقلصت القضية فإن الديناميكية المجتمعية الجماعية تتفتت، وينتهي الموقف النضالي الجماعي المنظم للشعب... ويصبح الموقف الجماعي يعبر عنه بمجموع مواقف الأفراد التي تقودها الغرائز، وهي بالنهاية المتعة والاستهلاك... وهذا واضح تماما في وضعنا الحالي). هو يقول واضح تمامًا في وضعنا الحالي أي قبل 40 عامًا فكيف بالله عليك بوضعنا الحالي!.

يضيف لا فُضّ فوه: (إن المجتمع الذي لا محورية فيه إلا المنفعة والاستهلاك، تنفصل فيه الفردية عن المواطنين فترتبك فيه العلاقة الجماعية والحركة الجماعية التي لا تقوم إلا بقضايا جماعية وطنية كانت أو قومية).

حوار مع مفكر (7/6): الدولة الفلسطينية والمرحلية النضالية.

في سياق حوارنا الافتراضي مع القيادي العربي والمفكر خالد الحسن وفي كتابه المعنون: من يحكم الآخر أمريكا أم «إسرائيل»؟- والذي هو بحقيقته محاضرة سياسية جامعة لعناوين عديدة ارتبطت بالأسئلة الموجهة له- يتعرض أبو السعيد للمطلوب من الأمة العربية لتنهض قوية.

كما يتعرض للحرية والديمقراطية، ويقرن الحرية بالديمقراطية والقيادة بالجماهير، ويغلّظ (يضع خطين تحت) أهمية الارتباط بالأمة العربية ومؤكدا ضرورة عدم قطع الصلات معها بتاتًا.

منوهًا بضرورة التركيز على الرئيسي من الأهداف، والتركيز على مهاجمة الموقف الصهيوني وليس العربي، حيث يمكننا إيجاد الكثير من العناصر والمواقف التي تقربنا كأمة ولا تبعدنا، وننسج منها حبلاً غليظا يفتك برقبة الصهيوني.

يقول في سياق حديثه عن القرار242: (ولتوضيح ما أقصده لنأخذ مثلا آخر هو مقولة (الخيار الأردني) التي أطلقها حزب العمل الصهيوني في برنامجه الانتخابي. أن رفض الخيار الأردني واجب قومي وضرورة وطنية والهجوم الإعلامي يجب أن ينصب على الموقف الصهيوني الذي يمثله حزب العمل في مقولة الخيار الأردني)، أي ليس له أن ينصب على الأردن مثلا أو على الأمة.

وحيث يوضح مثاله بالقول: (والموقف الأمريكي الذي أيّد حزب العمل. لكن الذي حصل، أن أخذت بعض وسائل الإعلام تهاجم الأردن، الذي رفض (الخيار الأردني) والذي لا دخل له في هذه المقولة

الصهيونية تفكيراً ومصدراً وإعلاناً).

ويؤكد في ثنايا الكتاب وبصراحة مطلقة على أن فكرة المرحلية النضالية تمثل سياسة الخطوات فإن بدأنا بدولة مستقلة على جزء من فلسطين، فليس لنا إلا أن نكمل الطريق للدولة العربية الفلسطينية الديمقراطية على كامل فلسطين.

حيث يقول: (إن قيام الدولة يمثل خطوة على طريق تحقيق الهدف النهائي في إقامة الدولة الديمقراطية الفلسطينية على كل التراب الفلسطيني).

ويضيف مؤكدا بلا جدل أن: (إقامة الدولة الفلسطينية، إذا كان هدفًا[31] بذاته، فهو تفريط وخيانة، وإذا كان موقفا يتم الحصول عليه باعتباره خطوة على طريق استمرار النضال من أجل تحقيق الهدف النهائي، فهو أمر مشروع وطنيًا وقوميًا).

31- المقصود إذا كان هدفًا نهائيا، ليس ما بعده هدف.

حوار مع مفكّر (7/7): القيادة الجماعية والعرب.

حول القيادة عامة وحول الاستبداد نرجع لمؤلف أبو السعيد حول الموضوع[32]، وما لنا هنا في كتابه من يحكم الآخر إلا أن نناقش الإشارات الهامة لمفاهيم القيادة والقائد والموقع، ثم نختم بالمطلوب من الأمة.

يقول أبو السعيد أن القيادة تعبيرٌ شعبي، وأنها رضا وثقة بالأقوال والأفعال، وإنها تمثيل لمصالح الأمة.

وأن القيادة شيء نراهُ بالقول والفعل، أما موقع القيادة أو مهمة أو مركز أو منصب الشخص على قمة الهرم المسمّى موقع القيادة فهو بنص كلامه الهام (اختبار للصدق والقدوة)!

يقول نصًا: (إن القيادة هي تعبير شعبي عن الرضا والثقة بأقوال وأفعال المسؤول لما يتوفر في قوله وفعله من قدرة وصدق ووضوح والتزام وممارسة صادقة واضحة، تعبر في مجملها عن مصالح الأمة أو الشعب، فينصّبه الشعب قائدا من خلال تجاوبه مع أقواله وأفعاله وعدم التردد في العطاء لما يتطلبه القرار من عطاء... عندها يصبح مَن في موقع القائد قائداً). ، وهذا هو الزعيم أو القائد الزعيم وليس القائد الذي يعتمد على أدوات سلطته أو القائد المستبد.

فمن يجلس على قمة الهرم الإداري/القيادي لأي مؤسسة أو تنظيم أو بلد ليس بقائد مطلقا! بل هو في موقع القيادة، فإما أن

32- خالد الحسن، لكي لا تكون القيادة استبدادًا، من حصاد تجربتي، نشر عام 1995 أي بعد وفاته، وهو من فصول ودراسات قد نشرت للمؤلف سابقا، وقام بتنسيقها سعيد الحسن. وله كتاب هام جدا تحت عنوان: عبقرية الفشل الصادر لأول مرة عام 1986م.

يصنع موقعه بالأقوال والأفعال التي مقوّمها الرئيس الصدق مع النفس والناس، وإلا فهو جسد ميت ألقي على كرسي.

يقول أبو السعيد: (وخلاصة القول، إن القائد لا يصنعه موقع أو قرار، وإنما يظهر عبر حركة متداخلة مع حركة الجماهير وآمالها ومواقفها... فيصبح قائداً لأنه كذلك، وليس لأن قراراً منه أو من غيره صدر بتعيينه قائداً).

موقع القيادة أي الجلوس على قمة هرم أي مؤسسة هو اختبار كما قال أبو السعيد، وكثيرون من سقطوا بالاختبار وظنوا وفي ظنهم هنا كل الإثم أنهم قادة!

وما كان لهم بافتقادهم القدوة والمصداقية وشروط القيادة الأخرى إلا أن يدركوا بأن ظنونهم ما هي إلا حلم، أحبوا أن يعيشوه ولربما عاشوه حتى انفجر بهم الكرسي فلم يعودوا يمتلكون الصورة، وتم توديعهم بالأحذية.

يقول أبو السعيد أننا نحتاج إلى قيادة جماعية في الأمة العربية، وبالطبع في الثورة الفلسطينية، نحتاجها في عاملنا العربي وحاجتنا هذه تنظر وتتأمل أن يحصل التفهم الثنائي والجماعي بين أطراف الأمة العربية (قيادات وشخصيات...) كلها لأن الفهم بحد ذاته والتفهم المشترك يجنبنا سوء الفهم.

فيما يتجاذب العالم العربي عقليتنان كما قال أبو السعيد الأولى: عقلية احتكار الصواب والعمل والقرار، وهي عقلية من يمتلك حق النقض «الفيتو» على الآخرين والثانية: عقلية التفاهم والاتفاق، وهذه الثانية هي التي يدعو لها، فلا تضامن عربي كما يقول مع وجود فيتو، ومربط الفرس هو الاتفاق العربي ولو بالحد الأدنى.

نحتاج إلى قيادة جماعية في عالمنا العربي، ولماذا يا أخ أبو السعيد؟ ليقول بوضوح أن الحاجة تأتي لتحقيق عدة أهداف وأبرزها ثلاثة كالتالي: تحقيق الفهم المشترك، ووضع برنامج الحد الأدنى وهو ما يحصل من خلال الجامعة العربية على ضعفها، وثالثا: الالتزام الوفي ببرنامج الحد الأدنى.

ونعود لنسأل: من أين لنا يا أخ أبو السعيد بما أسميته (الالتزام الوفي ببرنامج الحد الأدنى)! حينما قامت أذناب الانعزاليين العرب (عباقرة الفشل)[33] لتدعو وتمارس وتطبق إرادة المحتل فتجتبيه خليلًا وتسلط سهامها على ذات القضية ثم أهلها، والى ذلك تركن الوفاء جانبا، وتنقض بشكل جلي ما أسميته برنامج الحد الأدنى!

يؤكد الأخ أبو السعيد على ضرورة استقلالية القرار الوطني الفلسطيني لكنه يشدد رغم كل المصاعب وهول الأزمات والشدائد على (حتمية التنسيق الكامل مع القيادة العربية التضامنية الجماعية في الصراع حتى النصر على عدونا المشترك الصهيونية والاستعمار العالمي وبعدها... لكل حادث حديث). ...ولكل حادث حديث.

33- تنويها لكتاب أبو السعيد المعنون: عبقرية الفشل الذي قال فيه ص15: (من غير المفهوم إطلاقا في ساحة العالم العربي تبلد الإحساس ووصوله إلى درجة من الموات تظهر فيه اللطمات المتوالية التي تنهال عليه من واشنطن، ليس فقط في المجال الاقتصادي بل أيضا في المجال السياسي لحد وصل إلى جلد الكرامة والسيادة وتهديد وجود هذه الأنظمة...)، مشيرا ص16 أيضا أنه (من غير المفهوم إطلاقًا حتى بمفهوم الضعيف، الصمت على العربدة الأمريكية والإهانات الأمريكية لحلفائها...).

الفصل الخامس:

دور جديد للتنظيم السياسي

دور جديد للتنظيم السياسي

التنظيم السياسي هو الإطار أو الوعاء الذي يدمج الشعب بكافة فئاته ضمن أهداف وبرامج ورسالة التنظيم التي هي ذاتها رسالة الشعب، فيقومون طواعية وبوعي كامل وعن محبة شفافة ورغبة نشطة وعطاء مثمر بالعمل المركّز تحقيقًا لهذه الأهداف، التي على رأسها في الحالة الفلسطينية تحرير فلسطين.

إن الأهـداف لا تنفصل عن احتياجات الجمهور، بمعنى أن بوصلة الأهداف في قلبها وروحها تمثل حقيقة الإحساس العميق لدى الجماهير بالقضية المركزية الجامعة للشعب والأمة.

تتغذى القضية المركزية من عقيدة ثابتة لا تتزعزع، يتم تناقلها عبر الأجيال من جهة، ومن جهة أخرى يغذيها واقعٌ قابلٌ للفهم ضمن منهج للتغيير بما يشحذُ الهمم باتجاه هذه القضية المركزية، وليس نحو ممثليها.

وإلى ذلك تجد من ركائز ثبات وتناقل ونموّ الرسالة أو القضية المركزية مجموعة معتبرة من الرُسُل أو الدُعاة أو الجذريين المبشّرين والقدوة الذين يستنشقون هواء القضية المركزية فتتخلّل كلّ كيانهم حتى تظنّنهم ذات القضية تمشي مع خطواتهم.

إدماج وليس هرس، والفكر الوردي

أن التنظيم السياسي الفعّال هو التنظيم القادر على إدماج كل فئات الشعب في القضية المركزيّة التي تتحوّل لدى هذا الشعب، وفي الناس في مأكلهم ومشربهم وفي صحوِهم ونومهم إلى نبتَة يتعهّدونها

يوميًا بالعناية والرعاية حتى الإثمار.

إن مركزية الفكرة أو القضية أو باعتبارها التناقض الرئيس ذو الأولوية الواجب حلّها تتحقق حينما تتجلّى لدى الناس فيما يقولون ويفعلون ولا تظل شعارات بائسة غير مفهومة التجليّ مثل: أني فلسطيني، وأني عربي، أو أني مسلم أو مسيحي أو مناضل ومجاهد ووطني، فالعاطفة أو الإحساس الذي لا تترجمه الإرادة إلى فعل يومي ثابت العقيدة، ومنهج عمل سرعان ما تتقلّب في غرف القلب الأربع البطينين والأذينين.

التنظيم السياسي الفعّال إطارٌ أو وِعاءٌ جامع قابلٌ لاستيعاب المختلفين وتنويرهم وتثويرهم وتشغيلهم.

ومن حيث إنه إطار ووعاء جامع، لذا فهو ليس كمن يجمع حبّات الحمص ليضعها تحت مدقّة صاحب محل الحمص فيسحقها ويهرسها معًا، بل هو مثل الجامع الذي يترقب المؤمنين للصلاة صفًا واحدًا رغم اختلاف خلفياتهم أو مشاغلهم الأخرى.

بمعنى أن منبر المسجد (أو الكنيسة) إن كان بمنطق القيادة فإن الوقوف للناس صفًا واحدًا لا يمكن أن يتم إلا بوجود الرابط الوثيق من العقيدة الدينية والعقيدة الوطنية التي لا تتوفر في أصحاب فكر مدقّة صاحب محل الفلافل والحمص والمسبّحة، وإنما تتوفر لدى أصحاب الفكر الوردي حيث يتمكن البستاني أو صاحب محل الزهور تنسيق الأزهار والورود متنوعة الألوان والروائح في باقة واحدة جميلة، ونحن نريد هذه الباقة.

العزلة ثمن الفشل

فشلت قيادات التنظيمات السياسية اليوم في تنسيق الزهور، وفشلت في نظرية المِدقّة أيضا، فلم تستطع أن تجمع الناس بمحبة وكرامة وطواعية، ولم تستطع أن تجعل من العقيدة الدينية وتلك الوطنية الحضارية حصنًا حصينًا لكل الأزهار المزروعة في بستان التنظيم السياسي.

لقد حطّمت القيادات البائسة كل تغريدات الثورة الفلسطينية قديمًا من مثل شعار دع ألف زهرة تتفتح في بستان الثورة، وهي إلى ذلك -أي قيادات التنظيمات السياسية في غالبها- بدلًا من أن تعتبر ذاتها نموذجًا وقدوة ومنارة يُستضاء بها اتخذت ركنًا مظلمًا قصيًا وعزلت نفسها عن الناس، وبدأت تخاطبهم كما يفعل رُكاب وسائل التواصل الاجتماعي اليوم الذين يفترضون بذاتهم مناضلين من وراء لوحة المفاتيح أو عبر الهواتف النقالة، فكأنما حق للطرفين المثل القائل كما تكونوا يولّى عليكم.

فشلت التنظيمات السياسية الثورية المناضلة في إلزام قادتها بالالتزام بما تتفق عليه، فتسطّحت الأطر، وشُنِقت القوانين، وغاب القرار الجماعي، وسادت الفردية والاستبداد واللاتخصصية ومراكز القوى، فبدت الصورة قاتمة من التوزع والاشتباك والعدائية والتنافر، ولم يعد للإطار أو الطاولة التي تجمعهم أية أهمية.

سقوط الفكرة الإقطاعية وبقاء الإقطاعيين

إن كان بالأمس من عمر الثورة الفلسطينية الباسلة لإقطاعيات

القيادات السياسية أن تنشأ وتتطور لأسباب عديدة ارتبطت بالظرف والنشأة والانطلاقة وسحر الفكرة وعنفوان القضية والمؤسسين، فلقد سقط اليوم العصر الإقطاعي، ولكن العقلية الإقطاعية ما زالت قائمة.

سقط بالأمس مفهوم (الاستزلام[34] أي التبعية لشخصية قيادية)، ولكن العقل الاستزلامي هذا لدى قادة اليوم في غالب التنظيمات الثورية المتلحّفة بتاريخها فقط! مازال يمثل الحلم عندها على مظنّة أن الخَلَف-أي هم- يشابهون السلف! وشتّان.

ولا استزلام اليوم ولا إقطاعيات تدوم بتاتًا في ظل أن العالم كلّه بكافة مساحاته وفضاءاته المفتوحة لا يمكن أن يُقاد إلا بروح الحب، والتأثير الجميل، وبعقلية المنطق والقدوة، وبمركزية القضية ومن خلال المنهجية المؤسسية التي لا تجد لدى قيادات الفصائل أي متسع في عقولهم أو قلوبهم ناهيك عن ممارساتهم.

القيادات الغائبة عن الوعي وصيرورة التاريخ والتغيير يمنّون النفس أن يكونوا كبائعي الحمّص، فيقومون بدقّ الحبات فقط، فتخرج لها صحناً شهيًا! ولكن الناس ما كانوا أبدا مثل ذلك، ولن يكونوا قابلين للهرس!

القادة السياسيون الذين يتشبّهون بسابقيهم! خابوا وما أصابوا، فهم ليسوا بجذابين، ولا يمتلكون سِحراً طاغِيًا (كاريزما) كسِحر من سبقوهم فليعُوا هذا جيدًا.

ولا الزمان هو الزمان، أي أننا ابتعدنا كثيرا عن زمن وهج الثورة وشعلة النضال المتقدة فلا يظنون -وهم بظنهم هذا خائبون- أنهم بقدرة السير وتحقيق النصر بهذا المنطق الأعوج.

34- الاستزلام المشتقة من كلمة زلمة أي الرجل العامية الشامية، من الجذر العربي زلم وأزلام. والزلم بالعربية هو السهم، وزلم بمعنى قطع، والزلمة الهيئة.

الأمراض المزمنة والمتزلّفين

في التنظيمات أو الفصائل السياسية الثورية الفلسطينية سواء في إطار منظمة التحرير الفلسطينية أو خارجها تصادفك شتى الأمراض التي نخرت بالعظام والقلوب والعقول، وأصابت حتى البنكرياس! ولم ينفع معها جائحة الفيروس التاجي المستجد (كورونا) سواء الصحي أو السياسي لتستفيق من غفلتها!

وكيف يستفيق مِن غفلتِهِ مَن استطابت عجيزته الكرسي! أو استطاب الدفء بين أحضان رغد عيشه! أو من استطاب الابتعاد عن الجماهير ومخاطبتها من فوق الحائط النفسي الذي يكنّه للآخرين! وظن أنه في (إقطاعيته) أو عرش مملكته الموهوم قد نال كل الرضا! فما دامت الوفود من المدّاحين والمتزلفين والاتباع تستقبله كل يوم بمديح يتلوه قصيدة شعر، ومنشور تقرب على وسائل التواصل الاجتماعي، فهو إلى التقوى أقرب وتجري من تحته الأنهار!

خاضت التنظيمات السياسية معترك النضال من أجل هدف واحد لا ثاني له هو فلسطين، تحرير فلسطين، واستعادة الأرض المغتصبة، فلا هم أصابوا في ذلك ولا هم استطاعوا أن يغرِسوا في عقول الأجيال القادمة مركزية المهمّة، ومركزية العقيدة، عقيدة فلسطين، ومركزية الفعل المتمحور حول الهدف الذي لا ثاني له بل تنافسوا في السفاسف والترهات وفي السلطات المحدودة وفي التباغض دون أي أهمية أو اكتراث لأهمية العقد الذي يجمعهم.

عِقد فلسطين

إن كانت الثورة الفلسطينية بفصائلها ومن ورائها أحرار الأمة تمثل العِقد (الطوق) الذي يلتف حول رقبة الحسناء، فإن فلسطين هي تلك الحسناء، ونحن كأفراد وجماعات قيادات وكوادر وجماهير يجب أن نكون مثل حبّات العِقد الملتف حول رقبة فلسطين بإحكام يأتي من صلابة العقيدة وصلابة المرجعية الفكرية وصلابة العمل الدؤوب للمستقبل.

تتمثل الجماعية ومكانة التنظيم في جماعية حبّات العِقد (الطوق) التي يربطها معًا خيطٌ رفيعٌ ولكنه مهم، وبدونه لا تتزين فلسطين بأبنائها الذين يجب أن يضحّوا من أجلها.

وهذا الخيط الجامع لحبّات العقد أو المتمحور حول القضية المركزية هو العقل المرجعي والعقل المؤسسي، وهو الإطار أو الوعاء الجامع، والذي يكرس وجود المؤسسات واحترامها، ووجود القوانين والنُظُم والالتزام بها، واحترام التداول والتغيير في إطارها، إطارها الذي ما خُلق أصلًا إلا لينتظم حول عنق فلسطين وليس حول عنق القائد الزرافة أو القائد التيس أو القائد الحمار من أصناف الرجال[35].

أمراض الرطانة والتلعثم، والعقل المنتصر

لقد سقطت قيادات التنظيمات النضالية السياسية في أتون البذاءة والرطانة الكلامية، بلا معنى كما سقطت في بلاهة الذي لا

35- يكتب الدكتور «كيفن غازارا» عن عشر دروس قيادية من الزرافة. وأنظر الحكم من قصة جحا وابنه والحمار وركوبه أو السير بقربه، وعدم تذمر الحمار والتركيز فقط على الهدف!

يعرف ما يفعل، ولا يأبه لذلك! فأصبحت عاجزة كل العجز من حيث العمر، بمعنى أنهم توقفوا زمنيا بالتفكير، وتكرار ذات الأفعال، عند مرحلة الستينيات أو الثمانينيات من القرن العشرين، وكفى!

أما من حيث المقدرة الجسدية ومن حيث المقدرة النفسية وتحمل الضغوط فحدّث عن قيادات اليوم ولا حرج، فهي عجزت عن الأخذ بيد قطار التنظيم والسير به للمحطة التالية، وكيف لها ذلك وهي أصلًا لم تزوّده بالوقود وما الوقود الا بناء العقل!

وهي أصلًا تفترض بذاتها كمال العقل! وهي التي من جهالتها وحماقة تفكيرها فرّ منها إمام الحمقى والمغفلين المدعو هبنّقة.

تظهر اليوم علائم الشيخوخة العقلية بوضوح أكبر مما كنت قد تحدثت عنه في زمن مضى ما أزعج الكثيرين من القادة وسبّب لهم الكآبة، فإما ماتوا وإما ما زالوا مكتئبين!

الشيخوخة الفكرية والعملية (تكرار ذات الأفكار أو الأفعال البائسة) وهي ما نتحدث عنه في عديد قيادات الصدفة اليوم مثلت عجزًا مقيّدًا عن الفعل الخفيف! وليس الفعل التغييري أو الفعل التجاوزي أو الفعل الإبداعي. ولكنها والحق يقال ظلت كالببغاء قادرة على الترداد بلا ملل لكلام ممجوج ومُملّ.

ما كان العقل التغييري والعقل المنتصر وما كان الحسّ الرّسالي في القادة الحاليين كمن سبقوهم بتاتًا فلا مجال للتوهم! حيث حلّ مكانه العقل العفِن كل العفن، والعقل الساكن كأهل القبور! وهو الدماغ الذي يأمل رغم عفونته وسكونه بالتفاف الجموع الضخمة حوله.

تراهم يجلسون على عتبة مكتبِه بوداعة الحملان ونفوسهم

تمور غيظاً، يجلسون لمصلحة شخصية أو استهلاكية أو آنية فلا خيل عند ذوي الأبواب المغلقة يهدونها ولاعقلُ، والى ذلك فالنُطق عندهم أسوأ من نُطق واصل بن عطاء أمير المتكلمين الذي كان تلعثمه بحرف الراء -ويا للعجب-مقدمة للفوز! بينما تلعثمهم هم مقدّمة للفخر بعجزهم، وعجيزتهم وقلّة حيلتهم.

الحشد الديناصوري لا التنظيم!

إن الفشل هو السمة الواضحة اليوم في مختلف التنظيمات النضالية السياسية في فلسطين، لا نستثني أحدًا من هذه الفصائل الكبيرة منها أو الصغيرة النووية، وكلما زاد حجمها بالحشد لا بالتنظيم المليء لتصبح كالديناصور حجما تناقص عقلها! كما هو حال دماغ الديناصور الصغير الذي لم يحتمل كِبر جسده!

لكننا بالمقابل ما زلنا نقرّر أن الخيط الرفيع الجامع بين أجزاء الشعب هو العمل المؤسسي المنظّم، والإطار أو الوعاء الجامع، لذا لا غنى عن التنظيم (المنظمة/الجماعة/المؤسسة) بتاتًا، وهو التنظيم الثوري الذي لا يكف عن النضال كما الحال مع سمك «التروت» قريب السلمون الذي يناضل ضد تيارات النهر العالية ليعود من البحر إلى موطنه الأصلي في المياه العذبة فيضع بيوضه ويستمر بالبقاء ويحقق النصر.

إن مَن يفترض القدرة على مقارعة المحتل الصهيوني الذي ذبح الأمة من الوريد إلى الوريد منفردًا فهو واهم.

ومن يظن أنه كعربي فلسطيني لوحده قادر على اجتياز سباق العدو (الركض) ضد الصهيونية العالمية، وتحالفها الأمريكي والانعزالي،

فهو أيضا واهم، فلا بد من عقد ينتظم.

إن التنظيم السياسي آلية ربط ورباط وآلية سبق وثبات، وآلية بناء عقيدة وتضحية وإيمان لا يتزعزع بالنصر متى ما تفلّتت منه هذه المفاهيم تحوّل التنظيم إلى ملعب كرة قدم كبير تدخله الجماهير لحضور مباراة ثم تتبعثر، فلا قيمة للجماهير خارج العرض أو الملعب، وما التنظيم السياسي النضالي بعرض رياضي أو سياسي مؤقت بينما هو فعل يومي دؤوب متناغم، مرتكز على قضية لا تموت على الأقل بالنسبة لنا نحن العرب الأحرار، ونحن العرب الفلسطينيين.

الفئات الثلاث ومدرسة التجدد

ترى وتسمع يوميا عن الفئات والتصنيفات داخل المجمّعات (الإقطاعيات) المغلقة للقيادات الفلسطينية التي امتهنت (الثورة) أو امتهنت (من المهنة) الإسلام! أو امتهنت الوطنية وجعلتها شعارات توزعها كما تشاء، فسلخت الجماهير عن فعلها اليوم واحتكرت هي البداية والنهاية-كما تظن- في عملية مغلقة لن تثمر إلا التراجع والفشل.

نجد في الساحة التنظيمية اليوم **ثلاث فئات سلبية واضحة** وصارخة أولها وأعلاها صوتًا **فئة الانتهازيين**، الذين يأخذون كل شيء! وهم الفئة التي تمتصّ دماء الشعب وتتغني بالقضية.

وهناك **فئة المنحرفين والمرتبطين بأطراف خارجية، أو بمصالحهم** الرغبوية الذليلة والذيلية.

وهناك **فئة المحطمين والمنهزمين** بتضخم الأنا العُليا فيهم وهم المنهزمين بعنجهيتهم واستبدادهم وبُعدهم عن آلام الناس بل

واستخفافهم بها، وهم على قلتهم فإن أو داجهم منتفخة بشعاراتهم الكبيرة الكاذبة، أو بالحقيقة بغبائهم الوراثي وهم الذين ما ركبوا سنام الجمل إلا لعجز الجمل عن الرفض! وليس لقدرتهم على رد الأعاصير.

إن تنظيماتنا الثورية السياسية اليوم ضرورة شعبية لا غنى عنها، كما لا غنى عن القيادات الرّساليّة الجذرية، وكما لا غنى عن كل مخلِص لله سبحانه، ولفلسطين وفي الأجيال حيث المستقبل بين أيديهم.

الفعل المؤسسي الرّسالي المنظم بهذه الأمة العربية والإسلامية الحضارية الشعلة، وهذا الشعب العظيم وهذه الكوادر الزاخرة بالطاقات التي لا تنضب ضرورة لتواصل الثبات وتماسك العِقد ومركزية القضية، وضرورة للاستمرارية والديمومة، ولكن قيادات العجز والانهزام والتسلق إن لم تنحسر خسرنا، وكادرات التنظيم السياسي عامة يجب أن تتجدد وإلا ستتبدّد وتزول.

في العالم العربي والإسلامي آلاف الجماعات الفكرية، والتيارات السياسية، والتنظيمات الاجتماعية والعصائب التي قامت تلاحق الأمل ثم طغت، فانتحر المعنى لديها وانتهت إلى غير رجعة، لا سيما أن كل من الفئات الثلاثة القيادية السلبية الباهتة هي الموجودة حتى الآن في منطقة العجز شعارها: أنا ومن بعدي الطوفان؟

الجذريّة في مواجهة العجز العقلي

إن العَجَزَة عقليا وفكريًا وإبداعًا وتطويرًا في التنظيمات السياسية من المنهزمين والانتهازيين والمنحرفين والذين رغم علو شأنهم فضائيًا، وهو الشأن الذي نمى وكبر نتيجة التطبيل والتزمير القائم هذه الأيام

بتسليع كل شيء من خلال وسائل الإعلام.

هؤلاء لا يمكن أن يشكلوا محطّة ركوب للجماهير، التي رغم ضيقها وبُعدها النفسي عنهم، فهي تعرفهم وتكشفهم ولا تقبلهم، وان اضطرت لضيق خياراتها لتقبيل بعض أيادٍ فيهم ففي نفسها مقولة: قبّلها وادعُ عليها بالكسر.

إن العقلية الرسالية والعقلية الحضارية أو النضالية المشتعلة شوقا نحو الحرية والنور والتحرر هي عقلية العمل المُنجِز، وهكذا فقط تكون القيادات الجذرية في مواجهة تلك المحطمة أو الانتهازية أو المنحرفة.

لا يمكن لمنطق العجز العقلي والتحشيد الحيواني الاستعراضي للتنظيم السياسي أن تسود إلا في تنظيمات الاستهبال والاستغفال للجماهير، وما الجماهير بغافلة ولا هي بجاهلة وإن ظهَر من بعضها ما يشبه ذلك، لأن الجماهير دومًا أكبر من قياداتها، فهي صاحبة القضية.

إن التاريخ حركة فعل متصِلة، وحلقات إنجاز تراكمي، وبناء عميق تتعانق في طيّاته إرادة العقول الكبيرة من أصحاب العقيدة والرسالية والجذرية والقدوة مع سواعد الجماهير وقلوبها، وبها ومنها دومًا تتحقق المعجزة، ويتحقق النصر.

في مواجهة الفشل، والدور الجديد

في الآونة الأخيرة ونظرًا للخلافات التي تظهر بين التنظيمات السياسية في كل مكان، ومنها في فلسطين تتصاعد مجموعة من الدعوات غير البريئة التي تطالب بإسقاط {التنظيم السياسي} كفكرة! وأهداف، وأطُر، وبرامج وليس فقط كشخوص فاسدة أو مواقف

سلبية، أو عوضاً عن إسقاطها تحاول التقليل من شأنها على فرضية أن منظمات المجتمع المدني هي المؤهلة للقيام بالدور الذي كانت تقوم به هذه التنظيمات السياسية؟

إن عملية الخلط بين الأفعال أو المواقف أو السياسات المشينة أو الخاطئة أو الانتهازية لأشخاص أو قيادات في التنظيم السياسي وتعميمها لتطال كل التنظيم السياسي فكرًا وجماعة ودورًا هي عملية قد تكون مقصودة أو منظّمة، وقد تمثل تساوقًا شعبيًا لمثل هذه الدعوات أو الاتهامات المبالغ بها غالبًا، أو لتقصير لدي التنظيم السياسي ذاته الذي مازال يعيش في قوقعته السابقة، أو في إطار عقليته المغلقة دون نقد ذاتي ومساءلة ودون تفعيل لأطر المحاسبة الداخلية أو دون الوعي بمتغيرات الحال، وأهمية الاستماع بإصغاء للآخرين، وضرورة الانفتاح الواقع في المجتمع الذي كثُرت فيه الانتماءات وتشابكت فيه الاتصالات وغصّت به الأخبار والبيانات المهدرة للوقت قبل المعلومات.

القضية العادلة في التنظيم

التنظيمُ السياسي الوطني أو الثوري مرتبط بقضية رئيسية عادلة، لا يمكنه تجاهلها، ولا يمكنه ولا يجدر به التخلّي عنها حتى تحقيق النصر.

إن عبثية أو فساد طُغمة في داخل التنظيم السياسي شيء متوقع، (ألهمها فجورها وتقواها).

فهذه النفس الإنسانية فيها مَن تبهرهم الأضواء أو استبداد القائد، أو سلطة الموقع أو الكرسي فينحنون أمامها راكعين خانعين.

وهناك من يدخلون التنظيم بنوايا انتهازية أصلًا للركوب على أظهر الآخرين، وعليه يصبح الصراع الداخلي لدى الطليعة أو المجموعة الواعية لا مفر منه مع مثل هذه الطغمة.

في ظل فساد شخص أو مجموعة يجب خوض الصراع الداخلي في داخل التنظيم (وفي كافة الدوائر المحيطة بالشخص وفي ذاته)، وليس الهروب وإدارة الظهر، وليس العمل على نقض الفكرة الأساسية، فكرة التنظيم الذي ما هو إلا وسيلة لتحقيق هدف.

ولا يجوز فيه التعميم بل التخصيص، لذا فإن التنظيم السياسي لأصحاب القضية -أي قضية- ضرورة حقيقية لا يمكن القفز عنها.

التنظيم وعاء الطاقات

حال تحقق الأهداف الجزئية أو الكليّة، فإن التنظيم السياسي لا ينتهي، وإنما قد تتغير مجالات النضال أمامه أو الأهداف والغايات، ولكنه يظلّ فكرة أو أداة صالحة جامعة للطاقات والقدرات، ووعاءً شاملًا لا يمكن لأي منظمة نقابية أو تطوعية أو ثقافية أو غير حكومية أن تحل محلّه.

إن النظر للتنظيم السياسي بذات النظرة القديمة لا يستقيم معها العمل والتقدم والعطاء، ففي الوقت الذي كانت فيه القضية السياسية (الفلسطينية في حالتنا) تفرض نفسها بوهج يغطي العيون، أصبح الوضع أكثر صعوبة في ظل التشابك وتعدد الانتماءات، ما يُلقي على أعضاء التنظيم السياسي المؤمن بقضيته النضالية أن يتجدّد بفهمه وفكره التنظيمي، وتطوير قدراته، وآليات عمله وتدريب أعضائه دومًا على الجديد.

صلابة، وتأهيل الجيش

لم يعد الرجل الفذّ أو القائد الأعجوبة أو الزعيم الرمز يمثل عاملًا جاذباً للكثير من الناس، ففي ظل الانفتاح العالمي وقِصَر المسافات الفكرية المتباعدة عبر الشابكة (انترنت) ومن خلال وسائل التواصل الاجتماعي ظهر أبطال كثيرون، وجلّهم نمور من ورق[36]، ولكنهم بالنسبة لمتابعيهم أيقونات تنافس أيقونة الزعيم الأوحد سابقًا.

أنت بحاجة لجيش متكامل من المنتمين الصلبين الثابتين على الحق نعم، ولكنهم المؤهلين والمدربين ليستطيعوا أن يصِلوا لكل فرد في بيته ومكان عمله، فينشرون الفكرة ويدافعون عنها بقناعة الصاعد للجبل.

لم يعد للطريقة القديمة جدوى كبيرة تُذكر من صحيفة تُوزع، وكتيب يقرأ، أو تعميم يتم الاحتفاء به! أو من برنامج في الرائي (التلفزة) يؤثر أو ينظّر للزعيم الأوحد!

لقد أصبحت مقولة «لينين» القديمة: «أعطني صحيفة أعطيك حزبًا ثوريًا يقلب روسيا القيصرية رأساً على عقب» تحتاج لإعادة فهم بصيغة جديدة وفق تطور الأحوال.

لقد تبدّلت الأساليب واختلفت الميادين، وأصبحنا اليوم بحاجة ماسة -في ظل طوفان المعلوماتية والاتصالات- لمخاطبة كل إنسان على حدة، وبأسلوبه وحسب ثقافته، وبشكل تبادلي تفاعلي، وهذا ما لا يقدر عليه شخص واحد، أو ما لا تقدر عليه الدعاية التنظيمية

36- «نمر من ورق» هو تعبير أطلقه الزعيم الصيني «ماوتسي تونغ» عن القنبلة الذرية والرجعيين، ومما قاله: «إن الرجعيين نمور من ورق، فالرجعي يبدو مخيفًا ولكنه في الحقيقة ليس بهذا القدر من القوة. فعلى المدى الطويل نجد أن الشعوب، وليست الرجعية هي القوة في الحقيقة».

(الحزبية) القديمة الموجّهة فقط، وما لا تقدر عليه الحكومة أحادية الاتجاه (الاستبدادية)، أي إنك بحاجة لمنابر ومنصّات جديدة تفاعلية، وبحاجة معها لجيش مدرّب ومؤهل ينظّر وينشر ويدعو ويجذب ويستقطب الناس، بأليات وطرق متنوعة بتنوع شخصياتهم، وتنوع الأدوات الجديدة.

ومن هنا فإن الحفاظ على العضو المنظّم والكادر المنتمي والمؤهل والمدرب يمثل استثمارا في القضية وفي المستقبل.

التنظيمات والعمل السياسي والتحشيد

ما زالت التنظيمات السياسية والأحزاب تمثل حقيقة الربط بين المكوّنات والشرائح الشعبية المتنوعة في البلد، لذا فإن وجودها يعدُّ مدخلا هامًا للجذب، والتكتيل، وتشكيل الرأي العام أو التأثير فيه.

العمل السياسي هو عمل التنظيم السياسي، وهو يعني جذب الأعضاء واقناعهم بالقضية العامة وتثقيفهم وتدريبهم، وجعلهم جنودًا متطوعين ينخرطون في فِعل النضال الرئيس، لا سيما وتعدّد مجالاته هذه الأيام، فلم يعد النضال مقتصرا كما كان الأمر بالثورة الفلسطينية قديمًا ما بين العمل العسكري والعمل السياسي الصِرف (وبعض المجالات الأخرى) بحيث عُني حينها بالعمل السياسي العمل السلمي فقط -بعيدا عن التعريف الحقيقي لمفهوم السياسة- وفي مواجهة مفهوم العمل العسكري.

الأدوار المعتادة للتنظيم السياسي وخاصة الثوري الجهادي منه أي التغييري والتقدمي هو التجميع والتكتيل والتحشيد نحو القضية أو الفكرة الأساس، ونحو الفعل المستند للهدف.

وإن كانت النوازع العاطفية تلعب دورًا هامًا بعد النكبة عام 1948م لارتباط العديد من اللاجئين الفلسطينيين بأرضهم وممتلكاتهم وبلدهم، فأنها اليوم قد لا تكفي فيها مثل هذه الارتباطات العاطفية فقط، التي يتم تناقلها إلى الأحفاد، على أهميتها وضرورتها، ما يعني أن فكرة الاستناد للعاطفة الجيّاشة للجماهير، والشعور الوطني والترابي المفترض فقط، قد لا تمثل اليوم مبررًا قويّا لاستقطاب الكثيرين في ظل طوفان الأفكار وغزو الشابكة (انترنت) والتقاطعات ما يُلقي على التنظيم السياسي الثوري النضالي عبئا جديدًا يفترض اتّباع أساليب وأصول عمل تضاف للأساليب القديمة من: جلسات وتقارير وتثقيف وتكليف ولقاءات وهو ما درجت عليه التنظيمات السياسية عامة.

عالم اليوم ونحن في العام 2020 أصبح عالمًا متراكبًا، وليس بسيطا حيث يتناثر ويتأثر فيه الإنسان بين شتّى الفِكَر والمغريات والقضايا والمُلهيات الضخمة المتراكمة.

فلم يعد من السهل أن تصل لكل شخص بالوسائل القديمة فقط، وأصبحنا جميعًا بحاجة لفهم جديد للعلاقات ثنائية الاتجاه، تفاعلية البناء، وليس أحادية الصِلة حيث كان يقف الناس بانتظار كلمة الزعيم أمام الرائي (التلفزة) أو ينتظرون النشرة أو التعميم ليقرأوه!

إنك بحاجة لعلاقات وصِلة جديدة تبادلية -حيث تسمع كثيرا وتتكلم قليلا وتعمل أكثر- مع الناس تأخذ بمبادئ الكياسة واللباقة وحُسن الوصول لكل فرد[37].

37- القاعدة الربانية الخالدة تقول: «وقولوا للناس حُسنا»، وتقول: «وجادلهم بالتي هي أحسن»، وتقول «وليتلطّف»من الذكر الحكيم.

بناء علاقات وطيدة

السياسة حياةُ الناس، والسياسي هو من يصنع للناس أسس حياتهم وفق متطلباتهم واحتياجاتهم.

والسياسة قدرة على التعامل مع الضغوط والمتغيرات، والسياسة فن إدارة المؤسسة أو الدولة.

والسياسة تشكل أيضا أحد أركـان العمل التنظيمي التي تحتاج لاستيعابها ونشرها ليس فقط للدعاية التنظيمية (الحزبية) وهي أحادية الاتجاه، وإنما تحتاج لبناء تنظيمي صلب يقوم بدوره في تطوير ذاته، وفي البناء الجماهيري بعلاقات غير موسمية، وأنما بعلاقات طويلة الأمد عبر التالي:

1. بناء العلاقات اليومية الدؤوبة (تبادلية الصِلة)غير منقطة الصِلة مع الأشخاص المستهدفين أو الأعضاء في التنظيم، ومع المجتمع.
2. تحقيق التطوير الذاتي لكل عضو، والجماعي المنظم لكل خلية أو فريق عمل، والمستمر عبر الدورات والندوات والتكليف بالنشاطات، وبالنسبة للجمهور عبر التزاور والخدمة والحملات الواعية المستمرة.
3. بناء علاقات صلبة مع أفراد أساسيين (مفاتيح أو دعاة، أو كوادر متقدمة، أو شخصيات مؤثرة) من خلال تكثيف الاتصالات والبرامج والدورات والدعم المستمر لهم بلا تقصير معهم، فهم الضمانة وهم الاستقرار وهم قناة الوصول للآخرين.

الجمهور والصورة والمصداقية

إن من أركان الوصول للجمهور التي يحتاج إليها التنظيم السياسي اليوم أن يتّبع مجموعة من القيم والمبادئ الواجب التحصن بها مثل:

1. **بناء السمعة أو الصورة** التي يجب أن يظهر بها التنظيم. ومما لا شك فيه أن التنظيم يشكّل صورته الميدانية بنموذج مُجمل تصرفات أعضائه ووحدة خطابهم وطريقة تعاملهم مع الناس.
2. **تكريس المصداقية** مع الأعضاء وحتي مع الخصوم، وهي تأتي من خلال الموضوعية بالطرح، دون إنكار للفعل المخالف أو الفاسد في حدوده وموضعه، ودون تقديم وعودات لا تستطيع الإيفاء بها، أو الانخراط فيما لا تعلم، أو الدفاع عما لا تفهم، والمصداقية تأتي بتناغم الخطوات التي تقوم بها بين القول والفعل فتكون قدوة تُضاف لآخرين.
3. **السّرد الناعم** -وهو مصطلح مستخدم في الدبلوماسية العامة- فلم يعد للجبر والقسر والقوة الفيزيائية (العضلية) قدرة على الوصول لقلوب الناس، كما في التنظيمات الأيديولوجية الاستبدادية المغلقة، كما لم يعد للاتكاء على قوّة الفكرة لوحدها، أو على العواطف الجيّاشة، خاصة في ظل المنظمات والدول الديمقراطية ما تحتاج معه للطرح الكيّس والفطِن واللطيف والناعم، وبالطبع ذو المصداقية والموضوعية.
4. **تثبيت الرواية:** تمثل الرواية طرح المنظمة (أو البلد) للواقع أو للأحداث، والقرارات، وحيث تعتمد في طريقة البناء على تفهّم عقول الآخرين، وتخوفاتهم، وعلى تنوّعهم، واستيعاب

مفاهيمهم واختلافاتهم، ومخاطبتها.

5. **التنوع للطرح** سواء من حيث طُرق التناول أو تغيّر شخوصه المتناولين للطرح، أو أدواته، التي تتكامل بين اللقاءات المباشرة الضرورية وبين التواصل الإلكتروني الاجتماعي.

6. **الصلابة والمرونة:** في مقابل صلابة التوجّه نحو تحقيق الهدف، فإن المرونة مطلوبة، والمرونة المقصودة هي في الرسائل المبثوثة (طريقة طرح الأفكار) وبناء العلاقات مع الجميع ضمن دوائر متعددة (دوائر: الأصدقاء والأنصار والجماهير)، وطرق تنظيم الحملات وبناء الشبكات مع الجميع ومع الجهات الفاعلة في المجتمع المدني.

7. **فتح الباب:** يجب ألا يكون البابُ مغلقا بين التنظيم السياسي وأعضائه مع الناس، على الأرض وعبر وسائل التواصل الاجتماعي، بل مفتوحا وتبادليّ الصلة من أخذ ورد واستماع وإصغاء أكثر من الكلام، بعيدًا عن الوعظية والفوقية والاستعراضية، أو استصغار الجماهير واتهامها، بل بعقلية الفهم والتقبل والرحابة.

إن بناء العضو والكادر وتثقيفه بصواب قضيته وأحقيتها العادلة، وتدريبه والاهتمام بعقله وروحه وجسده وأحاسيسه، وتنمية مفاهيم الأخلاق والقيم بالتطبيق والقدوة، هو في حقيقته يمثل الواجب الأبرز للتنظيم السياسي اليوم، ليكون قادرًا على رسم الصورة المشرقة للتنظيم أمام الجمهور مباشرة أو من خلال الوسائل الاتصالية الجديدة، وإلا فإنه لا قيمة لشعارات جميلةٍ غير قابلة للتطبيق، أو شعارات هي بالحقيقة تتعارض مع القدرة أو تتجاوز الطاقة، أو تستخدم للتعمية والتمويه أو الاستغلال غير الواقعي للعاطفة الوطنية أو الدينية.

كيف نخاطب الجاهلين؟ والحمقى؟

تجد مثل هذا الجاهل أو البليد أو ذاك على مواقع التواصل الاجتماعي كثير، في كل شعوبنا، وعندنا في فلسطين بالطبع.

والرد على الجاهلين يكون بالاعتبار من قول الله تعالى (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا) أي بالتجاهل والإعراض، أو بالإحسان أو بأن نضع الموضوع بمقداره المحدد أي بمستوى ومضمون الكلام الجاهل.

ويقول الله تعالى أيضا: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ {القصص: 55}.

فلا نعمّم الكلام الجاهل -برأينا- على كل كلام الشخص، أي شخص، أو نسحبه على كل عائلته ثم قبيلته ثم بلده! فنكون أكثر جهلًا كما كتب برعونته الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم حين قال:

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا　　　فنجهل فوق جهل الجاهلينا.

وإن كان لابد من جدال للجاهل أو للكلام الجاهل فنحن الخاسرون والتجاهل والقول (سلامًا) هو الأصوب، فالإمام الشافعي عانى من هذه النوعيات طويلًا حتى قال: ما جادلتُ عالما إلا غلبته وما جادلت جاهلًا إلا غلبني.

وإن لم يكن الذي يقول الكلام القبيح جاهلًا فقد يكون أحمقًا يريد أن ينفعك فيضرك. ويصح فيه المنقول عن الإمام أبو حامد الغزالي: «أشدّ النّاس حماقة أقواهُم اعتقاداً في فضل نَفسِه، وأثبتُ النّاسِ عقلاً أشدّهم اتّهاماً لنَفسِه».

فلنتّهم ذواتنا ونثبت عقولنا، ونترك تلك الفئة من الناس، فهُم لحُمقهم يظنون اعتقادهم لا يأتيه الباطل من أمامه ولا من خلفه.

وإن لم يكن مَن نحاوره جاهلًا ولا أحمقًا، أو لم يكن مسيّرا من غيره، فلنحمد الله فهو عالم أو مدرك أو منصف أو متوازن وهذا نحاوره أو نحاججه.

وللحِجاج (المحاججة) والنقد والإقناع مبادئ لا تحيد عن الاحترام المتبادل وحُسن تخيّر الألفاظ وافتراض الصواب والخطأ في الرأي وفق مقالة الشيخ رشيد رضا: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه».

وبعد الجاهلين لنتكلم عن البُلداء وعن الحمقى، فالحمقى لا يموتون، والحمقى لا يستسلمون أو لا يتراجعون، والحمقى لا يتغيرون!

هذه باعتقادي ثلاث صفات مميزة للحمقى ممن عرفتهم، وقد تعرفونهم وتعرفون فيهم صفات أخرى لربما تميّز طائفة منهم عن أخرى فيصبح لدينا أصناف متعددة.

الحمقى لا يموتون لأنهم يتناسلون ويتوالدون، وكأنهم ينقلون عـدوى الحُمق كما تنتقل عـدوى زكـام (انفلونزا) الخنازير، أو (كوفيد19) حديثا، فتبدأ بواحد وإن لم يتم التحصين ضدّها سرعان ما تنتشر، لذلك فالحمقى إن مات منهم واحد ستجد منهم العشرات يحيطون بك!

الحمقى لا يتغيرون، فهم يظنون أن الثبات على الرأي دلالة قوة، ودلالة فهم ودلالة شموخ وإيمان حصين! حتي لو كانت الدفوع أو الآراء المخالفة أشد قوة بالمنطق والأسانيد والدلائل والإثباتات الواضحة، إذ سرعان ما يقولون لك غير صحيح! أو اختلف معها، حتى

لو كانت مسلّمات وان قلت له (كل ابن أدم خطاء) لقال لك: ألا أنا! فلست خطاء لأتوب!

نعم إن الأحمق كالثور الذي يدور في الساقية ليخرج الماء، لا يحيد مطلقا عن مساره وهو يظن أنه يقطع المفازات والبراري، وهذا مغلق العينين فقد يُعذر أي الثور، فما بال مفتح العينين؟

من هؤلاء من تناطح معي ليثبت أن صدام حسين مازال يعيش ويتنزه في الدولة التي استضافته! وآخر أصرّ علي أن البيض لا يمكن أن يكون بصفارين رغم رؤيته الصفارين! وثالث لا ينفك يرفض الاقتناع أن العثمانيين أتراك وليسوا عربا ومُصرّ بشدة، فلو أنهم أتراك لتسموا بذلك ولكنهم عثمانيين أي عرب! مفترضا النسبة للعربي الصحابي الجليل عثمان بن عفان؟

الحمقى لا يستسلمون ولا يتراجعون (فهم معاندون أبديون، مجاكرون أو «مقاوحون» بالعامية المصرية) فهم يصرّون على استخدام نفس الأسلوب الفاشل مرة ومرتين، والثالثة نابتة وربما الرابعة وربما العاشرة.

فأحدهم كان يُصِرّ على النجاح في مادة الفيزياء دون اللجوء إلى الكتاب وحل المسائل، وإنما فقط استنادا لشرح الأستاذ المقتضب فتخرج من الجامعة بدرجة ساقط.

والأخر أصرّ على أن الحمار يستطيع أن يتعلّم، ولم يفهم حكمة جحا مع الحمار فحين طلب السلطان من أحد أن يُعلّم الحمار القراءة والكتابة ويعطيه ما يريد، تصدى جحا للمهمة وطلب مهلة عامًا واحدا! فلما سألوه وكيف ستفعل ذلك يا أحمق؟ قال: في هذا العام إما أن أموت أو يموت الحمار أو يموت السلطان؟

إلا أن صاحبنا يعاند!

فمن يستطيع تعليم القرد الرقص يستطيع تعليم الحمار! ورغم هذا الشطط ورغم الفرق بين الحيوانين علميا، فما زلنا بانتظار النتيجة من 30 عاما حتى اليوم!

وبالمناسبة فإن الشخص المذكور كان يعمل في أحد بلدان الخليج العربي عاملا في مطعم فلافل... ومع احترامي الشديد للفلافل وصانعيه جميعا، اكتشفت أنه ما زال بذات الموقع حتى اليوم.

من التفكير بإصلاح الكون إلى العمل بغرس زهرة.

لم يكن الخالد المفكر العربي الفلسطيني خالد الحسن ليقبل أن تُلقي عليه بالاتهامات العشوائية، أو التحليلات المبتورة تلك التي لا يفهم مُلقيها أين بدأ وأين ينتهي!

ولم يكن خالد الحسن ليقبل من أحد أن يزيّن سَلّته الكلامية ببضاعة فاسدة لا تفهم ما تقول فتخلط بين التفاح والفجل في سلة واحدة! ما يعني افتقاد منهج التفكير، أو ضعف أدوات النظر والنقد لديه.

كان المفكر والقيادي العروبي خالد الحسن يلجأ لتفكيك المسائل ويُرجعها إلى أدوات النظر، أو مدارس العقل أو مناهج التفكير ليميز بينها في خطاب المتكلم.

أي بين **أربع مدارس** برأيه هي:

1. مدرسة أو عقلية التنظير الفلسفي كوني الاتساع رحب الامتدادات.
2. وعقلية الحكم أو القضاء التي لا تفهم إلا الأسود والأبيض

فلا ألوان ولا ظِلال ولا كلمات بين السطور.

3. والعقلية الماضوية دائمة اللّطم والتي لا تكرّم إلا الماضي وتنفر من الحاضر وتهمل المستقبل.

4. وكان يتفهم ويتبنى العقلية الرابعة أو طريقة النظر الصائبة التي رآها بمنهج الواقعية السياسية التي لا تقتل الأهداف الكبرى وتُحسن النظر في الواقع المتغير.

الافتراض الأول للواقعية في محيط العمل التنظيمي والسياسي أسبقية العمل على التنظير، أي قدّم لي لأري ولا تنظّر عليّ، أي أسبقية العمل على التنظير أو إصلاح الكون.

الاحترام للمدارس الأخرى غير الواقعية السياسية يأتي حيث يمكن استخدامها في سياقات معينة ومحدّدة، خاصة حينما يكون الفضاء واسعًا للانطلاق، لا ضغط للعمل وأولويته عليه ولا ضغط للزمن وحيث تكون الفرضيات هي مؤشر الاحتمالات.

من هنا فإن حُسن رؤية الواقع كما هو يكون بمكوناته، بأدواته، ومؤثراته، وبصبّ الماء بالدِلاء، وليس التفكير كيف سنملأ الدلاء دون أن نجدِل حبلا.

حسن رؤية الواقع يتم بالتحلل المؤقت-أي حين النظر- من علائقه الكونية أو الماضوية أو الفلسفية لتركيز النظر في اللحظة ما هو المطلوب أولا لغرض الانتقال من مرحلة التحليل أو التخطيط واجتراح الحلول العامة، إلى مرحلة التمعّن بالمضمون المحدد لغرض الإنتاج وتقديم العمل وهو الأصل.

لذا كان التفكير النقدي في سياق المدرسة الواقعية هنا هو تفكير تقديم العمل والمبادرة في إطار الانسجام العلائقي مع المكوّنات

الأخرى، وكان الغرض أن يقوم كل شخص بواجبه أولًا قبل أن يفترض أنه يسعى لإشعال ثورة أو تعديل مسار أو لإصلاح الكون.

في أطار التفكير النقدي والمساءلة تجد النقد الشكلي الهامشي كمن يركّز على المظهر دون الجوهر، وتجد النقد الموضِعي لجزء من الفكرة، كما تجد النقد البنيوي لمجمل الفكرة أو الواقعة أو العمل كما يقول المفكر حيدر حب الله، في إطار توضيحه للفروق.

وفي سياق النقد وأولوياته كتب صخر حبش القيادي في حركة فتح ما يمكن اعتماده دستورا هامًا ليميز بين النقد الهامس والنقد الصارخ ويفترض موضعَةَ النقد في سياقه أو في إطاره (في داخل البيت لا خارجه، أو داخل الجماعة أو التنظيم أو المؤسسة...)...

فليس ما يقال في غرفة النوم هو ما يُقال على وسائل التواصل الاجتماعي بتاتا، وإلا كانت الفضائح سِمة «الفيسبوك» وليس التواصل بل التفاصل والتباعد والطلاق، كما أنه ليس ما يقال في الاجتماع التنظيمي من آراء قد تكون رصينة أو منفلتة يُفترض قوله في العلن بتاتًا.

كتب المفكر حيدر حب الله مميزًا بين أنماط التفكير الأربعة عنده وهي التفكير المنظم مقابل العشوائي، والفِهمي مقابل العاجز عن الفهم، والنقدي بأنواعه السطحي والموضعي والبنيوي مما أسلفنا، والأخير هو الممدوح لديه مع ذاك التفكير النقدي البنيوي.

عندما تعرّض الكُتّاب ممن نعرفهم لموضوعة النقد لم تكن بمنطق التنقيب عن الأخطاء كالباحث عن الذهب في بطن الجبل، أو بمنطق تتبع بعض الثغرات مهما كانت واسقاطها على كل الموضوع ما تمت إدانته، ولا تعاطوا مع النقد بقصد النقد الذي ما هو إلا شهوة

طعن أو تنفيس ليس ألا وفي السياق الإشكالي الثأري.

النقد حيث أرى ما لا يراه الآخـرون، بمحبة ولمسة حنونة وبتقديم النشاط والعمل على اختراع الكلمات، والنقد حيث أفهم وأتفهم الآخر ولا أعجز، والتفكير المنظم والواقعي حيث أملأ كفيّ الاثنتين بتراب الأرض الصالح للزراعة والإزهار.

سبعُ نقاطٍ تُجهض النظرَ الصائب!

الاتصالات بين الناس علاقات مفتوحة ومتبادلة، بمعنى أنها تتم بين طرفين كل منهما يضع في الوعاء المشترك نصيبه ويحدث التفاعل، ولولا هذا التفاعل المعبر عنه بالرسالة والاستجابة (الأثر الانعكاسي) لما كان هناك اتصال إنساني، فالاتصال من جانب واحد مثل الحُب من طرف واحد تمامًا لا قيمة له، وما قيمته إلا بالتبادلية والتشاركية والإقبال والانفتاح.

في الحوارات العديدة التي نخوضها في سياق السياسة والاقتصاد والمجتمع، وفي الثقافة والفن والتنظيم، كما في اجتماعاتنا ومحاضراتنا وفي شؤون إعداد الكوادر والتدريب والدراسات والكتب، وعموما في أي شأن إنساني **تجد من الشخصيات من تبهرك بعلمها وتجاوبها وإقبالها على العلم والتعلم والتعليم والتفكير والتأمل، ولربما من حسن حظي أن جلّ من يحيطون بي هم من هذه الفئة وقد يصدُق فينا المثل هنا (أن الطيور على أشكالها تقع) فوقعنا على من هم أمثالنا.**

ولكن في المقابل تدهش وتتعجب حين ترى من موانع الاتصال الكثير والذي منه ما يمنع الانفتاح ويقضي على الانسيابية المؤدية

باعتقادي لحُسن النظر وللتخيّر من متعدد، وبالتالي ما يمهّد لحُسن اتخاذ القرار.

ومن هذه العوامل المانعة للنظرة الصائبة أو المانعة لحُسن اتخاذ القرار، أو المانعة للإدراك الجيد النقاط السبع التالية:

أولا: الحُكم القطعي: تفاجأ بالحكم القطعي البات حول شخص أو قبيلة أو منطقة أو تنظيم سياسي أو موقف أو قضية أو غيرها من شخص ظننت أنه متنوّر لمجرد أنه متعلم، ويمتلك شهادة علمية، فتُدهش حينما يفاجئك بحكمه القطعي! فالتنظيم الفلاني ساقط والشخص العلنتاني مريض، والقرية الفلانية كلهم حرامية! ومن يتخذ موقفا ضد الشيخ عبد المتجلي فهو كافر، ومن لا يحب الملوخية فهو آثم! وهو بمثل أحكامه القطعية الباتة هذه يمنع الانسيابية والإدراك الجيد والنظر الحكيم وإمكانية التجدد.

ثانيا: الحكم العام (التعميم مقابل التخصيص) ومع الحكم القطعي تأتي عملية التعميم، فتصبح المثلبة أو السيئة من شخص واحد محدد معمّمة علي كل أهله أو كل قبيلته أو كل سلالته أو كل تنظيمه، أو منسحبة على كل مواقفه وكل آرائه، فلا ينظر لها ضمن خصوصية الموقف للشخص أو الجماعة، والمثير هنا أنه حين يكون الفعل خيرًا لا يُعمم! ويقتصر التعميم على الفعل الشرير ضمن المقولة البائسة والخاطئة: الخير يخصّ والشر يعم!

ثالثا: الحُكم أو القرار المسبق: تطلب من شخص ما أن يفكر بأمر محدد، أو أن يذهب لزيارة مدينة ما، أو ليقوم بعمل ما، فيقبل أو يصطنع القبول وحين التنفيذ تكتشف التقصير

فهو كان (أضمر) وقد اتخذ قراره المسبق بعدم التنفيذ، وإن أظهر الموافقة الشكلية. وإن سألته: أنتَ مَن قبلت، فلم فعلت ذلك؟ لقال: لا فائدة أصلاً من هذا الفعل! وهو لم يُقدم علي خطوة واحدة تؤكد أو تُضعف من رأيه المسبق، انتهي الزمن لديه فلا فائدة.

رابعا: التبرير: يقول علماء فن الحديث والخطاب أن الدقائق السبعة الأولى في المحاضرة تحدّد القبول أو الرفض للمتحدث، وفي دراسات لاحقة أصبحت في الدقائق الثلاث الأولى! وبغض النظر عما يُقال وكيف يُقال لاحقًا فأن الشخص المستمِع يقوم بتبرير نظرته الأولية ورأيه أكان سلبيا أم إيجابيا، واستلال الأسانيد لتأكيدها![38]

وفي السياق العلائقي بين الناس يُقدِم البعض على ارتكاب الكثير من الحماقات أو الأخطاء وربما الخطايا، ويتم مواجهته من الجميع بها، فلا يلجأ للتصويب أو التصحيح أو الاعتذار أو على الأقل إلى التفكير أو الاعتراف الذاتي، وإنما يجد له من المبررات الكثير لأن التصويب عند هؤلاء يهزّ شخصيتهم والاعتراف بالخطأ عندهم كارثة على شخوصهم الضعيفة فيبرّرون ويأبون الاعتراف.

خامسا: التجافي بمعنى عدم الأقبال والإعراض، فنحن إن لم نتعامل مع أي موضوع بعقلية الانفتاح والإقبال والإيجابية فكيف سنتفهم؟ وكيف سنكتسب التجربة أو الجديد؟

ما دامت عقلية الرفض والتجافي والسلبية والاشمئزاز هي

38- بكر أبو بكر، فن الحديث في الخطاب المؤثر والأسلوب الجذاب، دار الشروق، فلسطين، 2020م.

العقلية الحاكمة، فالشخص أصلًا ينطلق من التعامل مع الموضوع من موقع رفضه أو كراهيته، أو عبر النظرة بشكل سلبي له، فما المتوقع غير أن تكون النتيجة سلبية.

أنت تحول نفسك إلى قمر مُحاق (مظلم) وهو يترقب منك الإشراق كالبدر التمام ما لا يستقيم.

سادسا: عدم الاستماع- وهذه من أخطر المسائل التي يتوه فيها الكثيرون، فيفترضون العلم والمعرفة وحُسن الإدراك لمجرد المعرفة بالعنوان، (على مقولة أن المكتوب من عنوانه والتي لا تصدُق هنا على الأقل) أو العام من الأمور، ولا يصيخون السمع فتسقط الكثير من الحقائق، بل يخسرون الشخص مقابلهم حين يهملونه أو لا يستمعون له، أو يضعون افتراضاتهم هُم دون أدنى أحترام لوجهات نظر الآخرين وهي سمة عديد المسؤولين الملُولين وغير المنظمين أو الفاشلين.

يقول الإمام الصادق جعفر بن محمد: من أخلاق الجاهل الإجابة قبل أن يسمع، والمعارضة قبل أن يفهم، والحكم بما لا يعلم.

سابعا: القيام بدور لا يحتاجه أحد: قد يستغرب الكثيرون من هذه النقطة في إجهاض النظر الصائب، ولكنها باعتقادي نقطة هامة، فحيث يكون الإدراك قطعيًا باتًا يفترض الشخص فهمه للموقف، أي موقف، وكيف سيتصرف به، فيضع نفسه في دور لا يحتاجه منه أحد!

من مثل ذاك الميت الذي يبكيه أهله، والشخص يعطيهم تعليمات لإعداد الجنازة كذا وكذا! أو يؤنبهم كيف أهملوا بمريضهم

لهذه الدرجة فمات؟ أو تلك الأم التي تقرّع وتعنّف ابنها لأنه أهمل في واجباته فرسب في المادة، وهو حينها أحوج ما يكون للدعاء والمحبة واللمسَة الناعمة والحنان من أمه والى الدعم والمواساة وليس إلى التأنيب! فما وقع قد وقع والنظر يكون إلى الأمام بحنو.

خاتمة:

إن مركز التنبه لدينا كقضية مركزية هو فلسطين. ونبني من أنفسنا قاعدة انطلاق أولي، ونتعلم ونفكر، ونكتّل الأفكار ونعي المتغيرات، ونرسم الدوائر حولنا شخصيا أو حولنا كتنظيم سياسي فنحقق تمردنا على الفاسد، ونتقدم.

ونحقق تطورنا الذاتي، وفي الإطار التنظيمي الداخلي وفي علاقاتنا مع الجماهير وبالتالي تحقيق المكسب لذات القضية الجامعة.

الباب الثاني

الهوية الوطنية

من التطور إلى التمكّن.

مقدمة:

كانت البداية من خلال كتابتي محاضرة عن الوطنية الفلسطينية في إطار فعاليات منظّمة لوزارة الثقافة الفلسطينية، حيث شرفني الأخ الوزير والشاعر إيهاب بسيسو بتقديمي للجمهور في الندوة مشكورًا عام 2017م، لألقي المحاضرة في قاعة الندوات في متحف الشهيد ياسر عرفات في مدينة رام الله.

ثم تطورت الفكرة وتوسعت المادة لتمكين حالة الوعي والفهم والإشباع فيما يتعلق بالأفكار حول القومية، والوطنية من جهة، والدينية، ما تعاملنا معه في عدد آخر من الندوات والدورات التي عقدناها في فلسطين وخارجها...

وبالإضافات إلى المـادة الأصل كتبنا حول مفهوم المواطنة والوطن، وصولًا لفكرة الهوية الذاتية والهوية الجماعية التي منها الهوية الوطنية للبلد أو الوطن والتراب، وفي فلسطين.

وفي ذات الإطار ثم التعرض للمجال أو «الحقل» السياسي والمجال أو الحقل الثقافي باعتبارهما ضمن مجالات أخرى، الاجتماعي والتاريخي...الخ، من أهم ما يمكن الاستناد إليهما في بعث أو إذكاء وتنشيط الفكرة والهوية والانتماء والشخصية، والفكرة الوطنية ضمن العمق العروبي التي كان للثورة الفلسطينية الحديثة دورا في تقويتها وإبرازها.

ومن هنا كان هذا الكتاب.

الفصل الأول:

الصراعات والقومية العربية

الصراعات والقومية العربية.

بزوغ وتطور

إن الحديث عن بزوغ وتطور الهوية الوطنية للدولة (الدول) العربية ينسجم اليوم مع مآلات الأمور في ظل المعادلة التي تتراوح بين التشتت والوحدة العربية، أو معادلة التفتت العربي الجديد في مقابل حصن «الوطنية» المطلوب التمسك به في الإطار العربي الشمولي، أو الحضاري الجامع والموحد لمنطقتنا.

إن كانت اتفاقيات (سايكس–بيكو عام 1916) قد شكلت أحد أهم أركان ظهور البلدان العربية بحدودها الحالية خاصة في منطقة المشرق ما سرّع بنشوء «الوطنيات أو الهويات الوطنية» فإن المنطقة اليوم تخوض حربًا ضروسا بين تيارات عدة ودول عديدة تحاول إعادة تفكيك وتركيب المنطقة وفق معادلة القوى العالمية الصاعدة (ومنها الآفلة سابقا مثل روسيا والصاعدة حاليا) والقوى الإقليمية المتحاربة على جسد أمتنا وضعفها والوهن (إيران وتركيا) وبالطبع دون إهمال دور الولايات المتحدة الأمريكية الاستعماري المتحالف مع الصهيونية الاحتلالية الإحلالية.

"الهوية الوطنية" من النبذ إلى الدفاع

يقول المفكر العربي السوري د. طيب تيزيني في صحيفة الاتحاد الإماراتية: لا ينبغي أن تفوت على مفكرين وباحثين عرب معاصرين، فكرة أن ما يراد لسوريا من أو ساط متعددة، لا يخرج عن تفكيك

ما تحقق في عدة عقود منذ القرن التاسع عشر إلى اندلاع الشرارة السورية قبل ست سنين[39].

وفي هذه المعادلة الجديدة لإعادة تفكيك وتركيب منطقتنا تُستخدم أدوات لم تكن واضحة سابقا أو لم يتم تصعيدها، وأصبحت اليوم هي الهدف والمبتغى أي إعادة تقسيم (الوطن العربي)[40] ضمن ضرورة الصراع الخادع والمستحدث وهو الصراع الطائفي المذهبي من جهة وصراع القوميات والأقليات في الجسد الوطني للدولة الواحدة، واختراع عدو للامة بعيدا عن العدو المركزي الذي خلق لتفتيتها للأبد.

تقسيم الوطن العربي

لم تكتفِ دول الاستعمار الغربي القديم بتقسيم الوطن العربي، وإسقاط مواطنيها من اليهود الأوروبيين ليقيموا في فلسطين تحت مسمى (إسرائيليين) لهدف أساس هو منع بروز أي قوة عربية سياسية

39-يضيف المفكر العربي السوري د. طيب تيزيني في صحيفة الاتحاد الإماراتية: وقد يصح طرح السؤال التالي، وإن ببعض الاستغراب، لماذا هنالك إجماع من معظم الأطراف علَى إبقاء سوريا عاجزة على تمرير مشروع توحيدي وتنويري مدني وديمقراطي؟! إن هذا السؤال إن لم يكن الإفراج عن جوابه الآن، إلا أن معالم من هذا الجواب تفصح عن نفسها في أن الخلاص السوري لا يمكن أن يتجاوز الديمقراطية «ضد الاستبداد»، والتنويرية «ضد الظلامية»، والحرية المدنية «ضد الاستئثار»، وأخيراً الوطنية لكل الفئات والمجموعات «عرباً وآخرين». ومؤكدا: ويتعين علينا التأكيد على حل ديمقراطي ووطني قومي يمثل رديفاً لتلك المطالب المأتي عليها. إنه وطن حدوده العامة الوطن العربي، وحدوده الخاصة كتلة من التآخي بين الكثير والكثير من المتآخين وطنياً وإنسانياً وقومياً، مع بناء علاقات ناضجة مع شعوب المنطقة والآخرين في العالم عامة، وبكل الاحترام والتعاون.

40- تم إسقاط المصطلح (العالم العربي) في الذهن وإحلال مصطلح الشرق الأوسط وشمال إفريقيا كمنطقتين منفصلتين لا صلة بينهما فيما أصبح اختصارا لدى الغرب تحت اسم مينا (MENA)

– اقتصادية – فكرية- ثقافية- نهضوية، بل وأوغلت الاستعمارية الغربية في تحطيم البنى الناشئة لتتشكل الدول العربية على قواعد سلطوية استبدادية غير ديمقراطية في معظمها ما بعد الاستقلال.

والتي رغم الاستقرار النسبي الذي حققته لاحقًا فإنها ظلت تشكل كابوسًا للدولة الصهيونية الاستعمارية الوليدة التي قررت بعد قضم فلسطين، واستعمارها أن تحطيم قوة العراق وسوريا ومصر هو الهدف المركزي[41].

إن الأهداف الصهيونية القديمة في إشعال جذور الفتنة الطائفية والقومية في الدول العربية التي تمتلك اليوم (هويات وطنية) شبه مستقرة أصبحت أهدافا تتعاطى معها الدول الكبرى والدول الإقليمية معا! والتي لا تبتغي إلا تحقيق مصالحها ونفوذها ولتذهب الأقطار العربية وشعوبها إلى الجحيم.

إن بروز الهويات الوطنية ما بعد الاتفاقية الاستعمارية لتقاسم النفوذ (سايكس-بيكو) عام 1916 جاء في إطار المقاومة والرفض من قبل الفكرانيات (=الأيديولوجيات) المركزية التي حكمت المنطقة بفكرها ما بين الأيديولوجيات القومية (العصبوية)، والإسلاموية والاشتراكية الأمميتين، وكلها كانت فكرانيات أو حدية إقصائية لا تقبل إلا معسكرها وأدبياتها وتفترض بالآخرين خروجا فتُقصي كل من يعارضها عن الجادة أو التقدمية أو العروبة أو الرحابة الجامعة.

41- حيث يتم الإشارة للهوية عامة فهي ما ميزت للشعوب ثقافتها وحضارتها وانفتاحها في ظل الحفاظ على تميزها، وهنا يورد الكاتب سالم سالمين النعيمي رأيه في الاتحاد الإماراتية في التطور الياباني كمثال أن مرجعه لثلاثة محاور أساسية: «بناء جيش عصري، إحداث تغيير جذري في قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج، والحفاظ على الهوية اليابانية تحت الشعار المشهور «التكنيك غربي، والروح يابانية»، أي أن الثورة كانت في الفكر والنهضة الثقافية هي التي أسست للتغيير الموضوعي».

تقاتل الفكرانيات الثلاث الكبرى (الإسلاموية والقومية العصبوية، والاشتراكية) على وطننا وشعوبنا وعقولنا جعل من (الهويات الوطنية) الناشئة تتجذر وتستقر، ويتم فيها استخدام تلك الفكرانيات لتوطيد سلطة الحكم في كل من الدول الناشئة ليس إلا.

الثورة الفلسطينية تفهم

كانت الثورة الفلسطينية أول من فهمت أهمية وعمق تحقيق الهوية الوطنية[42] النضالية دون الإضرار بالهدف الأكبر بالوحدوية في الإطار الأشمل أي العربي والحضاري الواسع.

لذا اتجهت الثورة نحو صياغة فكرة الوطنية الترابية من حيث هي واضحة في ثلاثية: التخصص والتكرس والأولوية للقضية الفلسطينية بعيدا عن أحمال الفكرانيات (الأيديولوجيات) التي استغلت الناس ليس لنشر العدالة والتحرر والديمقراطية والمدنية بقدر ما استُخدمت لتوطيد أركان الأنظمة الشمولية الأممية، فنأت عنها الثورة الفلسطينية وعلى رأسها حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح لتكرس وتخصص وتولي النضال القُطري الفلسطيني الأهمية في الإطار العربي وفي الإطار الحضاري الأوسع.

تقاتل الفكرانيات (=الأيديولوجيات) أنهكها، لا سيما وارتباط كثير من تفسيراتها بالفكر الطردي الإقصائي للآخر لتصبح حتى الوحدة

42- الهوية بالمعنى الفلسفي تعني حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره، وتُسمَّى أيضاً وحدة الذات (لسان العرب لابن منظور: {15/375-376}، دار صادر- بيروت)، وهي بهذا المعنى تتساوى مع مصطلح (هو هو) الفلسفي، والذي يشير إلى ثبات الشيء بالرغم مما يطرأ عليه من تغيرات، فالجوهر هو هو وإن تغيرت أعراضه (لسان العرب لابن منظور؛ ص: {207}، دار صادر- بيروت).

العربية في هذا الزمن مما لا يُلقى له بالًا، وتتخذ الرؤى النهضوية الجديدة التي ما زالت تؤمن بوحدة الأمة أشكالًا قابلة للتفاهم والتقارب أكثر وفق كثير من المشاريع سواء الوحدوية بشكلها الاتحادي (الفدرالي) أو التعاهدي (الكونفدرالي) أو الوحدوي على نمط الاتحاد الأوروبي، وفي حده الأدنى المشكوك بجدواه ضمن جامعة الدول العربية.

في الإشارة الدائمة في فكر حركة فتح إلى الأفكار والأحزاب القومية والاشتراكية والى الإسلاموية وصراعاتها لا انتقاص من الإسهامات الجمة من أجل فلسطين -ولا يجب أن يكون- لكل الأحزاب والتنظيمات التي تشكلت على هذه المركبات الفكرية الشمولية، وإن كانت في إطار المسيرة فهمت صراعاتها حافلة بالشعارات الكبيرة على حساب العمل الثوري الميداني.

يقول الكاتب القومي التوجه عادل سمارة: (إثر هزيمة 1948 لم يتوقف النضال الفلسطيني ضد الكيان الصهيوني، كما لم تتوقف الأحزاب القومية عن النضال ضد الكيان وخاصة القوميين العرب والبعثيين وطبعا مصر عبد الناصر، والجميع يعرف دور الشهيد المصري مصطفى حافظ الذي قاد المجموعات الفدائية من غزة وعبد الحميد السراج من دمشق خلال عقد الخمسينات. أي أن الأحزاب القومية لم تتخلى عن فلسطين)[43]. ويمكن أن نقول ذات الأمر فيما يتعلق بالتنظيمات الأخرى فلها من الإسهامات ما لا يُنكر ولكن ليس بالحجم أو المردود الجماهيري الذي كان يرضي الثورية والنضالية العربية الفلسطينية.

43- من مقال الأستاذ عادل سمارة المعنون: كلمات في موقف الأحزاب القومية من فلسطين المنشور في شبكة كنعان الإعلامية في ديسمبر 2020م. وهو يقول أيضا بذات المقال أنه (بحل حركة القوميين العرب، برأيي، وقعنا في فخ الإقليمية الفلسطينية).

هل الوطنية تؤدي للقومية؟

ما أريد قوله اليوم هو أن استقرار (الهويات الوطنية) العربية وبداية تفاعلها واتجاهها نحو الديمقراطية، والفكر المدني سواء ضمن الملكيات والإمارات أو الجمهوريات قد مر بمراحل استبداد سلطوي (في الحكم)عميق، وظلم شديد فجرت الثورات العربية منذ العام 2011 وهي الثورات أو الحراكات التي أنجزت القليل، خاصة في تونس، ورآها البعض ثورات انحرفت عن مسارها نتيجة ركوب الموجة من قبل عدد من التنظيمات الإقصائية، أو تلك المتحالفة مع المخططات الغربية، وما كل ذلك إلا لإعادة تفكيك وتركيب المنطقة على أسس جديدة عرقية وطائفية تعيد الأمة عشرات السنوات إلى الوراء.

إن كنا من دعاة الوحدة بطرقها المتتابعة -أي أن إحداها تؤدي للأخرى- (الوطنية) فالحضارية القومية فإننا بغض النظر عن معادلة الأولوية بمعنى أسبقية القومي العروبي على الوطني أو العكس44 لا نرى فيما يحصل في المنطقة من تفتيت واقتتال واحتراب داخلي إلا استنزافًا لطاقات الأمة من جهة وتدميرا لمنجزاتها – وإن كان لنا فيها رأي – باتجاه تكريس الهوية الوطنية لكل دولة ولكن دون الإضرار بالفهم الوحدوي أو التضامني الذي ما زال يشدّ الأمة من المحيط على الخليج، وإن كان مفهوم العروبة قد اختلف كليا من المفهوم القديم وهو العروبي العنصري القومي الاقصائي عند البعض من الكُتاب إلى

44- خرجت حركة فتح من الجدل بالقول أن التحرير طريق الوحدة العربية، في مقابل شعار القوميين أن الوحدة (العربية) طريق التحرير، وبالتالي رفضت أيضا فكر الانتظار لحين تقدم (الخلافة) لتخطف الراية وتوحد المسلمين، كما رفضت انتظار الدولة (الإسلامية)، فالتحرير من الاحتلال عمل تراكمي متواصل وهو الأصل واليه نتجه بعملنا التخصصي والتكرس والفعل.

مفهوم ارتباط الهوية العامة بكل (الوطنيات) والهويات أو الانتماءات، وبما تتشكل منه الوطنيات من جماعات لسانية وطائفية متناغمة.

إن نشوء الهويات الوطنية مع استقلال الدول العربية بحدودها الحالية التي تتعرض للانهاك لم يكن مرحبا به من الفكرانيات (=الأيديولوجيات) الكبرى بالمنطقة، ولكنها بعد كل هذه السنوات قد تجذرت هذه الوطنيات بحيث وسمت كل بلد وكل شعب ضمن البلد بسمات وطنية محددة أصبح الحفاظ عليها مطلبًا بعد أن كان التمسك بها يعدُ إقليمية بغيضة ومرفوضة.

ومن هنا وبغض النظر عن طريقة النشوء المرتبطة بفكر استعماري تجزيئي للأمة، فإن إمكانية الحفاظ على هذه «الهويات الوطنية» أو الانتماءات الوطنية دون مبالغات وطنية ترابية أو عصبوية قبلية، أو مبالغات في «الاستقلالية» التي تؤدي للتقوقع والانغلاق يعتبر اليوم هدفًا قابلا للتعاطي معه في سياق تثبيته من جهة، واستخدامه كمساحة انفتاح على البلدان-الوطنيات المجاورة.

لا سيما وأن مبرر الانفتاح العريض مازال قائما ويتحدى ذاك المبرر الذي نشأ على أساسه الاتحاد الأوربي من لغة جامعة45 ودين وتاريخ مشترك، ومساحة حركة جغرافية تفاعلية متسعة، وفكر أو

45- يقول د. نور الدين ثنيو: مع تجدد اللغة تتجدد الهوية، والعكس صحيح أيضا، فمع إدراك قيمة الهوية يزيد الاهتمام باللغة، حيث يتم في اللحظة ذاتها السعي إلى امتلاك المفردات والصيّغ الجديدة لتجديد التعامل مع اللغة في صلتها بالهوية، أي التقدم على صعيد العلم والمعرفة والشعور بمسؤوليتنا عن مصير العالم والناس الذين يعيشون فيه. فالحديث عن اللغة في صلتها بالهوية، كما نبحثها في العالم العربي، حديث أثير لأنها تحثنا على واجب التقدم والتطور والنماء على مختلف الصُّعُد والمستويات، كأفضل سبيل لامتلاك انسجام وحصانة الإنسان العربي ومجتمعه، ومن ثم زيادة رصيده الثقافي وعدّته الحضارية، بحيث لا يخشى إطلاقا التماهي والتلاشي والاضمحلال، للمراجعة على موقع نقطة وأول السطر www. noqta. info بتاريخ 2017/3/20.

أفكار متقاربة واقتصاد قابل للتكامل وثقافة ذات عمق حضاري تفاعلي معوّل عليها التقريب، وأحلام وآمال من الممكن أن تعود لتكون واحدة.

وفي هـذا الإطـار الـوحـدوي المصير تظل القضية العربية الفلسطينية الوعاء الجامع لكل الوطنيات والانتماءات، وبمركزيتها وأولويتها، وللوطنية العربية الفلسطينية، وحيث تظل النضالية الوطنية الفلسطينية كوفيه تلف أعناق كل أحرار الأمة بل وأحرار العالم.

الهوية الوطنية وصراعاتنا المتحولة

الصراعات في المنطقة هي عبارة عن صراعات هويات في طريقة من طُرق النظر إليها، فحين وضع (صموئيل هنتنغتون) مؤلفة حول صدام الحضارات[46] كان ينظر للصراع القادم من زاوية الهوية الثقافية/

46- صدام الحضارات أوصراع الحضارات (بالإنجليزية The Clash of Civilizations) أوبعنوان «صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي»، هو مؤلف لكاتبه «صامويل هنتنجتون» المؤمن بنظرية صراع الحضارات، التي تقول بصراعات ما بعد الحرب الباردة أنها لن تكون بين الدول القومية وإختلافاتها السياسية والاقتصادية، بل ستكون الاختلافات الثقافية المحرك الرئيسي للنزاعات بين البشر في السنين القادمة. وحدد هنتغتون سيناريوهات للصراع بين الغرب ومن سماهم بالـ«آخرين»: أن تحاول تلك الدول عزل نفسها وحماية مجتمعاتها من «الفساد الغربي» وربما الانعزال عن ساحة السياسة الدولية، ولكن ثمن ذلك باهظ ودول قليلة لديها المقدرة على الشروع في خطة كهذه. السيناريو الثاني: أن تعمل تلك الدولة محالفة الغرب و«تغريب» مجتمعاتها مثل تركيا. السيناريو الثالث: هو أن تتحالف تلك الدول أوالحضارات مع حضارات غير غربية أخرى وتسعى لتشكيل قوة اقتصادية أو عسكرية معها بغرض تحقيق التوازن أمام الدول الغربية. (الموسوعة الحرة) وانتقد الكثيرون أطروحته هذه لأنها تدعم نظرية الإسلامويين المتطرفين في الصراع، ونقول ونظرية الإنجيلية الصهيونية اليوم التي تضع «إسرائيل» فوق رأسها ضد كل الشعوب.

الحضارية، وعلى فرضية عقل الثنائيات المتناقضة، وإن كنا لا نتفق معه في استعداء العالم الإسلامي، إلا أنه وضع إطارًا هوياتيا يجرد فيه سلاح القوي لمواجهة حرب مخترعه جديدة بعد انتهاء الحرب الباردة.

لم يبتعد المشهد كثيرا في سوريا اليوم47عن إطار مواجهات مفتعلة بمنطق (صدام الحضارات) حيث يتم تكثيف الحضور لما تم تجاوزه أو حلّه فيُعاد بعثه وإشغال الأمة فيه لتبقى إلى الأبد في حالة صراع وهويات متقاتلة ونكوص تاريخي للدولة الوطنية.

يقول الإعلامي فيصل القاسم48 عن المشهد العربي الحالي والنكوص التاريخي ومنه في سوريا اليوم:

(إن المسؤول عن هذا النكوص التاريخي من مرحلة بناء الدولة الوطنية إلى ظهور الدويلات الطائفية والمذهبية والعرقية القميئة الآن هي الأنظمة نفسها. وبدل أن نقوم بتطوير أشباه الدول الوطنية في بلادنا إلى دول وطنية حقيقية، كان مشروع الفوضى الأمريكية الخلاقة بالمرصاد لنا، فاستغل الثورات ومظالم الشعوب والأخطاء الكارثية لأنظمة الديكتاتورية ليعيدنا الآن إلى دويلات مذهبية وطائفية وعرقية بدائية وعصر ملوك الطوائف. ولولا الاستعداد الداخلي الذي وفرته الأنظمة القمعية في غير بلد عربي لما مرت الفوضى الخلاقة بشكلها المدمر الذي نعيشه ونحياه الآن، فعندما يكون صاحب البيت رجلاً يستطيع أن يحل مشكلاته مع عائلته بنفسه، فلن تتدخل أمريكا لإذكاء نار الصراع بين الشعوب والأنظمة كما في سوريا مثلاً).

47- تتصارع القوى الكبرى والقوى الإقليمية بمصالحها كما يتصارع النظام القمعي الإذلالي مع وحوش التنظيمات الإسلاموية المتطرفة على جسد الشعب السوري، فيما المستفيد الأول والأكبر هو العدو الصهيوني.

48- من مقال للكاتب د. فيصل القاسم يوم 2017/4/30 على الشابكة (انترنت) تحت عنوان: إلى الدويلة الطائفية المذهبية العرقية دُر.

ثلاثة صراعات

ثلاثة صراعات كبرى دارت في عالمنا العربي-الإسلامي عبر التاريخ، وهي اليوم تعود في إطار جديد، ففي حين نشبت الحرب الأولى في التاريخ الإسلامي على المُلك والسلطان والحكم والشرعية، فإنها لقرب عهد بالإسلام سرعان ما اتخذت شكلا دينيا طائفيا، أي أن الصراع السلطوي–السياسي الذي لم يستطيع مُشعلوه أو المتسببين به أن يفهموه خارج نطاق العقيدة أدى بهم أو برغبة منهم لإضفاء القداسة على كل مكوناته، فأصبحت الحرب والـصراع وقيمه ومفاهيمه وشخوصه تأخذ طابعًا مذهبيًا، وإن كان حقيقة الحدث برأينا وكثير من المفكرين أنه خلاف أو صراع سياسي سلطوي اقتصادي على الموارد بحت، تتداخل فيه الشرعية واختلاف الأفهام مع تعقد المسارات وتداخل المصالح.

بعد ان استقر الصراع بشكله المذهبي أو السياسي المحمول على المنصة الدينية المذهبية افترق المتصارعون بين الأسر(القبائل أو العائلات الحاكمة) الكبيرة التي تقاتلت لصون استمراريتها في الحكم، حيث استُخدم الفهم المحدد للدين لاقتسام السلطان، أو افتراض شرعيته المرتبطة بالأسرة أو القبيلة فأصبح لدى الشيعة بطوائفها المتعددة وانشقاقاتها التاريخية أن الإمامة محصورة في الأسرة العلوية، وأصبح الفقه السني يحدد الخلافة ضمن شروط مختلفة مرتبطا بالنسب العربي القرشي كشرط لا محيد عنه[49].

49- لدى غالب الشيعة أن الإمامة سواء لدى الطائفة الجعفرية الإثني عشرية، أوالزيدية، أو العلوية النصيرية أو الإسماعيلية ركن ديني وترتبط بأشخاص (مقدسين) كلهم من العائلة العلوية المرتبطة بفاطمة والحسين بن علي دون الحسن أخيه أو اخوانه الآخرين، وأسبغ على السلسلة قداسة نابعة من الدين. وفي الفقه السني إلى

وحديثا يعود النظام في دولة إيران للعب الورقة الطائفية المذهبية المحمولة على كتف السياسي كما يقول الكاتب خالد بن ققة إذ أن إيران برأيه تقوم ب: (تحويل القومي الوطني لديها إلى دافع مذهبي داخل دولنا العربية، حيث تطرح الدين كمنطلق لنصرة المستضعفين في مواجهة «استكبار» تراه في الأنظمة العربية الحاكمة، مع عملية فرز لتلك الأنظمة، فهي لا تشمل من يدور في فلكها، ولا من يؤيِّدها أو يُهادنها، والتعامل معها متغير وليس ثابتاً، ويمكن القول: إن هذا المسار يجمع بين السياسي والفكراني (=الأيديولوجي) والعقائدي، وهو خاص بالتابعين لها بشكل مباشر، أو أولئك الذين تعتمد عليهم لترجيح الكفة لصالحها، وخاصة في دول الجوار العربي)[50].

سارت المجتمعات والممالك في الشرق والغرب على قاعدة الاحـتراب والسلام المرتبط بتمكين العائلة أو القبيلة أو الحاكم «المتغلب» ضمن منطق التوريث، [51] إلى أن برزت في الفكر الإنساني بعد تطور طويل عقلية الفكر المدني والدولة الحديثة لتصبح الصراعات بين دول ناهضة بفكر جديد، وتلك الآفلة المتمسكة بالقوالب السياسية الجامدة.

عهد قريب كان النسب القرشي أساسا للحكم، وحاليا كثير من التنظيمات المتطرفة تعود للوراء بهذه النقطة، فيما أن الإسلام بفهم السنة الرحبة لا يعتبر الخلافة ركنًا من أركان الإسلام. لكن التنظيمات الإسلاموية وعلى رأسها الإخوان المسلمين وحزب التحرير والجماعة الإسلامية في باكستان يعتبرون «الخلافة» ركنا أي كالصلاة والصيام... الخ، أو على الأقل بحكم الواجب.

50- من مقال خالد بن ققة بعنوان: الاختراق الإيراني وعرب إفريقيا، في موقع (نقطة وأول السطر) على الشابكة 2017/4/6

51- نظرية (من خرج شاهرا سيفه ضد الظلم فهو الإمام) عند بعض الشيعة، أو نظرية إقرار المتغلب أي المنتصر على الحكم ودعمه في الفكر الحضاري الإسلامي جاءت بعد فترة طويلة من ممارسات شوروية في فترة الخلفاء الراشدين، ثم فكرة أهل الحل والعقد.

الصراع المحمول

ابتدأ صراع الهويات سياسيًا محمولًا على منصة الدين، فبرزت الطائفة/المذهب، ثم ظهر الصراع على السلطة لتحقيق مصالح القبائل والعائلات، وفي الشكل الثالث للصراع كانت تتصارع الدول/الأمة بحسب ما تتحصل عليه من قدرات وإمكانيات وثروات وبقدر ما تحركها المطامع الاقتصادية والاستعمارية أو الطموحات للتفوق والتوسع والفتح والمجد.

في صراع العائلات والقبائل لم يكن للقوميات شأن كبير، كما لم تكن الأوطان بشكلها وفهمها الحالي قد ظهرت بمعناها الذي أصبح معرّفا لدينا، فكان الولاء والانتماء للمذهب أو للسلطان أو للمذهب المرتبط بالسلطان، أو للقبيلة/العائلة المرتبطة بالسلطان أو للدولة/الأمة المحققة لمصالح الحكم أو الشعب في المرحلة المتأخرة من التاريخ الإنساني.

في الصراعات العائلية (الأسر الحاكمة) دمجت الهوية بالولاء للسلالة الحاكمة، وأصبحت حتى الدولة تعرف بالأسرة (الدولة الأموية العباسية- العثمانية- الطولونية- الاخشيدية- الصفوية-...الخ)[52].

يرى المفكر السوري عزيز العظمة في كتابه الألماني «أسلمة الإسلام» أن كلمة دولة في التجربة الإسلامية تعني نوعا خاصا من الترابط الوراثي، أي ملكية السلطة والقوة داخل أسرة واحدة، ولم ترد كلمة «دولة» إلا في مجال التأريخ للأسر الحاكمة (ص 63).

52- أنظر سلالات الحكم في الامبراطوريات القبطية (المصرية) والصينية واليابانية وكذلك الفارسية والرومية الأوربية، حيث كان النظام عالميا وليس مقصورا على منطقتنا.

ويلتقي هذا الرأي مع تعريف المؤرخ المغربي عبد الله العروي لكلمة دولة في كتابه «مفهوم الدولة» بأنها «الجماعة المستقلة بالسلطة المستأثرة بالخيرات وتعني في نفس الوقت الامتداد الزمني لتلك الاستفادة» (ص 89)، أي أن لفظ الدولة يعني الأسرة الحاكمة وكذلك فترة حكمها (تلك الفترة)، فعندما نقول الدولة الأموية نعني شخوص أسرة الأمويين الحاكمين، أو فترة حكمهم.

د. عاصم حنفي والدولة الوطنية والإسلام

يقول د. عاصم حنفي أن فكرة «الدولة الوطنية» ليست من الأهداف التي سعى إليها الفقه والفكر الإسلامي السياسي، حيث لم يربطا الأرض بشعب بعينه ذي روابط حضارية وثقافية ودينية ولغوية معينة، ولكن ربطاها بالدين والدعوة إليه، ومن ثم جاء التقسيم العام للأرض إلى «دار إسلام» و«دار حرب»، ولم يتحدثا عن شعب ذي خصائص معينة انطلاقا من قواعد الاجتماع البشري، ولكن عن «أمة» رابطها الوحيد هو العقيدة الإسلامية دون وطن جغرافي محدد[53].

لقد تطور مفهوم الدولة كما تطور مفهوم الهوية في التاريخ بشكل جذري، سواء قصدنا بها الهوية الفردية أو الهوية الجماعية، وسواء تلك القومية أو الدينية أو الوطنية لاحقًا.

في الهوية الجماعية تبلور عبر الزمن معنى (الوطنية) في إطار حدود الدولة المحددة جغرافيا (ترابيا)، وسياسيا وقانونيا واجتماعيا بغض النظر عن مكونات الشعب سواء من حيث المذهب أو الدين أو القومية أو العشيرة.

٥٣- د. عاصم حنفي، في مقاله: تجديد الخطاب الديني: الإسلام والدولة

تعرف **الهوية الإسلامية** بأنها: «الإيمان بعقيدة هذه الأمة، والاعتزاز بالانتماء إليها، واحترام قيمها الحضارية والثقافية، وإبراز الشعائر الإسلامية، والاعتزاز والتمسك بها، والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية، والقيام بحق الرسالة وواجب البلاغ، والشهادة على الناس»[54].

وفي سياقات التضاد للفكرانيات (الأيديولوجيات) فقد وُجدت أو اخترعت من العوامل ما يجعل القومية في مواجهة الإسلامية، أو الوطنية في مواجهتها أيضا.

أما في إطار عقلية التوافق والرحابة وقبول تعدد الانتماءات فإن الإمكانية متاحة أن يكون المرء مسلما أو مسيحيا وله من الانتماءات ضمن الدولة الوطنية ذاك التنوع القابل للتعايش والتفاعل والتضافر.

54- الهوية الإسلامية لخليل نوري: ص: {45} ومن رمضان الغنام في دراسته لمركز تأصيل.

الفصل الثاني:

الهوية والمواطنة والعولمة

الهوية الذاتية (الفردية) والجماعية

الهوية الذاتية: هي مفهوم الشخص وتعبيره عن ذاته وعلاقاته بالجماعات، أي كيف أنا لا أشبه الآخر، وتمثل الهوية مجمل انتماءاته المتعددة في المجتمع (أو المنظمة أو البلد...).

وفي ذات الشخص كهوية يمكننا أن نعرض الهوية الشخصية (بطاقة التعريف) التي تضم الاسم والعائلة والميلاد والأم والصورة، وربما الفوارق الخاصة، وكما في بعض جوازات السفر أيضا، ولنا كفلسطينيين أيضا إبراز بطاقة اللاجئين التي تشكل هوية لنا.

أنا بكر أبو بكر ببطاقتي للاجئين من مدينة حيفا العربية الفلسطينية حيث ولد والدي واعتز بذلك، وببطاقتي الفلسطينية مقيم في رام الله، وكلها أجزاء من هويتي الذاتية، ولا شك أن تعدد إقامتي في هذا البلد العربي أو ذاك قد أسبغ عليّ سمة أو سمات مميزة كما الحال مع فكري ودراستي وكتبي وثقافتي وتجاربي.

أصبحت هوية الشخص الحقيقية أو المقنّعة هذه الأيام يعبر عنها بالنُبذة (البروفايل) على (فيسبوك) أو غيره من مواقع التواصل الاجتماعي، وبمجمل المنشورات والمشاركات والتعليقات والصور التي تشير لماهية أو هوية الشخص.

يقول مؤلف كتاب (الهويات القاتلة)[55] في مقدمته: (منذ أن غادرت لبنان عام 1975 للاستقرار في فرنسا، فكم من مرةٍ سألني البعض عن طيب نيةٍ: إنْ كنتُ أشعر بنفسي «فرنسياً» أم «لبنانياً». وكنت أجيب سائلي على الدوام: «هذا وذاك!» لا حرصاً مني على التوازن والعدل بل لأنني سأكون كاذباً لو قلت غير ذلك. فما يحدِّد

55- أمين المعلوف، الهويات القاتلة-قراءة في الانتماءات والعولمة.

كياني، وليس كيان شخص آخر، هو أنني أقف على مفترقٍ بين بلدين، ولغتين أو ثلاث لغات، ومجموعة من التقاليد الثقافية. وهذا بالضبط ما يحدِّد هويتي)

مضيفا: (وأنا لا أملك هويات متعدِّدة بل هوية واحدة مؤلَّفة من العناصر التي صنعَتها وفقاً «لجرعةٍ» خاصة لا تتطابق مطلقاً بين شخص وآخر).

الهوية الجماعية: هي «مشتركات» الجماعة (المجتمع المنظم/ الأمة/الشعب)، والهوية الجماعية هي «الإناء أو الوعاء الوطني الكبير» الذي يحقق من الشروط ثلاثة على الأقل هو أنه (يعترف، ويوثّق أو يمتّن، ويستوعب).

يقول د. سمير الخطيب[56]: **الهوية** هي مجموع الرموز والصفات المشتركة بين أعضاء أية مجموعة، وهذه الرموز تعبر عن أفكارها وعواطفها وقيمها وتطلعاتها وكافة أشكال سلوكها.

أن الهوية تتمثل في ثلاثة أطر أو ثلاث دوائر محيطة بالشخص، تبدأ بإطار الفرد كذات مستقلة وتمثل هويته الشخصية المتمايزة عن غيره بشكل أو بآخر، وتنطلق نحو الهوية المجتمعية التي تصبغ مجتمعا بعينه بقيم وسلوكيات، ومنظومة حياة مختلفة عن المجتمعات الأخرى.

ويضيف د. الخطيب: وقد تكون هذه الهوية إما الهوية العائلية أو هوية الحيّ وتتسع إلى أن تصبح هوية القرية أو المدينة التي يسكنها أو إلى منطقة جغرافية محددة لتمييزها عن منطقة أخرى فهناك مثلا هوية قرية أو مدينه معينه تختلف عن هوية قرية

56- عن مقال للدكتور سمير الخطيب تحت عنوان: النكبة والهوية الفلسطينية في موقع (بُكرا) على الرابط http: //www. bokra. net/Article-1133240

أو مدينة أخرى أو هوية الجليل وهوية المثلث[57]، لتصل إلى الهوية القومية أو الوطنية الجامعة.

أما المفكر العربي برهان غليون فقد ميّز في النظر إلى الهوية بين مستويات ثلاث[58]:

«المستوى الأول هو مستوى الوعي بالذات، أو الوعي الذاتي، وهو أساس الشعور بالانتماء أو عدم الانتماء إلى مجموعة معينة، وبالتالي فهو التعبير المباشر عن نوع الاندماج الاجتماعي: القومي أو الأقوامي أو الجهوي أو العشيري القائم.

والمستوى الثاني هو واقع الخصوصية الثقافية أو الثقافة الخاصة بكل جماعة أو مجتمع، والتي تميز الكائن الاجتماعي ولا يمكن أن يتحدد وجوده المستقل من دونها[59].

والخصوصية الثقافية أو الثقافة الخاصة ليست متعلقة بنوعية وعينا لها، ولكنها قائمة بذاتها كواقع موضوعي يفرض نفسه بصرف النظر عن وعينا به وأسلوب رؤيتنا له.

والمستوى الثالث هو مستوى العقيدة أو الأيديولوجية التي تعكس الواقع الاجتماعي المتعين. وقد تكون هذه العناصر متسقة ومتوافقة، لكنها قد تكون متنافرة تماماً».

57- المثلث منطقة في فلسطين المحتلة عام 1948م.

58- د. خير الدين عبد الرحمن، لغتنا هي جوهر هويتنا، مخطوط مرسل لي من الكاتب الكريم، ص6

59- «الذاكرات المشتركة والإرادة المشتركة تساوي الروح المشتركة التي تكوّن الأمة» كما قال العالم رينان.

الهوية الوطنية

هذا «الوعاء الوطني الكبير يقرّ و(يعترف) بكل مكونات وطوائف المجتمع دون تمييز أو تفضيل»، ما كان قديما يميّز علاقات المكونات المختلفة ضمن الكيان السياسي، والاعتراف هذا يخلق كيانًا واحدا لا يلغى ولا يشطب ولا يُقصي الآخر بل يتفاعل بتوافق واتساق رغم التنوع.

وهو وعاء كبير(يوثّق) العلاقات ويقرّبها من بعضها البعض، بإيحاد المشتركات[60] في إطار الثراء التنوعي المرتبط بالتعددية، وهو بذلك يقبل عن طيب خاطر و(يستوعب) كل الثقافات الجزئية بحيث أنه يشكل بينها نقاط تلاقي وارتكاز وانطلاق مشترك.

إن الهوية الوطنية تمثل أيضا «الدستور غير المكتوب»[61] المتجسد بالنفوس لأبناء الوطن.

إن الهوية الوطنية كيان جامع، وأيضا شعور بالانتماء للأمة، وهي تعطي الشعور بالتجانس والتناغم من حيث وحدة أو تشارك العادات واللغة والثقافة ضمن (المجتمع السياسي) ذو المعالم والحدود الجغرافية[62].

60- هي المشتركات أو الجوامع، التي درجت الأدبيات الثورية على تسميتها القواسم المشتركة، بمعنى ما نقتسمه معا، ولكن ما يجمعنا معا (الجوامع) باعتقادنا أوقع بالمعنى والإيحاء النفسي.

61- د. إبراهيم الديب في مقاله حول عبقرية الهوية الوطنية في بناء الدولة الحديثة على موقع الجزيرة نستشهد به حيث وجب لأهمية الدراسة/المقال.

62- يقول الكاتب إبراهيم الديب في عبقرية الهوية الوطنية الواحدة الجامعة أنها تتميز بخصائص 4 هي:

1. قدرتها الكامنة على تحويل التعدد والتنوع الطبيعي للمجتمع إلى ثروة وطنية.

يقول د. سمير الخطيب63 حول بناء الهوية قياديًا برأيه: (يجدر التنويه أن الهوية الفردية أي الشخصية تختلف اختلافا جذريا عن الهوية الجماعية، فالأولى مكتسبة ومتحركة «ديناميكية» ومتغيرة باختلاف الزمان والمكان، أما الهوية القومية فهي مصقولة وموجهة يتم بناءها عبر توجيه القيادة والاستراتيجيات المفروضة التي يعبأ الفرد بها، وآخر أنواع الهوية هي الهوية الإنسانية، التي تلتقي فيها هوية الأفراد والمجتمعات عند قضايا إنسانية تغيب فيها حدود الدول المجتمع والذات).

استطاع مفهوم الهوية الوطنية أن ينقل الناس عبر مسار طويل في التاريخ من مفهوم (الرعية) أو الأتباع المرتبط بالملك أو السلطان أو الأمير أو الحكم إلى مواطنين أحرار متساوين[64].

---

2. نزع فتيل المفجر النفسي والذهني الخاص بالخوف لدى كل فصيل على حاضره ومستقبله خشية الإقصاء والحرمان من حقوقه الخاصة والعامة.
3. «الهوية الوطنية هي أيضا الدستور الضمني غير المكتوب وغير المعلن، ولكنه كائن ومتجسد في نفوس أبناء الوطن الواحد فليعتنقوه ويطبقوه ويحافظوا عليه كجزء من تكوينهم الوجداني والذهني والنفسي»
4. كذلك ترشيد وتنظيم لرغبات نفوس الأكثرية والتي غالبا ما تدفعها إلى الطموح الجامح الخاص لنفسها ولو على حساب باقي مكونات المجتمع.

63- د. سمير الخطيب، مصدر سابق.

64- يذكر الكاتب د. محمد السقاف في مقالته 2020/12/8 تحت عنوان: دعوة لإقامة «نظام ويستفالي» عربي، أن عقد «مؤتمر السلام» في منطقة ويستفاليا الألمانية، الذي، عبر معاهدة سياسية وُقعت في 24 أكتوبر (تشرين الأول) 1648 وسميت «صلح ويستفاليا»، أنهى حرب الثلاثين عاماً (1618 – 1648) بين الكاثوليك والبروتستانت، وانتهت باتفاق سلام هو الأول من نوعه أوروبياً، حسب توصيفه من بعض المؤرخين، وبالإقرار بعدم تدخل كل من الطائفتين في شؤون الأخرى؛ لأن الدفاع عن العقيدة هو الذي يحرك الحروب الدينية، بينما جوهر «نظام ويستفاليا» يقوم على عدم جواز التدخل في العقيدة الدينية للشعوب الأخرى. ومن هذه الفكرة ظهرت بداية نشوء مفهوم الدولة القومية؛ الدولة ذات السيادة، وبداية بروز مفهوم الدولة الحديثة

يرى الدكتور محمد عابد الجابري أن موضوع الهوية شديد الحساسية والدقة، لأنه تتداخل عند تناوله عدة عوامل، المعرفي بالسياسي والذاتي بالموضوعي، مع طغيان البُعد الفكراني=الأيديولوجي، لأنه غالبا ما نجد إصرارًا من قِبل بعض النخب المتغربة على إلحاق الثقافي والفكري بالسياسي، فيترتب تبعا لذلك أن يصبح الفكري في خدمة السياسي، وحينها تصير الهوية الثقافية تابعة للهوية السياسية[65].

ويضيف كما ينقل عنه الكاتب مصطفى حضران: (وبالتالي أداة طيعة للتوظيف السياسي كلما ظهرت الحاجة ودعت الضرورة لذلك، الأمر الذي جعل الهوية ترتدي لبوس السياسة عنوة وتصبح معول تفرقة، بدل أن تبقى عاملا للوحدة والاتحاد، على اعتبار أن الهوية تمثل المشترك بين فئات المجتمع، وتُساهمُ في جعلهم يُحقّقون صفة التفرّد والتمايز عن غيرهم، ترتب على ذلك تهميش الهوية وتحميلها أو زار العبث السياسي، لذلك أصبحنا ننظر إليها على اعتبار أنها سبب الأزمة عوضا عن النظر على أنها إحدى نتائجها)[66].

رأى د. نصر الدين لعياضي[67] أن «مفهوم الهوية لا يشكل

بوصفها كياناً قانونياً مستقلاً عن حكامه.

65- عن مقال سؤال الهوية للكاتب محمد حضران في صحيفة هسبريس المغربية 1018/3/28

66- يقول الكاتب د. عاصم حفني في مقاله بصحيفة (المصريون) بتاريخ 2017/4/6 (لغويا لم يعرف الفقه الإسلامي السياسي مصطلح الدولة بمعنى شعب متعدد الديانات والأعراق، يعيش في أرض ذات حدود، ويخضع لنظام حكم سارٍ على كافة أفراده دون تمييز، فمصطلح الدولة كان يستخدم في تجربة الحكم الإسلامية وكذلك في أدبياتها دلالة على الأسرة الحاكمة مثل الدولة الأموية والدولة العباسية ودولة هارون الرشيد، وكلمة دولة مشتقة من فعل الدوران والتعاقب أي التداول، بمعنى أن الأسر الحاكمة تتداول الحكم فيما بينها)

67- الحياة، 2008/2/7. وعن كتاب د. خير الدين عبد الرحمن السابق الإشارة له.

موضوع إجماع في تعريفه وغاياته، وذلك لأنه يطرح بعض القضايا المرتبطة بجوهر الوجود الفردي والجمعي والوطني، ويحدد خصائص الأنا مقارنة بالآخر» لذا لا بدّ من الاستعانة ببعض المحددات التي تساعدنا في فهمنا للهوية، نذكر منها على وجه الخصوص ما يلي:

1. تحديد الأنا... يجري الحديث في الغالب عن الهوية كأنها الصورة التي نملكها عن ذاتنا وعن بلدنا.
2. محدّد الآخر: إن الوعي بالهوية لا يتم بالاستناد إلى إدراك خصائصها فقط، بل يتحقق من خلال الوعي بالآخر.
3. محدد الذاكرة: إن مفهوم الهوية يفترض الأنا الوحدوية والموحدة في الزمان والمكان، وهنا علاقة الهوية بالذاكرة، ففي الذاكرة تترسب الهوية لتحافظ على استمرار وجودها.
4. الهوية كمعطى منجز: الهوية ليست معطى منتهياً وكامل البناء، فالخصائص الجوهرية التي تبني الهوية لا تتشكل إلا عبر جملة من التراكمات المعقدة، في ظل تطور تاريخي.

أنهى لعياضي مرافعته قائلاً: «من الصعب الاقتناع بأن الهوية ظاهرة سياسية عقلانية، ومن الأصعب تجريدها من المضمون الثقافي، فالهوية تنتمي إلى حقل التخيل الذي يعدّ فعلاً اجتماعياً وثقافياً تزن فيه الذاتية بكل ثقلها لتوجه التأويل الوجداني للحقائق الموضوعية».

المواطنة

يكتب عبد الله بوصوف عن فكرة المواطنة قائلا أنها تقوم على أساس اعتراف قانوني وسياسي وثقافي واجتماعي للتعايش بين مواطنين متنوعي الثقافات واللغات والديانات والأعراق.

مضيفا أن: «المواطنة أو الانتماء المشترك إلى قيم مشتركة للوطن الواحد تحفظ حقوق المواطنين وتضمن تنوعهم اللغوي والديني والثقافي داخل دولة موحدة تحتكر تنظيم المجتمع وتحتكر سلطة التشريع وسلطة العقاب وسلطة التنظيم... خارج كل أعراف العشيرة والطائفة، أي مواطنة في إطار دولة الحق والقانون... أي أن المواطنة هي التي تُحدد الهوية الوطنية الموحدة داخل مجتمع متعدد الثقافات واللغات...

وفي معنى آخر، فإن المواطنة داخل مجتمع متعدد الثقافات هي اتفاق سياسي يُقلل من صراعات الهويات وينهيها بصفة هادئة؛ وهو ما يخلق «مجتمعا سياسيا جديدا» غير مؤسس على مقومات هوياتية لمجموعات داخل المجتمع الواحد، على اعتبار وجود فروقات قوية بين الهوية والمواطنة؛ فالمواطنة الموحدة هي الوسيلة الوحيدة التي بإمكانها إدماج أفراد المجتمع والثقافات غير الأصلية داخل الاتفاق السياسي أي المواطنة، وبالتالي إعطاء تلك الأقليات طابع تمثيل سياسي قويا؛ لأنها – المواطنة-مُؤسسة على فرضية الحفاظ على حق الاختلاف، لنصل إلى النتيجة نفسها، أي أن المواطنة هي الوسيلة الفعالة في حل كل مشاكل صراعات الهوية داخل المجتمعات متعددة الثقافات».[68]

يكتب د. إبراهيم الديب حول بناء وتمكين الهوية الوطنية الواحدة الجامعة قائلا أن مكونات المجتمع تستند إلى منظومة متكاملة من المبادئ والمرتكزات يأتي في مقدمتها: اللغة والتراث التاريخي والاعتراف الكامل بكل المكونات الطائفية، والوجود التاريخي، وأيضا

68- من مقال للكاتب عبد الله بوصوف تحت عنوان: المواطنة والتعددية الثقافية واللغوية... المشي «فوق رمال متحركة»، منشور في موقع نقطة وأول السطر بتاريخ 2019/10/3

إلى القيم الإنسانية العالمية المتعارف عليها عالميا إضافة إلى الفرعية التفصيلية لقيمة المواطنة (الاحترام، والعدل، والمساواة، والالتزام والانضباط، والمؤسسية) كقيمة عامة حاكمة لسلوك وأداء المجتمعات الحرة الحديثة.

المواطنة هي حالة قانونية ترادف الجنسية، وتعطي لأصحابها الحقوق حسب الدستور، وإلى ذلك هي ذات بُعد اجتماعي/سياسي يتمثل بدور وفعالية وقوة الأحزاب والنقابات والمؤسسات، وعبر خوضها غمار الانتخابات، أما ثالثا فللمواطنة بُعد الهوية الوطنية التي ما هي إلا نتيجة عضوية الشخص في الجماعة (أمة، مجتمع، منظمة...).

ومن الجدير ذكره أن الهوية الوطنية تختلف عن الأصل (مسقط الرأس أو مسقط رأس العائلة) لأنها تتضمن إلى الأساس الفطري بناءً اختياريا أيضا، إذن من الممكن القول أن المواطنة تُفهم بخمس حالات هي:

1. حالة قانونية كما ذكرنا
2. وتحمل بعدًا سياسيا اجتماعيًا
3. وتعطي معنى الهوية الوطنية ثالثا
4. أما رابعا فإنها تبلور ذاتها كمواطنة من خلال المشاركة ممثلة بالاختيار الحر والمساواة والتكافؤ.
5. ومن الممكن خامسا أن نقول بوضوح أن ركني المواطنة أو جناحيها اللذان تطير بهما هما: جناح المساواة والكرامة الإنسانية لكل أبناء الوطن، وثانيا بالحرية دون إقصاء أو تخوين أو تكفير فالكل شريك.

من تحديات الهوية: العولمة والتقانة والسياسة

الهوية الوطنية «وعاء مشتركات» و«شعور وتجانس» وهي إلى ذلك تعترف بتعدد الانتماءات، سواء الشخصية، أو الجماعية، فقد تكون جماعة عرقية أو دينية أو مصلحية متواجدة ضمن الوطن، ولكل منها عدة انتماءات.

وذات الحال في الشخص ضمن أي من الانتماءات الجماعية أو الهويات فإنه من الضرورة في مجتمع المعلواتصالية والتدفق الخبري والتقاني أن يفهم إمكانيه التعرض إما للتآكل والاندثار (أو التعديل) في الهوية والانتماءات.

قد تظهر ملامح الوطنية الحديثة باندماج العمق الطبيعي مع الناشئ، أي باندماج تلك المكونات من دم وعرق وأرض ودين وعادات وقيم، ومع الجديد المصلحي أو الإشباعي البراغماتي المصلحي الذي يحقق للشخص مكاسبه المادية الاقتصادية (أنظر ما يقول أمين المعلوف في كتابه الهويات القاتلة).

إن تحدي العولمة (ووسائل التواصل الاجتماعي في الشابكة) من حيث إمكانية أن يحدث التآكل أو الاندثار أو بالحالة الحسنة التعديل يمكن النظر لها من 4 زوايا:

أولا: تعزيز المشترك الخارجي مقابل الداخلي، أي غير الواعي مقابل الواعي.

ثانيا: إنتاج هوية غير مقيدة بحيّز جغرافي، وهو ما تمثله الحيّزات الافتراضية المحاكية للواقع على الشابكة (=انترنت) لذا يمكن لهذه البيئات الافتراضية المحاكية للواقع أن تهدد الهوية الوطنية والرابط الجغرافي.

ثالثا: إن الفعالية التي يجدها الفرد على الشابكة من خلال البيئة الافتراضية، والمجموعات وخلافه ضمن وسائل التواصل الافتراضي تتيح له مساحة مشاركة أو سع ومتعددة ما يزيد من الارتباط باتجاه وتقلصه باتجاه آخر.

رابعا: إن العولمة تواجه القيم الوطنية بقيم ورمزيات جديدة مختلفة عن تلك الوطنية.

وعليه فإن التعامل مع تحدي العولمة والتقانة والمعلواتصالية[69] يجب أن يكون واضحًا كي لا تذوب المساحة المعبرة عن الوطنية ونشوء المساحات الجديدة التي قد تسلب الشخص أو فئة من المجتمع أو تيار في الدولة ارتباطهم بالهوية الوطنية الجامعة.

69- مصطلح المعلواتصالية هو دمج لمفهوم مجتمع المعلومات المفتوحة والاتصالات المفتوحة عبر وسائل الاتصال التي تلفّ الكون.

الفصل الثالث:

الوطنية في المجالين الثقافي والسياسي.

دور الثقافة والوطنية، والهوية

في تحدي آخر هو التحدي الثقافي والسياسي نجد خير من كتب في هذا الباب هو المفكر د. حسن حنفي[70] وبعد أن يعرض أهمية العالم والمثقف وضرورة التناسق بينهما في مقاله يقول: (يصبح العلم ثقافة شعبية للعامة تتحول هذه الثقافة إلى ثقافة عقلية تجريبية، خالية قدر الإمكان من الخرافة والخزعبلات. فيتحول العلم إلى ثقافة شعبية، وتصبح الثقافة العامة ثقافة علمية. وعلى أساس هذه الثقافة الشعبية العلمية تقوم المؤسسات والنظم وتسن القوانين. فالعقل جزء من الحياة العامة وعليها يستند).

ويصيف رابطًا بين العلم والثقافة والوطنية أنه (إذا تحول العالم المثقف إلى عالم مثقف وطني، فإنه يصبح نشطاً سياسياً. يحقق العلم ليس فقط في الثقافة وحدها بل في الثقافة والسياسة. فالوطن هو الغاية القصوى للعلم والثقافة. والسياسة هي المصب النهائي للعلم والثقافة والتي تسمى فكرانية (=أيديولوجيا).

وهنا يصبح للعلم بُعدان: الثقافة والسياسة. كما تصبح للثقافة بعدان: العلم والسياسة. وتصبح للسياسة بعدان: العلم والثقافة تجنبا لعزلة العلماء. ولا يقبل مبرر واحد لعزلة العلماء ولا لعزلة الثقافة. فالعالِمُ عالمٌ في مجتمع. والثقافة ثقافة مجتمع. والسياسة سياسة اجتماعية. والمجتمع كله جزء من حركة التاريخ. ولا أحد يسبق الآخر. والعيب في المجتمعات النامية أن يظل العلماء على هامش المجتمع بدعوى البعد عن السياسة أو أن يظلوا مثقفين دون أن يتحولوا إلى سياسيين. والعيب في المجتمعات النامية أيضاً أن يتحول النشطاء

70- من مقال د. حسن حنفي على الاتحاد الإماراتية، وفي موقع نقطة وأول السطر.

السياسيون إلى علماء وهم لم يتكونوا بعد، وأن تظل الطبقة المثقفة المتوسطة بلا حَراك).

المفكر مهدي عامل[71] مشددا على إنتاج الثقافة في الإطار التحرري لا إبقائها كإرث فقط ما يقتلها يقول التالي: «الحفاظ على الثقافة الوطنية كإبقائها كتراث أو ككنز ثقافي خارج كل مكان أو زمان، منعزل عن السيرورة التاريخية هو بالحقيقة قضاء عليها كثقافة، أما إبقائها كثقافة فهو تحصين أو قضاء عليها كمجرد تراث، فالقضية الأساسية للثقافة الوطنية كما يراها مهدي عامل هي قضية إنتاجها داخل حركة النضال التحرري، فهي ليست سابقة لهذا النضال بل نتاج تاريخي له.

71- مهدي عامل واسمه الحقيقي الدكتور حسن عبد الله حمدان هو مفكر ومناضل شيوعي ولد في بيروت عام 1936 في العام 1955 أنهي مرحلة الدراسة الثانوية من مدرسة المقاصد في بيروت، سافر إلى فرنسا في عام 1956 ونال من جامعة ليون شهادتي الإجازة والدكتوراه في الفلسفة. وفي العام 1960 انتسب إلى صفوف الحزب الشيوعي اللبناني، في عام 1963 سافر إلى الجزائر واشتغل لمدة اربع سنوات في التعليم في دار المعلمين بمدينة القسطنطينية، وكتب بالفرنسية عدة مقالات نشرت في مجلة «الثورة الأفريقية» الصادرة في الجزائر. في عام 1968 درّس مادة الفلسفة في ثانوية صيدا الرسمية للبنات وبقي في عمله هذا إلى أن انتقل عام 1976 إلى الجامعة اللبنانية- معهد العلوم الاجتماعية، ليدرّس فيها مواد الفلسفة والسياسة والمنهجيات. ولقد كانت بداية حسن حمدان في مجلة «الطريق» تحت اسم مهدي عامل، الذي اصبح يُعرف به فيما بعد، له عديد الكتب ومن أبرزها كتابه «مدخل إلى نقض الفكر الطائفي-القضية الفلسطينية في أيديولوجية البرجوازية اللبنانية».
تعتبر هذه الفترة (1968-1976) من الفترات المهمة في حياة حسن حمدان، حيث بدأ فيها ممارسة مشروعه الفكري والكتابة باللغة العربية، في وطنه، لدراسة واقعه الاجتماعي دراسة علمية وتمييز كونية قوانين الماركسية فيه، لتبدأ، بحسب حسن حمدان، «صيرورة الفكر العربي فكرًا علميًا» مبتعدًا عن القولبة وتكرار المقولات الجاهزة. في الثامن عشر من أيار عام 1987 اغتيل في أحد شوارع بيروت، وهو في طريقه إلى جامعته الجامعة اللبنانية. (عن الموسوعة الحرة في الشابكة)

معنى هذا أن إنتاج الثقافة الوطنية لا يكون إطلاقاً إلا بإنتاجها لعالمنا وأساس هذا الإنتاج هو إنتاج العالم المادي، فعامل لا يدعو إلى قطيعة مع التراث، لأن هذه القطيعة غير واقعية، وغير ممكنة، وإنما يدعو إلى إعادة إنتاج التراث الوطني، والحفاظ على كل ما من شأنه أن يشكّل أساساً في عملية التجديد والتقدم الاجتماعي»[72].

يكتب سهيل كيوان من فلسطينيي أرض 48 بالداخل حول الانتخابات المحلية موضحًا المنظور الصحيح للوطنية في إطار الانتخابات (المحلية بالداخل الفلسطيني، أي في داخل أرض فلسطين بالجزء الذي يتسمى سياسيا «دولة إسرائيل») أنها تشتمل على الكثير من رفض التعصب والقوقعة التنظيمية، ولكنها تؤكد على العمل المنظم عكس الفوضى الفردية، وتسعى لتحقيق الثقافة ليس بالمهرجانات فقط وإنما بالعمق.

يقول سهيل كيوان في سياق فكرة الجماعية والوطنية أنها: «تعني نظافة اليد والحرص على المال العام، ومن يستهتر بالأحزاب والحركات السياسية ينمّي مشاعر وروح الخلاص الفردي، الأمر الذي يعني «أنا ومن بعدي الطوفان»، هذا يقلل من قيمة العمل الجماعي المشترك، بحجة ماذا فعلت لنا الأحزاب والحركات!!

ويضيف أن: «هناك من ينتقد الأحزاب على تقصيرها في العمل السياسي وهذا حق» ولكن «مهاجمة الأحـزاب لتفتيت الجماهير وتنظيماتها دون طرح البدائل التنظيمية، فهذا يعني الفوضى، وجعل مصلحة الأفراد الخاصة، بديلا عن العمل المشترك والجماعي، وهذا نوع من الخيانة الوطنية» ف«الوطنية تعني محاربة العنف بكل أشكاله،

72- من دراسة للكاتب الفلسطيني كميل أبو حنيش تحت عنوان: مقاربات في نظرية التخلف: الحالة العربية نموذجاً، في موقع مركز بيروت للدراسات.

وتعني الاهتمام بالثقافة، وهذه لا تعني مجرد إقامة مهرجانات غنائية لتفريغ مؤقت لشحنات من الطاقات دون ملامسة العمق».

يتواصل بحرقة قائلا أن: «الوطنية تعني عدم استغلال مركز القوة، الوطنية تعني رفض التعصب بكل أشكاله، سواء القبلي الأعمى أو التعصب الحزبي أو التقوقع القومي أو الديني، والوطنية يجب أن تنسجم مع القيم الإنسانية، الوطنية تعني زرع المحبة والتسامح بين أبناء الوطن والشعب والمصير الواحد»[73].

الهوية والانتماءات

إن **الانتماء هو عبارة عن الانتساب أو الاشتراك** في/ضمن جماعة، أي أن يكون الشخص واحد ضمن الكل، سواء بإرادته (انتماء طوعي للمؤسسات والجمعيات والتنظيمات...الخ) أو بدون إرادته (انتماء جبري/قسري للعائلة والبلدة والقبيلة...).

ومن حيث هو انتماء حسّي مادي يعبر عنه **بالانخراط في فعاليات** ونشاطات المجموع، أو شعوري فيما يعبر عنه بالتعبئة وبالدعاية أو المديح أو الإبراز أو الدفاع عن الجماعة هو انتماء متعدد قد ينمو ويطرد وقد يضعف ويتشتت.

قد تتصارع الانتماءات، وهي بطبيعتها متعددة، فتطغى إحداها على الأخرى مثل الانتماء المناطقي أو الطائفي أو الحزبي أو الانتماءات ما فوق الوطنية (العولمية أو الإنسانية)[74].

73- مقال سهيل كيوان في موقع عرب48 تحت عنوان فضائحنا الوطنية في 2018/10/24

74- في التجربة الفلسطينية وخاصة في انتخابات البلديات يبرز العامل العشائري على حساب التنظيمي والوطني العام فعلى سبيل المثال عام 2016 وفي قرية بديا من

في ذلك يقول المفكر اللبناني الشيخ علي الأمين[75] عن حالة لبنان كنموذج رافضًا الانتماء الطائفي ومحذرا من خطورته: (البدائل التي تطرح اليوم علينا كلبنانيين، خارج خيار الانتماء إلى لبنان والدولة، هي خيارات لا أفق حياة أو استقرار لها، بل هي أجزاء من مشاريع كيانات مذهبية متضادّة، واستبدادية بالضرورة. ففي مقابل الانتماء الوطني اللبناني، يتقدّم اليوم خيار تجاوز الحدود. هذا ما تقدّمه لنا دولة الخلافة في العراق والشام[76] وشبيهاتها لدى دعاة بناء الدولة الدينية في المنطقة العربية)[77].

مضيفا (إلى هذا النموذج ثمة تسلّل لدعوات الانزواء في أطر مذهبية وكيانات صافية، بذرائع الحماية والخوف، وهذا ما ليس قابلا للحياة أيضاً).

يقول الكاتب والروائي أمين المعلوف[78]: (أن الهوية لا تُعطى

فلسطين نزلت 8 قوائم كلها من حركة فتح تتقاتل على انتخابات البلدية ضاربة بعرض الحائط الانتماء الوطني التنظيمي الحركي مقابل صعود الانتماء العشائري.

75- من مقال للسيد علي الأمين تحت عنوان: الهويّات المذهبية تهدّدنا جميعنا منشور على الشابكة بتاريخ 14 حزيران (يونيو) 2015.

76- المقصود ما أصبح يسمى لاحقا تنظيم (الدولة الإسلامية) (داعش) بزعامة أبو بكر البغدادي الذي استولى على أجزاء واسعة من العراق وسوريا، وألهب مشاعر المتطرفين بأعماله العدوانية والتخريبية، التي لم تخرج عن إطار استخدام القوى الكبرى والإقليمية له لتوسيع نفوذها وسيطرتها على المنطقة وأولها دولة الكيان الصهيوني وحاميتها الأمينة. (دخلت داعش مدينة الموصل عاصمتها لاحقا عام 2014م، وفعلت المنكرات، وطردت منها في 2017م).

77- المفكر الإسلامي «الشيعي» اللبناني علي الأمين يشير لبناة الدولة الدينية بالتحديد لنظام ولاية الفقيه في إيران الذي يرفضه، وهو نظام ديني بحت مغطى بأثواب سياسية ودولة شبه ديمقراطية.

78- أمين المعلوف، الهويات القاتلة، ترجمة نهلة بيضون، دار الفارابي، بيروت، ط3، 2015 ومن الممكن للاختصار العودة لمقال عن الكتاب في موقع (الباحثون السوريون).

مرة واحدة وإلى الأبد إلى الفرد، بل تتشكل من عدة انتماءات تتبدل ويختلف تراتب عناصرها طوال حياته، وتالياً (الهوية) قابلة للتغير والتَّبدّل حسب تأثير الآخرين بشكل أساسي على عناصرها. وأن الفرد يميل بطبعه فيما يخص تعريف هويته وتحديد انتمائه بأكثر عناصر هويته عرضة للخطر-خطر الإهانة أو السخرية أو التهميش أو القمع... إلخ -

مضيفا (والذي يختزل الهوية إلى انتماء واحد، يضع الرجال في موقف متحيز ومذهبي ومتعصب ومتسلط، وأحياناً انتحاري، ويحولهم في أغلب الأحيان إلى قتلة أو إلى أنصار للقتلة).

نحن نـرى **ضرورة استخدام واقـع المشاركة التعددية في إطار التجانس والانصهار والتناغم أو التجاور والتعايش في تعدد الانتماءات الذي وجب أن يؤدي للغنى والثراء، وحتى لأن يكون الصراع في إطارها مجلبة للتنافس والفخر والإنجار.**

الهوية بصراع الانتماء أو بروز هويات ما دون وطنية أو ما فوق وطنية[79] قد تؤدي للاقتتال أو للاندثار أو لانسحاق الهوية.

وأمامنا نموذج الانبهار بالآخر (كل افرنجي برنجي) ونموذج التلاشي الطوعي أو الانسحاق الجبري[80]، ومنه ما حصل بعد الحملة الفرنسية على العالم العربي وبداية البعثات وعصر الترجمة، ومنها ما حصل تحت ضغط الاحتلالات الاستعمارية لبلادنا، وما يحصل اليوم من الاستعمار الإحلالي الصهيوني لفلسطين ولعقول بعض امة العرب

79- الهويات مادون وطنية هي القبلية والعشائرية والمذهبية، أما المافوق وطنية فهي العولمية مثل الإسلاموية أو المسيحانية أو القومية العنصرية أوالاشتراكية أوالإنسانية المطفئة لما دونها.

80- يسميه الكاتب والمفكر مالك بن نبي القابلية للاستعمار، وهو حاليا القابلية للاحتلال أو الصهينة أو الانعزالية عن الأمة العربية والحضارة الجامعة.

وثرواتهم وخياراتهم السلطوية.

إن الانتماء حين الولادة لا يكون إلا للأم، فهي مدخل الطفل نحو العالم الخارجي من حيث أنها توفر له كل احتياجاته من مأكل ومشرب ودفء وحب واتصال. لكن الطفل بعد أن ينمو ويكبر ونتيجة تفاعله مع البيئة تتعدد احتياجاته الإنسانية والاجتماعية وطرق إشباعها فتصبح انتماءاته متعددة وتتغير أولوياته.

الدولة و"العلمانية" حقل اختلاف أم اجتماع؟

في تأكيد أهمية ودور الدولة باحتواء الهويات أو الانتماءات المتعددة يقول السيد علي الأمين أيضا في ذات المقال المشار له سابقا: (الدولة بمفهومها الديمقراطي الحديث تبقى هي النموذج الأمثل الذي وصلت إليه البشرية كمجال تُدار من خلاله الشعوب والمجتمعات، ولتنظيم الحياة السياسية بما هي حقل اختلاف. وتقام على أسس دستورية يجمع عليها المواطنون).

وفي سياق الدولة والانتماء يبرز دومًا سؤال العلمانية أو المدنية، مقابل الإسلامية أو الإسلاموية.

في نظر معسكر القطيعة بين المفاهيم، أو ما يسمي معسكر الفسطاطين من العلمانين أو الإسلامويين نجد أن لا تلاقي بين كثير من المفاهيم، إذ لا تلاقي عندهم بين العلمانية والإسلام البتة! على اعتبار أن أحدهما ينفي الآخر ضمن علاقة عدائية تنافرية.

العلمانيون الإلحاديون (وهم فئة من العلمانيين حيث أن العلمانية لا تعني الإلحاد مطلقا، كما يفهم المتطرفون الإسلاميون) يعتبرون تدخلات القيم الدينية أو المفاهيم المستمدة منه مناقضة

للسياق العلماني اللائكي الـذي ينفي دور الدين من حيث هو أيديولوجية، ما يعني أن العلمانيين هؤلاء هم أيديولوجيون تمامًا، كما الإسلامويين في رفضهم للعلمانية بوجهها الأوحد لديهم أنها النقيض للدين.

ودون الخوض في تكاثر التعريفات المتعلقة بالعلمانية[81] وتضادها واختلافها في التطبيق أصلا ومدى موضع الدين في النظام فإننا لا نرغب بالانجرار نحو فكرة تبني أو رفض المصطلح فهو إشكالي عميق، له من يقبله بأي من تفسيراته المختلفة حتى بين المفكرين الإسلاميين، وله من يرفضه ولسنا ملزمين بأي من ذلك.

ولكن من الممكن القول أن الهدف للمواطن وفي الدولة هو تحقق المراد، وليس تبني فكرة أو مصطلح إشكالي لذلك فإن **الوطنية والهوية تتناسق مع فكرة الدولة المدنية أي دولة المواطنين بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية أو الطائفية أو العرقية.**

وعليه تصبح الدولة أو النظام نظام القانون هو سند المواطن والمعبّر عنه في مواجهة الأفكار الأيديولوجية الإقصائية التي تؤمن بالصراع التناحري ضد الآخر لدرجة إقصائه من المجال العام.

يقول الكاتب موريس عايق في سؤال الهوية والطائفية أن: «الربط المباشر بين العلمانية والطائفية، واعتبار الأولى حلاً مباشراً للثانية، لا يكتفي وحسب بخلط مسائل متباينة بعضها ببعض، بل قد يخدم كعباءة أيديولوجية في تزييف وتغذية النزاع الطائفي والمقوِّض للجماعة الوطنية ذاتها»[82].

81- يمكن الرجوع لكتابنا حول: حركة فتح والإسلام والعلمانية.

82- من مقال للكاتب موريس عايق في موقع قنطرة الألماني تحت عنوان الطائفية والهوية الوطنية في الوطن العربي.

مضيفا أن «حل المسألة الطائفية يقوم على تكريس الجماعة الوطنية والحفاظ عليها وإعادة الاعتبار للديموقراطية الحقيقية والمواطنة التي تقوم على تحقيق المساواة بين المواطنين أنفسهم».

مبرّزات الهوية والأخطار بين الاستبداد واللغة

من أبرز مبرّزات الهوية:

1. الخطر الخارجي أو الداخلي أو التهديد لحياة وطريقة عيش الشخص أو الجماعة، وما يرتبط بذلك من التعرض.
2. للاضطهاد والظلم، كما أن
3. الاستبداد والنُظم الشمولية القمعية

وهذه النظم على شدتها وسعيها لسحق الهويات فإنها بحقيقة الأمر تؤدي لبروز الهويات، أو كمونها في حالة ترقب لأن تعود لتتبلور وتبرز.

ولنا أن ننظر إلى حالة الجمهوريات تحت الحكم السوفيتي-الروسي الشمولي السابق، وحالة كل الدول تحت الاحتلال أو الاستعمار، وأبرزها حديثا حالتنا الفلسطينية على فرادتها التي سنتحدث عنها لاحقا. (الفهد يَقتل حين يتعرض للاضطهاد).

الضغط والإكراه والاستبداد والظلم والسحق الذي قد تمارسه فئة أو جماعة أو سلطة ضد فئة أو جماعة اخرى قد تكون نتيجتها السحق والاندثار من جهة،[83] ولكن ذلك من جهة أخرى حين يصبح

83- بل ويشير المفكر العروبي الفلسطيني خالد الحسن أن دوام الظلم والاستبداد وسحق الحريات، قد يحول الأمر لدى الجماهير إلى استمراء، وهو ما تريده النخب الحاكمة لتأمنها. في كتابيه حول الاستبداد، والآخر حول من يحكم الآخر.

الصمود والتحدي والإيمـان سمة الجماعة أو الشعب فإن هذا الاستبداد ومحاولة الطمس والسحق والإلغاء والخطر يؤدي لإبراز الهوية الجامعة في سياق النضالية.

في الدول الحديثة فإن الحل في سياق الهوية الوطنية والمواطنة يأتي من احترام الخصوصيات واحترام الاختلاف في عالم يجب أن نفهمه في إطار التنوع والغنى وليس في إطار الاختلاف والخصام.

فيما الاضطهاد أو الظلم أو الاستبداد قد يعطي أثرا عكسيا بمعنى أن يبرز الهوية سواء بشكلها الوطني أو ما دونه أو ما فوقه، فإن اللغة تعد من أهم عوامل التماسك أكثر من غيرها من العوامل.

وإن كان للقومية (بمعنى الإثنية) أو المذهب إطار تماسك، فإن اللغة تبزّها جميعا لامتلاكها القدرة على الجمع والصهر ضمن الثقافة أو الحضارة المرتبطة بهذه اللغة.

ومن هنا كان للشيخ المصلح عبد الحميد بن باديس[84] في الجزائر وهو أمازيغي وليس العربي أن أعلن في ظل الاحتلال الفرنسي للجزائر أن جمعية علماء المسلمين التي أنشأها تقوم على رباط الدين واللغة العربية، بحيث أصبح كلاهما أداة مقاومة وتميز، أداة كفاح دؤوب وجامع وطني كان من أثره تحقق الوحدة الوطنية الترابية والاستقلال عن المستعمر الفرنسي.

84- عبد الحميد بن باديس (1889-1940) استعمل الشيخ ابن بـاديس ورفـاقه سلاح إنشـاء الـمدارس لتعليم اللغة العربية ومبادئ إسلام مجدد في مقاومة للاستعمار الثقافي في الجزائر. إضافة لما أصدره من صحف مثل المنتقد وجريدة «الشهاب» وباللغة العربية. وللمزيد على موقع المرادية http: //www. el-mouradia. dz/ arabe/algerie/portrait/Archives/Badis. htm

فلسطين

إن الحديث عن فلسطين، والهوية الوطنية الفلسطينية يعود بنا إلى أعماق التاريخ القديم حيث وجدت حضارتنا منذ الحضارات القديمة: الناطوفية والكبارية والكنعانية، وحيث يذكر وجود الإنسان الأول الفلسطيني في هذه البلاد منذ نصف مليون عام.

ويذكر كحضارة منذ الحضارة الناطوفية (النطوفية) (بين عشرة ألاف و8000عام قبل الميلاد) المنتسبة لوادي النطوف قرب القدس، والحضارة الكبارية[85].

وتشير بعض الدراسات إلى أنه في الألف الخامسة ق. م دخلت فلسطين في طور جديد من أطوارها حين وفد إليها من قلب الجزيرة العربية قبائل العرب العموريين والكنعانيين ومعهم اليبوسيين الذين تفرعوا عنهم، وقد اقترنت هذه القبائل مع سابقتها لتشكل لحمة عربية متينة واحدة عبر الزمن[86].

فحين يكون الحديث عن أرض وشعب فلسطين[87] تُذكر قبائل

85- الحضارة الكبارية في فلسطين، ومنطقة شرق البحر الأبيض المتوسط (بلاد الشام)، ظهرت في الفترة ما بين 18000 إلى 12500 قبل الميلاد، واسمها مشتق من مغارة كبارة جنوب حيفا.

86- تشير الأبحاث التاريخية للقبائل الأمورية أو العمورية والقبائل الفينيقية و(الفلسطينية والكنعانية) باعتبارها قبائل عربية تكلمت كلها لهجات متعددة عن اللغة الأصل ذات الأصل الجزري (نسبة للجزيرة العربية)، فالأموريون والفينيقيون والكنعانيون (الفلسطينيون)، بلهجاتهم القبلية القديمة المتفرعة عن العربية القديمة تكلموا لهجات وليس لغات، كما هو الحال اليوم حيث يتكلمون اللهجات الفلسطينية والسورية واللبنانية والأردنية.

87- نظرية أن فلسطين كلمة أرامية بمعنى أرض المقدس (أو الأرض المباركة) نظرية تقول بأخوة اللغات القديمة لا اللهجات، المتفق فيها مع النظرية الأخرى التي سأذكرها إن الاسم فلسطين ابن المنطقة وليس مستوردًا من الخارج، هذا صحيح.

هذه البلاد التي ما كان لفلسطين الأرض والوطن إلا أن تعرف بها، والعكس بالعكس أي أن فلسطين -التي وجدها، ولم يجد خرافات التوراة، وحدّدها هيرودت أبو التاريخ[88] في كتابه- تعرف بأبنائها الأوائل من القبائل العربية الكثيرة التي منها الكنعانية (الكُنانية) والفلستية (الفسلطينية)[89] العربية، واليبوسية، وبقبائل اللخميين

النظرية الأخرى أن ما يسمى (لغات) هي بالحقيقة (لهجات) للغة واحدة هي العربية القديمة (الجزرية) بمعنى أن الآرامية والكنعانية والفينيقية لهجات من العربية القديمة الأصل تماما مثل اللهجات(السورية واللبنانية والفلسطينية) اليوم. وكل هذه اللهجات القديمة هي من لهجات العرب الشماليين مقابل العرب القدماء الجنوبيين ولهجاتهم السبئية والحضرمية والحميرية... الخ. واسم فلسطين هنا منسوب للإله الوثني القديم فلس والانتساب له أي المؤمنين أو المنتسبين للإله فلس كما تقول المسيحيين نسبة للمسيح.

أما لغتنا العربية الحالية فهي اللغة الشمالية القرشية.

*بجميع الأحول فإن المحتلين لفلسطين اليوم لا علاقة لهم بتراب هذه الأرض، ولا انتساب وراثي لهم لبني إسرءيل القدماء المندثرين، وهؤلاء الأوربيين والروس الغزاة مجرد مستعمرين ومحتلين لبلدنا فلسطين ونقطة.

88- «هيرودوت» أو هيرودتس الملقب بأبي التاريخ لأنه أول من كتب كتابا بالتاريخ وجد فلسطين البلد والوطن والإقليم وحدده بوضوح في كتابه، ووجد الشعب الفلسطيني ولم يجد أي من خرافات التوراة من ممالك أوإمارات أوهيكل وهمي... الخ، أوخلافه. وهو كان مؤرخا إغريقيًا يونانيًا آسيويًا عاش في القرن الخامس قبل الميلاد (حوالي 484 ق. م - 425 ق. م). وهيرودوتس كان أول إغريقي يطلق اسم فلسطين على إقليم فلسطين التاريخية وكان ذلك في القرن الخامس قبل الميلاد.

89- في دراسة د. علاء أبو عامر يشير إلى أن الفلسطيني بمعناها ضمن اللغة القديمة هو المقاتل. ويذكر أن الكنعاني هو الفلسطيني تماما وكما يستشهد بنصوص التوراة، حيث لم تميز بينهما بل يتم تبادلهما باعتبارهما واحد، وحسب اللهجة الكنعانية العربية فإن الفلسطيني كلمة تعني المقاتل، ويذكر الشاعر هوميروس أن الفلسطيني أبو الكنعاني. (من ورقة د. علاء أبو عامر حول هل كان للفلسطينيين دولة بحسب كتب التاريخ، وذلك ص115 من دورية سياسات الفلسطينية العدد49-50 للعام 2020م). ونحن نقول أن هذا الحوار في إطار المدرسة التي تقر بالوجود لهذه الإمارات أو الممالك في فلسطين الجغرافيا، بينما هناك مدرسة أخرى هامة وجادة تنقل كل مسرح أو جغرافيا

وغيرها من القبائل العربية[90].

حتى أن أساطير التوراة وملاحمها الشعرية الخيالية، والأسطورية لم تستطع القفز عن (الفلستيين=عبيد الإله فلس).[91] أو المقاتلين.

وأعاد عالم الآثار الإسرائيلي (إسرائيل فنكلستاين)، وزميله نيل أشر سبيلبرغ، وزئيف هرتزوغ رسم الصورة القديمة بالقول أن قبيلة بني إسرائيل القديمة الغابرة هي جزء لا يتجزأ من الكنعانيين!

وهو ما لا تخرج عنه العلوم الحديثة حين تؤكد أن قبيلة بني إسرائيل العربية اليمنية القديمة هي من العرب البائدة، مضيفين أن لا صلة تجمع القدماء مع من يسمون أنفسهم الإسرائيليين اليوم محتلي فلسطين متعددي الأعراق، كما لا يجوز القول أن الديانة تورث بين شعوب الأرض.

إن الهوية الجامعة لنا قديمة، وإن كان مفهوم الوطنية مفهوم حديث ارتبط بعصر القوميات في أو روبا الذي تحدى سلطة الكنيسة ثم الملكية الفاسدة،[92] فإننا في فلسطين من الممكن أن نبرز الكثير

التوراة إلى مسرح آخر وهو اليمن القديم. وفي الحالتين فالفلسطيني والكنعاني هما عرب، وفي الحالتين وجدت إمارات عربية كنعانية سابقة على تلك الإمارة لبني إسرائيل القدماء المندثرين وهي إمارة أومملكة مركزية

90- للمراجعة المتأنية في ذلك لكتب المفكر فاضل الربيعي وفرج الله صالح ديب وزياد منى وكمال الصليبي وأحمد الدبش ود. علاء أبو عمر وعز الدين المناصرة، ود. فؤاد عباس، وغيرهم الكثير الذين قد يختلفون في جغرافيا التوراة أهي في فلسطين أم اليمن ولكن يتفقون بالرواية ما سوى ذلك بأصول الحضارة والعرب.

91- قبيلة إسرءيل (يقترح المؤرخ زياد منى الكتابة بهذا الشكل «إسرءيل» تمييزا للقبيلة القديمة عن محتلي بلادنا اليوم «إسرائيل» سارقي ذات الاسم القديم)، كانت هذه القبيلة قبيلة عربية مندثرة كغيرها من الأقوام المندثرة، وفي أحسن الأحوال لدراسات أخرى هي قبيلة عربية اندمجت في القبائل العربية الأخرى، بينما يرى الآثاري الإسرائيلي الحالي فنكلستاين أنها جزء من الكنعانيين وليست منفصلة عنهم.

92- بدأت القومية الأوروبية كفكر سياسي بارز من الثورة الفرنسية عام 1789م،

من الشخصيات التي تركت أثرها على الشخصية والكيانية والهوية الفلسطينية (الحديثة) ولكننا سنقصر حديثنا على ثلاثة كبار.

(تشكلت فلسطين في فضاء جغرافي أصبحت حدوده ما يسمى «فلسطين الجغرافية» وهي الحدود التي ثبتها الاحتلال، وفلسطين «كإقليم جغرافي» معروفة من نهاية القرن 13 ق. م بحدود معينة، امتدت وتغيرت عبر التاريخ، وشكلت فلسطين الجزء الجنوبي من بلاد الشام عبر العصور)[93].

من ظاهر العمر إلى أبي عمار

يعتبر الأمير ظاهر العمر الزيداني[94] الذي أعطي فلسطين اليوم شكلها الجغرافي أول من رسم الحدود، أو قاربها، وإن توسع قليلا أو ضاقت معه الجغرافيا، فهو الفلسطيني الذي استطاع أن يحكم مملكة أو جمهورية أو دولة فلسطين الأولى في العصر الحديث لأكثر

والتي حملت المبادئ الثلاثة العدالة، الأخوة، المساواة، ولاحقًا أي بعد 200 عام تبنت الأمم المتحدة مبادئ حقوق الإنسان. وكانت الثورة الفرنسية ضد تشكل القوميات لأنها أوضحت ذلك من خلال الولاء يكون للحاكم أو الأمير في النظام الملكي المطلق في أوروبا، إلا أن ما حصل بعد الثورة الفرنسية كان لصالح تطور مفهوم القومية. وكل قومية في أوروبا شكلت دولة بمسار معين وكان هناك أثر للحروب على ذلك، وفي القرن الثامن عشر لم يكن هناك قومية عند الأوروبيين الموجودين في النظم الملكية، بجانب أنه لم يكن هناك هوية جامعة، لذلك كانت السيطرة تتم من الملك أو الأمير والنبلاء والإقطاعيين بجانب أن الآخرون هم العبيد المقموعين. (سامح الطيطي في مقاله القومية في أوروبا على شبكة الجزيرة)

93- الباحث محمد مرقطن، مجلة تبيّن العدد 33/9 صيف 2020 ص35.

94- أنشأ ظاهر العمر الزيداني (1695-1775م)دولة فلسطينية مستقلة في الإطار العثماني، وكان عربيا فلسطينيا منتميا لأرضه وشعبه، والزيداني اعتلى الحكم عام 1710م وكان عمره 14 عاما واستمر حكمه حتى وفاته عام 1775 وكان عمره 86 عاما، أي أنه فعل ما فعله خلال فترة لا تتجاوز 65 عاما.

من 60 عاما في القرن18 في ظل مظالم الدولة العثمانية وسطوتها فجلب النماء والازدهار والتقدم للبلاد[95].

ويعد عز الدين القسام العربي السوري الفلسطيني من الشخصيات الهامة التي كان لها الدور في بلورة الوعي الفلسطيني القديم حين مزجه بتجربته الثورية السورية–الفرنسية، وأعطى النضال الفلسطيني ضد الاحتلال الانجليزي والصهيونية بُعده العروبي والإسلامي في إطاره المنظم والتعبوي على شكل لجان وأقسام وإعداد وتأهيل ونفس استمرارية.

أما الزعيم ياسر عرفات فهو يعد بلا شك من كان له – ولحركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح تحديدًا وللثورة الفلسطينية عامة تلك التي انطلقت عام 1965 – الفضل الكبير في تمتين الكيانية (الكيانية عبر الإطار الجامع المسمى منظمة التحرير الفلسطينية التي أنشأها أحمد الشقيري رغما عن أنف العرب) وإبراز الشخصية الوطنية في الإطار العربي، فيما لعبه المخيم واللجوء والنكبة من دور، وفيما لعبته الثورة من دور.

كما كان لياسر عرفات أن جعل من الرموز كيانات حية تشير كلما سار إلى فلسطين من الحطة المرقطة (الكوفية) التي لفّت العالم

95- لمراجعة البرفسور محمود يزبك في كتابه: «الشيخ ظاهر العمر الزيداني- العصر الذهبي لفلسطين في العصر الحديث»، وكتاب/رواية قناديل ملك الجليل لإبراهيم نصر الله. ويقول عنه يزبك أن له: «الدور الأساسي في نقل المجتمع الفلسطيني من مجتمع زراعي فلاحي، إلى مجتمع مدني. فهو باني المدينة الفلسطينية، ومؤسس كل مدن شمال وساحل فلسطين، باستثناء صفد، والتي تمتد من طبريا والناصرة مرورا بعكا وحيفا وانتهاء بيافا. وما زالت آثار ظاهر العمر العمرانية، من مساجد وكنائس وقلاع وأسوار، شامخة تشهد على حضوره التاريخي في تلك المدن. ومعالم هذه الحضارة الفلسطينية تشكل تحديا لمقولة الصهيونية «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض».

إلى البدلة الكاكية إلى خريطة فلسطين، إلى مفهوم الثورة والحرية والنضال والتقدم والمقاومة، إلى شارة النصر بأصبعيه.

إلى كل الشعارات والنداءات التي كرّست التميز للوطنية الفلسطينية في إطار العمق العربي الواحد،[96] فأنتم (شعب الجبارين) وأنتم (الشعب الذي يسبق قيادته) وأنتم من يجب أن يردّد كما كان يقول: (بالروح بالدم نفديك يا فلسطين بدلا من بالروح بالدم نفديك يا أبو عمار)، وأنتم من أمتكم ستأتي قوافل (على القدس رايحين شهداء بالملايين)، ومنكم (سيرفع شبل أو زهرة علم فلسطين فوق مآذن وكنائس وأسوار القدس).

صلاح خلف ودرويش والوطنية

القائد الكبير صلاح خلف (أبو إياد) في كتابه الهام (فلسطيني بلا هوية)[97] في معرض حديثه عن كيفية تأصيل حركة فتح للهوية الوطنية الفلسطينية مقارنة بمن سبق الحركة يقول في 6 نقاط:

1. أن فتح قامت لمواجهة البُعد العائلي على الحركة الفلسطينية الأقدم (ومن هنا برزت في حركة فتح فكرة=الطليعية)[98]

96- لم تقل الثورة الفلسطينية يومًا أنها ستحرر فلسطين لوحدها، بل قالت أنها رأس الرمح وأنها طليعة الأمة وأنها مقدمة الركب للتحرير، وقالت أن فلسطين هي قضية العرب المركزية وهي التي تجمع الأمة، كما قالت أن التحرير يأتي من خلال سواعد كل أبناء الأمة العربية ضمن شعارها: أن القاطرة الفلسطينية لا تسير إلا في القطار العربي.

97- لمراجعة كتاب (فلسطيني بلا هوية) للشهيد صلاح خلف (أبو اياد)، إعداد «أريك رولو»، دار الجليل، عمان، طبعة 1996 ص59-69، تحرير وتصويب فؤاد أبو حجلة.

98- يقول أبو اياد في ص60: (ظلت الحركة الوطنية الفلسطينية، حتى ظهور حركة فتح، حركة تقودها شخصيات تنحدر من العائلات الكبرى) وعن التنظيم إن وجد تلك الفترة فيقول أنه كان (لا يضرب بجذوره في الفئات الشعبية... ويضمحل).

2. والتنظيم سابقا كان إن وجد فهو غير جماهيري (ومن هنا برزت في فتح فكرة=الجماهيرية)[99].
3. الافتقار للاستعانة بالقوى التقدمية اليهودية (فبرزت فكرة =التقدمية)[100].
4. الإلحاق للفلسطيني بالأحزاب العربية القائمة، والأنظمة الفاسدة (=الاستقلالية).
5. لغرض الاستنهاض للكيان الجامع القائم وكان ممثلا بالمنظمة (=الوحدوية).
6. مضيفا أن سبب المعاناة والمهانة القهر والنكبة[101] أننا شعب بلا وطن، وعلينا الوحدة، وكان الكفاح المسلح جامعنا بعيدا عن الحزبية[102].

في تجربة خليل الوزير(أبو جهاد) الثورية الكثير مما يمكن قوله، ولنعرّج على ملمح الوطنية والوحدوية في عقله كما يسطرها أحد مساعديه الكاتب د. محمد حمزة أذ يقول عن أبي جهاد: كان (حريصا

99- مما يذكره أبو إياد في كتابه ص 65: وقد كتب (فرانز فانون) الذي كان أحد كتّابي المفضلين في كتاب (معذبو الأرض) الذي قرأته وأعدت قراءته عدة مرات أنه ليس سوى الشعب الذي لا يخشى مدافع ودبابات العدو يستطيع أن يخوض الثورة إلى منهاها.

100- يشير أبو اياد إلى فضل المفتي أمين الحسيني بإزالة أي أثر للطائفية بين العرب وخاصة بين المسلمين والمسيحيين في فلسطين. ص61

101- يقول د. محمد حمزة في كتابه عن أبي جهاد ص191: كان معروفا عن خليل الوزير استخدامه المكثف لمفردة «النكبة» حتى أنه وقع مقالات «رأينا» في مجلة «فلسطيننا» مجلة فتح الأولى، باسم «ابن النكبة».

102- يذكر صلاح خلف في (فلسطيني بلا هوية) ص66 (كان الكفاح المسلح قادرا على التسامي على التباينات الأيديولوجية، وأن يصبح بالتالي حافزا ووسيطا للوحدة، وبالفعل).

على ألا ينحصر المفهوم في إطار التعبير عن طبقة اجتماعية واحدة أو اتجاه فكري معين أو تيار سياسي خاص لذلك كانت المهمة الأولى للتنظيم من وجهة نظره هي توحيد قوى الشعب الفلسطيني). [103] وكان لا يرى التنظيم فوق الجماهير بل هو ضمانة للقيادة ورأى أن على التنظيم أن (يستجيب دائما لمبادرات الجماهير ويتبناها ويطورها)[104].

ومما سبق نستطيع أن نفهم فكر حركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح الوطني المنفتح المتمثل بالمعطيات الستة التي أشار لها الراحل صلاح خلف، وما يمكن أن تتلمسه في كتابات أبو جهاد خليل الوزير،[105] وخالد الحسن وكمال عدوان، وصخر حبش وهاني الحسن وعثمان أبو غربية أيضا وغيرهم من قيادة الحركة.

وهي **سداسية: الطليعية والجماهيرية والتقدمية والاستقلالية والتحرر والوحدوية** في سياق الفهم الوطني، وتأثيرات النكبة الجارحة والعمق الثوري النابض.

يقول محمود درويش في قصيدة له:

أنا الأرضُ

والأرضُ أنتِ

خديجةُ ! لا تغلقي الباب

103- من افتتاحيات مجلة حركة فتح الأولى-فلسطيننا- نقرأ (يا أخي نحن نمد أيدينا لنتكاتف معك، لنقاوم معا، ولنسير معا ولنناضل معا)

104- د. محمد حمزة، أبو جهاد أسرار بداياته وأسباب اغتياله، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، فلسطين رام الله، ط8، 2010 ص244

105- لإمكانية مراجعة د. محمد حمزة، أبو جهاد أسرار بداياته وأسباب اغتياله، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، فلسطين رام الله، الطبعة الثامنة، 2010م.

لا تدخلي في الغياب
سنطردهم من إناء الزهور وحبل الغسيل
سنطردهم عن حجارة هذا الطريق الطويل
سنطردهم من هواء الجليل.
وفي شهر آذار، مرّت أمام البنفسج والبندقيّة خمسُ
بناتٍ. سقطن على باب مدرسةٍ ابتدائية. للطباشيرِ
فوق الأصابع لونُ العصافيرِ. في شهر آذار قالت
لنا الأرض أسرارها.
أُسمّي الترابَ امتداداً لروحي
أُسمّي يديّ رصيفَ الجروحِ
أُسمّي الحصى أجنحهْ
أُسمّي العصافير لوزاً وتين
أُسمّي ضلوعي شجرْ
وأستلّ من تينة الصدر غصناً
وأقذفهُ كالحجرْ
وأنسفُ دبّابةَ الفاتحين.

ويقول في قصيدة (أنا الأرض)[106]

بلادي البعيدة عنّي... كقلبي!
بلادي القريبة مني... كسجني!
لماذا أغنّي

106- لإمكانية الاطلاع على موقع محمود درويش على الشابكة http: //www. darwishfoundation. org/printnews. php?id=845

مكاناً، ووجهي مكانْ؟
لماذا أغنّي
لطفل ينامُ على الزعفران؟
وفي طرف النوم خنجر
وأُمي تناولني صدرها
وتموتُ أمامي
بنسمةِ عنبر؟
وفي شهر آذار تستيقظ الخيل
سيّدتي الأرض!
أيّ نشيدٍ سيمشي على بطنك المتموّج، بعدي؟
وأيّ نشيدٍ يلائم هذا الندى والبخور
كأنّ الهياكل تستفسرُ الآن عن أنبياء فلسطين في بدئها المتواصل
هذا اخضرار المدى واحمرار الحجارة-
هذا نشيدي
أخضر مثل النبات يغطّي مساميره وقيودي
وهذا نشيدي
وهذا صعودُ الفتى العربيّ إلى الحلم والقدس.
في شهر آذار تستيقظ الخيلُ.
سيّدتي الأرض!
والقمم اللّولبية تبسطها الخيلُ سجّادةً للصلاةِ السريعةِ
بين الرماح وبين دمي.

نصف دائرةٍ ترجعُ الخيلُ قوسا
ويلمعُ وجهي ووجهك حيفا وعُرسا
وفي شهر آذار ينخفضُ البحر عن أرضنا المستطيلة مثل
وللموج أن يحبس الموج...أن يتموّج...أن
يتزوّج... أو يتضرّح بالقطن
أرجوك – سيّدتي الأرض – أن تسكنيني وأن تسكنين صهيلك
أرجوك أن تدفنيني مع الفتيات الصغيرات بين البنفسج والبندقية
أرجوك – سيدتي الأرض – أن تخصبي عمري المتمايل بين سؤالين:
كيف؟ وأين؟
وهذا ربيعي الطليعي
وهذا ربيعي النهائيّ
في شهر آذار زوّجتُ الأرضُ أشجارها.

صراع الهويات والثورة الفلسطينية

بعد أن فقد العالم العربي مظلّته السلطوية الجامعة ولو نظريا المتمثلة بالسلطنة العثمانية، واقتسام (أملاك) العثمانيين في المؤتمرات (سايكس بيكو 1916) ثم (سان ريمو1920) و(معاهدة سيفر) أصبح العرب تحت مظلة الاستعمار الغربي المباشر.

كانت الحركات القومية سواء التركية أو العربية قد ظهرت في إسطنبول-تركيا أو آخر العهد العثماني الذي كان يصارع من أجل البقاء دون جدوى، وبعد أن رزح العالم العربي تحت وطأة الاحتلال

والاستعمار الغربي بدأت الحركات القومية (اللاوطنية غالبا)[107] بالظهور استكمالا لتلك المحاولات عبر الجمعيات (السياسية) التي نشأت في إسطنبول وبعض العواصم العربية.

وإذا ألقينا الضوء على الثورة العربية الكبرى (1916) ثورة الشريف الحسين بن علي فإنها تمثل أول فكرة نهضوية عربية لعرب المشرق تنجح لتصبح منارة للتحرر العربي.

فشلت المحاولات النهضوية العربية الجامعة نتيجة الاحتلال الانجليزي الفرنسي للمشرق العربي (كانت الجزائر قد احتلت قبل ذلك من قبل الاستعمار الفرنسي في العام 1830 وحتى العام 1962م، واحتلت تونس في 1881 حتى 1965مـ واحتل الاستعمار الانجليزي مصر في 1882)، واشتعلت المقاومة العسكرية في أكثر من قطر، ولكن لم يكتب لأي منها النجاح الوحدوي وإنما ظلت حتى اليوم كمصدر إلهام قومي عروبي.

لم ينكفئ العرب إثر فشل ثوراتهم ضد الاحتلالات المختلفة، بل ظلوا يسعون للتحرر من نير الاستعمار ولاحقًا الصهيونية أحد تجليات الاستعمار الغربي، ودخلوا القرن العشرين مع نمو الحركة الاشتراكية (بعد انتصار الثورة البلشفية الشيوعية الروسية عام 1917) ومع انتشار الأفكار القومية خاصة للمفكرين من سوريا ولبنان ثم فلسطين والعراق ومصر.

استطاع تيار آخر غير التيار القومي والتيار الاشتراكي الشيوعي أن

107- نقصد بالقومية اللاوطنية تلك التي لم تقرّ تحديد فواصل بين ما أصبح لاحقا دولا عربية (وطنية)، حيث إما دعت للوحدة العربية عامة فدعت للقومية العربية إما بالمشرق العربي أو بالمشرق والمغرب العربي، أو للوحدة الشامية (الحزب القوي السوري الاجتماعي)، بمعنى أن قبول الفكرة الوطنية (القطرية) كان منبوذا كليًا.

يضع قدمه في بركة التيارات المتصارعة، وهو تيار «الإخوان المسلمين» منذ العام 1928 والذي اعتبر نفسه ممثلا للإسلام والمسلمين معًا خاصة إثر فاجعته بسقوط السلطنة (الخلافة) العثمانية عام 1924م.

تصارعت الأحزاب ذات الطابع القومي[108] (القوميين العرب، وحزب البعث العربي الاشتراكي، والحزب السوري القومي الاجتماعي، ولاحقا الناصرية نسبة لجمال عبد الناصر)، وتلك الاشتراكية الشيوعية، مع حزب الإخوان المسلمين، ومع نوال عدد من الدول استقلالها ظلت فلسطين والقضية الفلسطينية تعاني من احتلالين الأول بريطاني استعماري، والثاني صهيوني احتلالي طردي إحلالي، فتميز الوضع الفلسطيني بالفرادة والتميز وبالصعوبة التي ما زالت ماثلة حتى اليوم.

الفلسطينيون الذين نُكبوا باللجوء عام 1948 بل وقبل ذلك لم

108- د. نور الدين ثنيو منتقدا جميع الحركات القومية -وهو ما دعا حركة فتح ضمن أسباب أخرى لأن تختط طريقا ثوريا مغايرا للإسلاموي والقومي الشوفيني والاشتراكي، يقول: (إن التعويل الحصري على اللغة العربية من قبل القوميين العرب، كما سبقت الإشارة، كان في موضع الاستنجاد بها وليس للإبداع والإنتاج المعرفي والثقافي، بل كان التعويل على اللغة محمَّلا بالبطانة السياسية الظرفية للخروج في البداية من الأسر العثماني، ثم صارت بعد ذلك تعاند في توظيف اللغة في تمجيد الدولة والحزب والقائد، وعلّقت كل شيء على السلطة، ولم تراع التَّنوع والاختلاف والكثرة التي تزخر بها المجتمعات والشعوب العربية. وهكذا، فقد خلفت مزاحمة السياسة للغة واستغلالها، إلى النيل من عبقرية اللغة العربية في لحظتها الحديثة، عندما تمت مضايقتها وحشوها بمفردات وكلمات مبهمة وملتبسة، يصعب استيعابها بتلقائية ويسر، نشير إلى تعريب المفردة الأجنبية بأكثر من معنى، أو ما دون المعني أو إلى معنى خاطئ أصلاً، فضلا عن الأثر السلبي الذي تركته الحروب العربية العربية، والخلافات السياسية والمماحكات والسِّجالات بين الأنظمة العربية الحديثة، التي قلمّا امتلأت أجهزتها بقيم ومبادئ وطرق تسيير الشأن العام والدولة المدنية على أسس من التناوب والديمقراطية). - من مقال له في القدس العربي على الشابكة 2017/4/15

يجدوا لهم بدا من الانضمام لأحد التنظيمات أو التيارات الفكرية الثلاثة الأساسية المذكورة أعلاه، والتي لم تخلُ أدبيات أي منها من الإشارة بشكل أو بآخر لفلسطين وتحرير فلسطين من البحر إلى النهر، ولكن دون جدوى، فظلت الشعارات عبارة عن طنين، واللاجئون لا ينتظرون، وفلسطين ترقد في القريب.

البعثيون والقوميون العرب استقطبوا قطاعًا واسعًا من الشعب الفلسطيني بأفكار ميشيل عفلق (أبو محمد) وزكي الارسوزي وأكرم الحوراني وصلاح الدين البيطار، وكان للشيوعيين من العام 1919 نصيب من الاستقطاب للعرب والفلسطينيين رغم انشقاقاتهم الكثيرة.

دخل «الإخوان المسلمين» إلى فلسطين في الأربعينيات حين بدأوا بتأسيس أفرعهم فنالوا نصيبا هم الآخرين.

لذلك توزعت مشارب الفلسطينيين، ولكن الشعارات وحدها لا تُغني ولا تسمن من جوع، إلى أن انطلقت حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح في الفاتح من يناير للعام 1965 بشعارات ارتبطت بالمبادرة والفعل والاحتضان الكلي لمن ينضم لركب التحرير.

كانت الهوية الفلسطينية بمعناها الذي كرسته حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح، والثورة الفلسطينية، تتعرض للإنهاك من الأفكار الكبرى الثلاثة (الأيديولوجيات) التي شنعت المفهوم الوطني (القطري)، واعتبرته إما رجعية أو إقليمية ضيقة، أو فكر مناهض للإسلام! حيث الوطنية عند التيار الإسلاموي العام وثنية كما القومية والاشتراكية[109].

109- حاربت أدبيات الإخوان المسلمين لعشرات السنين 5 مفاهيم واعتبرتها نقيض الإسلام! وهي: القومية والوطنية، والاشتراكية «أو الشيوعية/الماركسية اللينينية»، والديمقراطية، والعلمانية بمعناها الذي فهمته ضد الدين، وإن اختلفت نظرة الحزب

عمل «الإخوان المسلمون» الفلسطينيون كما عمل القوميون والشيوعيون على الطعن في (الوطنية) الفلسطينية كما ذكرنا، ومما يشار له من سلوك (الإخوان المسلمين) حول الأمر من الممكن أن نرى ستة مظاهر:

المظهر الأول: عمدت أدبيات الإسلامويين عامة ومنها أدبيات «الإخوان» في فلسطين على تجريد (الوطنية) من بُعدها الإسلامي أو حصرها بحب الوطن عامة، وبالإطار الإسلامي الشمولي[110].

المظهر الثاني: وحدانية التمثيل للإسلام فكرا ومعنى وعبادة وعقيدة تقع فقط في حدود الحزب (الجماعة)، وممثليها ودمجت بين الثابت العقدي والمتغير الحياتي السياسي.

المظهر الثالث: التسامي عن الوطنية، وافتراض العصمة لفكرها وحامليه.

المظهر الرابع: الاستعلائية (حيث شعار الولاء والبراء والاستعلاء).

المظهر الخامس: الانغلاق ورفض المخالف.

المظهر السادس: انتشار الأساطير المرتبطة بالدين، وغياب النقد للتجارب.

هذه المظاهر الستة جميعا وقفت كحائط دفاعي إسلاموي ضد كل المفاهيم أو الأفكار الإنسانية، ومنها الفكر الوطني ضمن فرضية

أو تيارات وازنة فيه في مراحل متقدمة من حيث قبول الوطنية والقومية والديمقراطية وتذبذب في فهم العلمانية، مع بقاء العداء تجاه الشيوعية.

110- للإطلاع على طبيعة التعبئة داخل الإخوان وحماس بالرجوع لعديد الكتب التي منها كتاب عماد الفالوجي درب الأشواك، أو كتاب بكر أبو بكر طريق مغلق: الديمقراطية والتعبئة في التنظيمات الإسلاموية، وفي حماس.

غريبة استمرت طويلا تدعي أن الوطنية والقومية فكر مناهض للإسلام ؟! وكذلك الأمر مع الاشتراكية والديمقراطية والعلمانية.

المفكر الفرنسي(روا) و"الإسلام السياسي" والوطنية

من الممكن الإشارة بهذا الصدد للمفكر الفرنسي «أولفييه روا» في نقده الهام حيث يقول في كتابه (اخفاق الإسلام السياسي) عن تجربة الإسلامويين[111]: (إن الحركات الإسلامية التي انخرطت في العمل السياسي انتهى بها الأمر إلى قبول الصيغة الزمنية، شأن «النهضة» التونسية وحزب «العدالة والتنمية» التركي، والصيغة الوطنية (أو القومية). وهذا ما سميته الإسلامية – الوطنية التي تمثل عليها «حماس» خير تمثيل).

ويضيف «روا» قائلا: (وثمة صنفان من هذه الصيغة: صنف أول يقود إلى الديموقراطية، على شاكلة تونس وتركيا، وصنف آخر يقود إلى الديكتاتورية، على شاكلة إيران. وينجم عن الصنف الثاني ظهور حيّز غلوّ ديني يخرج من الدائرة السياسية الوطنية، وهو يدعو إما إلى انتهاج مثال حياة وليس إلى إنشاء نظام سياسي (وهو حال الحركات السلفية التي أسميها في الكتاب أصولية جديدة)، وإما إلى الجهاد العالمي الذي يعلو المجتمعات الفعلية والدول - الأمم. وهذا النهج أمسى الشكل الحاد الذي يتصور فيه عنف الغلاة الإسلاميين اليوم على رؤوس الأشهاد)[112].

111- أوليفييه روا أستاذ في المعهد الجامعي الأوروبي بفلورنسا، عن ملحق بالطبعة الثانية في كتابه الصادر في 1990 «إخفاق الإسلام السياسي» في «إسبري» الفرنسية، ، إعداد منال نحاس2015/5

112- يضيف «روا» ملخصًا فكرته الرئيسة هنا: (ويفضي بي هذا إلى موضوعتي الأخيرة: ليس التزمين (الزمنية) هو الطريق إلى الديموقراطية أو شرطها اللازم، بل إن الطريق

الهوية الوطنية وبوتقة حركة فتح

إذن كانت فكرة الوطنية بمعنى: الانصهار للكلّ النضالي في بوتقة تحرير فلسطين كما رأت حركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح، والثورة الفلسطينية ككل لاحقا، وبغرض ثلاثية: التخصص والتكرّس والتركيز في الجهد والوقت والعمل كانت فكرة ثبات وصلابة ومواجهة ومقاومة، مقابل حوائط ضخمة استطاعت التصدي لها، والقفز عليها.

كما استطاعت حركة فتح والثورة الفلسطينية أن تبرز الفكرة الوطنية وتشبعها من خلال المبادرات والعمل، ولا شيء سوى العمل والمبادرة والعطاء لفلسطين، إذ تحول الشعار لفعل، ولم يبقَ عند حدود الورق أو الحناجر كما كان شأن الأيديولوجيات الثلاث القديمة.

ماجد كيالي[113] ود. نديم روحانا وغيرهم من الكتاب المهمين والمعارضين لفكر حركة فتح يشيرون رغم ذلك بإعجاب لدور حركة «فتح» في بناء الهوية الوطنية الفلسطينية الجامعة.

فيقول كيالي: (تدين القضية[114] الفلسطينية بمعناها الهوياتي والسياسي والكياني في تبلورها لحركة فتح) موضحا الأسباب بالقول

إلى الديموقراطية قد تمر بتعدد معايير الحقل الديني وتبلور أشكال تدين جديدة هي ثمرة الميول الفردية واختبار أبنية مركبة ومرتجلة وذوداء الأبعاد الثقافية (ودرست هذه الأشكال في «الإسلام المعولم» و«الجهل المقدس»). ويخسر الإسلاميون في المقارنة مع الصور الجديدة حجة الأصالة والهوية. فإذا تعددت معايير الحقل الديني ومراجعه جاز الائتلاف مع الديموقراطية، وإن لم يعتنق المؤمنون الليبرالية، والثورة الأميركية مثال تاريخي على الجمع بين الأمرين).

113- ماجد كيالي كاتب وباحث فلسطيني نشط، وكان يعتبر قديما من مدرسة يسار حركة فتح.

114- ماجد كيالي، فتح 50 عاما، قراءة نقدية في مآلات حركة وطنية، المؤسسة العربية للنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 2016 وإعادة طباعة مركز مسارات، ص22

لأنها حركة تشبه شعبها، ولأنها جمعت الكادحين، ولأنها جعلت المنظمة كيان بديل عن فقدان الأرض).

ويقول ماجد الكيالي أيضا: (هكذا سيسجل التاريخ لحركة فتح التي انطلقت في مطلع 1965 بأنها كانت السباقة لحفر الأفكار التأسيسية للحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة، فهي التي كرست مفهوم الوطنية الفلسطينية «المستقلة» وتاليا فكرة الكيانية السياسية عند الفلسطينيين).

يذكر د. مازن صافي[115] عن الهوية الوطنية الفلسطينية –شأن الوطنيات الأخرى مع باب تميز إضافي-في مقال له، ما نتفق فيه معه وما بحثناه سابقا، أنها أي الهوية الوطنية: (تشمل اللغة والتاريخ والثقافة «الدين والقيم والحضارة الجامعة» والتاريخ، أما حين نتحدث عن الهوية الفلسطينية، فإن البُعد التاريخي للنضال الوطني، يدخلنا في بُعد آخر وهو مقاومة المحتل «بأي وسائل» وبهذا تتميز الهوية الوطنية الفلسطينية بالبُعد الكفاحي الرافض للنفي والتشريد والإحلال والعنصرية والاضطهاد والاحتلال).

إن الهوية الوطنية الفلسطينية هوية ثبات شعب على أرضه، وهوية نضالية، وهوية وحدوية جامعة،[116] فهي تقبل أن يكون الشخص فلسطينيا وعربيا وبدويا، ومسلما سنيا أو شيعيًا، أو مسيحيا، بمعنى أنها تميزت بالقدرة على احتواء الانتماءات وصهر الهويات الصغيرة.

115- من مقال للدكتور الكاتب الفلسطيني مازن صافي منشور في موقع (نقطة وأول السطر).

116- يقول ماجد كيالي عن حركة فتح: أنها حركة شعبية وتعددية ومتنوعة، رغم أنها شديدة المركزية، مضيفا أن الكفاح المسلح لعب دورا كبيرا في الترويج لها وتعزيز مكانتها في المجال الشعبي، نفس المصدر ص26

بحيث أنك تجد حتى في شهر مارس 2017 وضمن استطلاع مؤسسة بديل الفلسطينية أن 83 % من المستطلعين يقولون أن الفلسطيني هو الشخص من أصول فلسطينية، (لا حظ أصول) وليس الشخص في أراضي 48 فقط أو في قطاع غزة والضفة فقط.

ورغم ذلك لا يمكن أن نقفز عن الدور الذي لعبته الثورة الفلسطينية في العالم بمرحلة من المراحل حين جعلت من الهوية الفلسطينية أيضا هوية عربية وهوية نضالية عالمية للأحرار بالعالم أجمع.

كتب (نلسون مانديلا) عن ياسر عرفات ممثلًا للوطنية كقضية أمة ورمز للعالم الحر كنموذج تحت عنوان: «عرفات نقل قضية شعبه من قضية لاجئين إلى قضية أمة» يقول: (هو الذي وضع المسألة الفلسطينية على جدول أعمال المجتمع الدولي، ونقل قضية شعبه من قضية لاجئين إلى قضية أمة بكامل المعنى...... لقد كانت حماسته وثقته لا تتزعزع، والتزامه بالكفاح من أجل إقامة الدولة الفلسطينية تشكل قيمًا رمزية في نظر الكثيرين في العالم...... سوف يبقى الرئيس عرفات إلى الأبد رمزًا للبطولة بالنسبة لكل شعوب العالم التي تكافح من أجل العدالة والحرية)[117].

التأكيد الدائم في حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح، وفي الثورة الفلسطينية على ارتباط الهوية الوطنية الفلسطينية بامتدادها العربي ربطا وثيقًا لا فكاك منه يشكل أساسًا بالحركة الوطنية، فنحن جزء من كلّ، وتجلي

117- يمكننا العودة للتأبين بالراحل القائد الرمز ياسر عرفات وكلمات قيادات العالم بذلك، ومنهم مانديلا الذي في رده على الكاتب الأمريكي «توماس فريدمان» دفاعا عن عرفات قال: (أن الفلسطينيين لا يناضلون لإنشاء دولة، ولكنهم يناضلون لأجل، الحرية والاستقلال والمساواة، مثلما ناضلنا، نحن، في جنوب إفريقية). وتجد التفاصيل بهذه على موقع أمد https: //www. amad. ps/ar/Details/7732

ضمن أفق حضاري عربي إسلامي متفاعل ورحب واسع.

من الهام أن نقول نصا مما ذكره الكاتب مازن صافي، وهو مما يصح نسبته للمفكرين خالد الحسن وهاني الحسن أساسا بل وغالب مفكري الثورة: (نفهم أن الهوية الوطنية الفلسطينية غير منعزلة أو معزولة عن الهوية العربية أو الإسلامية الحضارية، بل ان الثورة الفلسطينية قد أعلنت في مبادئها الأولى والمستمرة التمسك بالعمل على إبراز الشخصية الفلسطينية بمحتواها النضالي الثوري في الحقل الدولي، وهذا لا يتعارض مع الارتباط المصيري بين الأمة العربية والشعب الفلسطيني، وبهذا يمكن أن نربط الهوية الوطنية الفلسطينية بالهوية الجامعة للأمة العربية، دون انفصال عنها، أو التناقض معه)[118].

سرُ حركة فتح

في إطار الاستدلال عن الهوية الوطنية وحركة فتح ما اعتبره الكاتب د. إبراهيم أبراش سر حركة فتح[119] فانه يقول: «سر حركة فتح، الذي تجهله أو تجاهلته حركة حماس وغيرها، أن حركة فتح فهمت منذ البداية الحلقة المركزية للصراع مع العدو، وهي الوطنية الفلسطينية كثقافة وهوية وانتماء.

118- المفكر العروبي الكبير خالد الحسن وأخيه هاني الحسن من قيادات حركة فتح كانا، وكما الحال مع صخر حبش وكمال عدوان وعثمان أبو غربية وعباس زكي، والمتوكل طه، ود. إبراهيم أبراش ود. أحمد غنيم وبكر أبو بكر من أعمق الداعين للربط غير قابل الانفكاك عن الأمة العربية حضارة وشعوبا، في كل كتاباتهم فلم يروا القاطرة الفلسطينية تسير إلا في القطار العربي، ما أصبح شعارا خالدا.

119- لمراجعة مقال إبراهيم أبراش في موقع نقطة وأول السطر على الشابكة تحت عنوان: سر حركة فتح الذي لم يدركه الآخرون في 2018/1/24

أدركت حركة فتح أن الحركة الصهيونية التي تزعم عدم وجود شعب يسمى الشعب الفلسطيني وأن فلسطين هي أرض «إسرائيل» التاريخية، هذه الحركة الصهيونية بمنطلقاتها الفكرية النافية للوطنية الفلسطينية وبممارستها الاستعمارية الإجلائية لا يمكن الرد عليها ومواجهتها إلا بالتأكيد على الهوية الوطنية والوجود الوطني الفلسطيني، وأن لا فكرانية (أيديولوجي) أخرى يمكنها مواجهة الأيديولوجية الصهيونية، فلا أيديولوجية اليسار ألأممي وتركيزه على الصراع الطبقي يمكنها مواجهة الأيديولوجية الصهيونية، ولا الإيديولوجية الإسلامية الأممية يمكنها مواجهة الإيديولوجية الصهيونية.

على هذا الأساس فإن حركة فتح ليست التنظيم والقيادة فقط، بل هي الفكرة الوطنية الجامعة المتصادمة والمشتبكة مع «إسرائيل»، وهذه الفكرة يؤمن بها ويتبناها أبناء حركة فتح أينما كانت مواقعهم، وكيفما كانت ظروفهم وبغض النظر عن وجودهم داخل التنظيم أو خارجه، وبغض النظر عن القيادة وأشخاصها، ورضاهم أو عدم رضاهم عنها، كما أن الفكرة الوطنية فكرة جامعة تستوعب كل الأيديولوجيات الأخرى التي تؤمن بالوطنية كفكرة وكممارسة نضالية».[120]

إبراهيم نصر الله والهوية الثقافية الوطنية

في مداخلة هامة وردت في مقال للروائي الكبير إبراهيم نصر الله ما يحترم من رغبته بنسب معنى الثقافة وإبراز الهوية للكل المثقف وليس لشخص أو أشخاص بعينهم، ما لا يلغي برأينا البصمات الأساسية التي تشعل وتبرز وتدعم وتطور.

120- نهاية الاقتباس من مقال إبراهيم أبراش حول سر حركة فتح.

فيقول في مقاله: كِتابُ الثقافة الفلسطينية لم يكتبه هذا العدد القليل من الكتّاب، بل ساهم فيه مبدعون وفنانون ومؤرخون ومخرجون وأساتذة ومسرحيون، إضافة إلى قِلة من سياسيين بارزين. لماذا يتجاهل هؤلاء حين يكتبون الأثر الذي تركه شعراء مثل: إبراهيم طوقان، فدوى طوقان، أبو سلمى، سلمى الجيوسي، معين بسيسو، عبد الرحيم محمود، محمد القيسي، عز الدين المناصرة، أحمد دحبور، فواز عيد، مريد البرغوثي، وليد سيف، توفيق زيّاد، حنا أبو حنا، سالم جبران، نوح إبراهيم، أبو عرب، والأجيال الفلسطينية التالية لهؤلاء، مثلما ساهم محمود درويـش، وسميح القاسم وغيرهما؟ لماذا لا يعترفون بأثر: محمود شقير، يحيى يخلف، رشاد أبو شاور، فاروق وادي، توفيق فياض، والأجيال التي تلتهم، وصولا لكتاب فلسطينيين يكتبون بلغات مختلفة في هذا العالم، مثلما ساهم إميل حبيبي، جبرا إبراهيم جبرا وغسان كنفاني؟

ألم يساهم في تشكيل الهوية الثقافية الوطنية الفلسطينية أيضا: إسماعيل شموط، تمام الأكحل، ناجي العلي، سليمان منصور، نبيل عناني، محمود طه، أحمد نعواش، عزيز عمّورة، نصر عبد العزيز، وسواهم، والأجيال التي تلت؟

ألم يساهم في تشكيل الهوية الفلسطينية مؤرخون وباحثون ونقاد ومحامون مثل: خليل السكاكيني، عارف العارف، محمد عزت دروزة، أكرم زعيتر، أنيس صايغ، إدوارد سعيد، إحسان عباس، هشام شرابي، وليد الخالدي، جوني منصور، مصطفى كبها، عادل مناع، نمر سرحان، تودّد عبد الهادي، حنا نقارة، جواد بولص، إبراهيم أبو لغد، صالح برانسي، إلياس نصر الله، شريف كناعنة، سليم تماري، حنا ناصر، كارل صباغ، إبراهيم مهوي، والأجيال التالية لهم؟!

ألم يساهم في تشكيل الهوية الفلسطينية مخرجون سينمائيون مثل: باسل الخطيب، هاني أبو أسعد، صلاح أبو هنود، رشيد مشهراوي، مي المصري، محمد البكري، إيليا سليمان، والأجيال الجديدة من المخرجين؟!

وماذا عن المغنّين والفرق الفنية والمسرحية، أين موقع فرقة العاشقين، الفنون الشعبية، صابرين، الحكواتي، بلدنا، المخيم، مصطفى الكرد، أغاني الثورة الفلسطينية، ومن أبدعوا هذه الأغاني، وليد عبد السلام، فرقة وشاح، تانيا ناصر، أمل مرقص، ريم البنا، ريم تلحمي، عبد الحليم أبو حلتم، ومن جاورهم ... ومن تلاهم؟

ماذا عن كتّاب ومبدعين وصحافيين غير فلسطينيين ساهموا في تشكيل الهوية الفلسطينية من أمثال: فيروز، مارسيل خليفة، الشيخ إمام، أحمد فؤاد نجم، أمل دنقل، زين العابدين فؤاد، عدلي فخري، إلياس خوري، ممدوح عدوان، شعراء الجنوب اللبناني، جوليا بطرس، سيد مكاوي، حاتم علي، حليم بركات، رضوى عاشور، ومحمد فليفل، اللبناني الذي لحن نشيد موطني...؟

لا يستطيع المرء في مقال كهذا أن يورد كل الأسماء التي ساهمت فعلا في تشكيل الهوية الفلسطينية، ولعل هذا هو أفضل ما في المقال، لأن عدد الأسماء التي لم تذكر هنا يفوق أسماء الأعداد الواردة، ولعل هذا أسوأ ما فيه لأنه لا يتسع المجال فيه لإيراد أسماء أخرى.

إن الغرض الأساسي من هذا المقال هو أن يقول إن فلسطين أغنى من مديح أولئك الذين يختزلونها في أسماء بعينها، سواء لربط أسمائهم بتلك الأسماء، أو الظهور بمظهر المترفع عن مشاهدة الحياة الغنية التي تولد كل اليوم، كما أن الغرض منه القول أيضا، إنه مقال ينقصه الكثير، ولا يستطيع كاتبه إلا أن يعتذر لكل الرائعين الذين لم

ترد أسماؤهم على هذا التقصير الذي تفرضه المساحة المتاحة هنا، مع أنه يريد أن يقول بتقصيره إن الإحاطة بكل الأسماء المؤثرة أمر مستحيل[121].

مهدرات الهوية أو تحولها

إن للهوية الوطنية مهدرات أو عوامل تحوّل، يشير الكتاب الفلسطينيون الغيورون إليها حاليا بالقول أنها ترتبط بالعوامل التالية:

1. الاختلاف البيّن ليس على مشروع النضال والكفاح والبرنامج الوطني،[122] وإنما على مشروع السلطة والحكم كأولوية.
2. تذبذبات الحركة الوطنية والإنهاك الذي أصابها وحالات الوهن والتردد.
3. التفوق الإسرائيلي الساحق بالاستيطان[123]، وإدارة ظهر المجن لكل قرارات العالم، وصعود اليمين الصهيوني، ونمو روايته التوراتية الأسطورية ومحاولة إسقاطها كحقائق على ثقافة الأمة والعالم.
4. تهميش المنظمة (م. ت. ف) واعتبارها إدارة ملحقة ضمن السلطة الوطنية الفلسطينية، وتآكل دورها وشيخوخة أطرها وقياداتها.

121- نهاية الاقتباس من مقال للروائي الفلسطيني إبراهيم نصر الله في صحيفة القدس تحت عنوان هجاء فلسطين في مديحهم لها! بتاريخ 2017/8/10.
122- من المعلوم أن هناك خلافات سياسية في الحركة الوطنية الفلسطينية بين المناهج، ولكن هؤلاء الكتاب يرون الصراع على السلطة والشراكة أخذ الأولوية.
123- هو بحقيقته الاستعمار الذي يبني دولة للمستعمرين فيما يفترض أن يكون أرض الدولة الفلسطينية المستقلة.

5. الانقلاب الدموي من قبل فصيل «حماس» الإسلاموي عام 2007 الذي قسم الوطن جغرافيا ونفسيا، وأدى ذلك للانفصال الواقعي
6. تأجج الخلافات الحزبية والعائلية وافتقاد الوطني الجامع.

تفكك الحقل السياسي

يعتبر المحلل السياسي جميل هلال أن «اتفاق أو سلو» (1993-1995م) أدى إلى تفكك الهوية الجامعة، وإلى الفُرقة، بعد أن كانت منظمة التحرير الفلسطينية جامعة، رغم ما ميزها من النخبوية اللاديمقراطية ورغم العسكرة، ووجود الأيديولوجية الشاملة.[124] كما يرى.

بمعنى آخر أن جمعية (جمعية =قدرتها على الجمع) المنظمة تحققت، وذلك رغم هذه المثالب (النخبوية والعسكرة والشمولية) كانت في ظرفٍ سبق مقبولة ومفهومة، ولم تعد كذلك حاليا مشيرا لتفكك ما يسميه «الحقل السياسي»، مرجعا ذلك للأسباب التالية:

1. ضعف دور منظمة التحرير الفلسطينية.
2. فشل التعامل مع الإسلامويين.
3. تهميش المؤسسات الوطنية الجامعة.
4. انقسام السلطة إثر فوز «حماس» بالانتخابات عام 2006 (التي انتهت مدتها من سنوات ولم تتكرر حتى الآن)
5. سيادة المجالس المحلية الحزبية وعلاقاتها الخارجية.

124- من مقال للكاتب جميل هلال تحت عنوان (الهوية والثقافة الوطنية وتفكك الحقل السياسي الفلسطيني) على الشابكة وذلك بتاريخ 15 مارس 2016

6. اختزال فلسطين بفلسطينيي 67.
7. نمو طبقة وسطى من القطاع الخاص والسلطة والمنظمات غير الحكومية غزتها عقلية الموظف لا عقلية المناضل[125].
8. غياب الحل الوطني وتكاثر حالات الإضراب والحصار.

دور الثقافة في تعزيز الهوية

من هنا يأتي دور الثقافي في الجمع والتقريب والتقبّل وتوسيع مساحات الالتقاء، باعتباره (أي الثقافي) إطارًا لا تنازع سلطوي فيه، ولا قوى سياسية تستطيع أن ترسم لها فيه خطا أحاديًا منفصلاً.

قوة تأثير المجال أو «الحقل الثقافي»[126] واجبة الوجود أصلا على اعتبار أن أي جماعة أو مجتمع سوي يقوم على ركائز وأضلع متساوية ومتكاتفة هي السياسي والاقتصادي والثقافي والجماهيري،[127] وفي ظل

125- لطالما كتبنا للتنظيم السياسي أن يتحلى أعضاؤه بعقلية المناضل ذو الديمومة، ورفض عقلية الوظيفية التي تقبل على نفسها الانكفاء والابتعاد عن النضالي الميداني المقاوم، والبقاء في سياق الوظيفة فقط، وهي ما اطلقنا عليها عقلية النضالية مقابل الوظيفية، ويمكن العودة لورقتنا/محاضرتنا المعنونة: في الوعي بين الفكر والتنظيم.

126- وهو ذات ما نسميه نحن النضالية مقابل الوظيفية أو الجذرية مقابل الأدائية، ويقول الكاتب جميل هلال عن ما اطلق عليه «الحقل الثقافي» في مقابل «الحقل السياسي» مشخصا التراجع السياسي: (أضحى الشعب الفلسطيني اليوم بلا دولة ذات سيادة وبلا حركة تحرر وطني. ومع ذلك، تملك الوطنية الفلسطينية حيوية متميزة، ويعود الفضل في ذلك إلى دور الحقل الثقافي في الحفاظ على الرواية الفلسطينية وإثرائها. إن دور الحقل الثقافي في الحفاظ على الرواية الفلسطينية والانتماء الوطني القومي، دورٌ قديم ومتواصل. ففي أعقاب إعلان دولة «إسرائيل» في 1948 وهزيمة النخب السياسية والحركة الوطنية آنذاك، حافظت الأقلية الفلسطينية في «إسرائيل» على هويتها الوطنية والقومية من خلال نشاط الحقل الثقافي ولا سيما في مجالات الشعر والقصة والرواية والمسرح ولاحقًا الغناء والسينما).

127- ونضيف التاريخ المشترك، والجغرافيا والتفاعلية الحضارية في داخلهما.

تفكك الحقل السياسي يبرز **الثقافي بديلًا قادرًا على تحقيق التواصل والنفاذ لقلب المجتمع عامة، وحتى للقلب السياسي**[128].

ويمكننا أن نلخص الأسباب باختصار **لدور الثقافة الفاعل في القضية الوطنية وتدعيم الهوية الجامعة (والتي لن تستقيم برأينا إلا في إطار عمقها العروبي الحضاري المنفتح):**

1. تحوي الثقافة بمكنونها عوامل الحيوية والازدهار والقدرة على الاحتضان والإحاطة للذات والجماعة.
2. تشمل الرواية والانتماء، والمشاعر والقيم.
3. تعج بالرموز وما يبرزها من شعر وقصة وغناء وسينما وفلكلور.
4. بروز أدب المقاومة منذ الأديب الراحل غسان كنفاني، ومعين بسيسو، وعبد الوهاب الكيالي وماجد أبو شرار وخالد الحسن، وكمال عدوان، وهارون هاشم رشيد وغيرهم.
5. رحابة الحقل الثقافي في بناء الأطر الجامعة والمشتركة.
6. حيوية الرواية التاريخية عبر إحياء المناسبات المختلفة من: أعراس/تشييع/مواجهات.
7. القدرة على مواجهة الخطر على هويتنا الوطنية-الثقافية المتميزة في الإطار الحضاري العام من (الجهل–التزمُت–الخرافات).

128- يعتبر المفكر مالك بن نبي في كتابة شروط النهضة أن الثقافة التي أولها الفكرة تشكل المحيط بالإنسان بشكل شمولي، وهي ما يتحرك من خلاله وفيه، وهي الجسر نحو التقدم والحضارة كما أنها الحاجز المانع من السقوط.

الثقافي وذاكرة المكان

يعتبر الباحث محمد مرقطن أن الذاكرة الجمعية -ومنها الذاكرة الثقافية- ذات أهمية كبرى في الاستمرارية التاريخية في فلسطين، ومقاومة كل عمليات الطمس التاريخية الصهيونية مشيرا لأهمية «المكان» على اعتباره موقع التفاعل الاجتماعي الذي تجتمع فيه الذكريات الجميلة أو المعاناة التي عاشها فيه الإنسان.

والمكان هو موقع الحدث التاريخي، ويمكن رؤية ذلك من خلال الآثار التي تركها الإنسان في ذلك المكان كالنُصُب التذكارية، والمباني العامة كالمساجد والكنائس والمدارس ومقامات الأولياء وغير ذلك.

يميز الباحث المكان، عن «الفضاء الجغرافي» الذي يعني منطقة أو إقليم أو بقعة جغرافية معينة قد يتم احتلالها أو الدفاع عنها ثم إعادة تشكيلها بما يخدم مصالح القوة المسيطرة.

وحيث أنه يرى الذاكرة الجمعية بمعنى الأداء الجماعي لذاكرة مجموعة من الناس بجوانبها الاجتماعية والثقافية، وبالتالي خلقها لصلة الماضي بالحاضر، فمن هنا تأتي **ضرورة الالتصاق بالأماكن في فلسطين المحتلة والحفاظ عليها**، ومنها أسماء المدن والقرى والسهول والهضاب والمواقع المختلفة[129] كعملية نضالية قاسية، وهامة في مقاومة الطمس[130] وفي إطار ثقافة الثبات والمقاومة للطمس والإبادة

129- يذكر الأستاذ الباحث في معهد لغات وحضارات الشرق القديم في جامعة هايدلبيرغ في ألمانيا محمد المرقطن أن أسماء الأماكن في فلسطين تقدر ب10000 أسم أما عدد أسماء القرى والمدن فهو 1600 قرية ومدينة يجب أن نحافظ عليها جميعا بالذاكرة التواصلية.

130- لمراجعة كتاب المشهد المقدس: طمس تاريخ الأرض المقدسة منذ ١٩٤٨للكاتب الإسرائيلي ميرون بنفنيستي ؛ ترجمة إلى العربية د. سامي مسلم.

الثقافية المتواصلة للذاكرة والأرض والرواية، حيث أن أسماء عديد الأماكن بغالبها موجودة ضمن خمس طبقات بالأرض حتى ما قبل التوراة[131].

شكل الصهاينة في العام 1949م-كما يورد «ميرون بنفنستي» في كتابه المشهد المقدس- لجنة من كبار علماء التوراة والآثار لرسم خريطة عبرية لفلسطين وتغيير (أي تزوير) أسماء المدن والقرى والأماكن الأخرى، واختراع أسماء عبرية لها، وهو ما حصل، والسرقات طالت اليوم الحمص والفلافل والثوب الفلسطيني وكل ما سوى ذلك.

إن الأماكن الفلسطينية عامة لها أسـماء ولها تاريخ وكل الامبراطوريات والغزاة كانوا مراحل غابرة ولحظات عابرة في تاريخ فلسطين العربية، وأما ما بقي ثابتا فهو القرى والمدن الفلسطينية العابرة للزمن كما يصفها محمد المرقطن والتي نستطيع تتبعها عن طريق ذاكرة فلسطين الثقافية التي تحتوي على تدوينات لهذه القرى والمدن نحو 4000 سنة، والذاكرة التواصلية الفلسطينية هي الذاكرة الحية حتى اليوم وغدًا التي توثق هذه الأماكن موصلة قديمها بحديثها.

يقول الباحث محمد المرقطن أيضا في بحثه المعنون: ذاكرة المكان أسماء المدن والقرى الفلسطينية ما بين الاستمرارية التاريخية والطمس الصهيوني أن المجتمع يختار من مخزون الذاكرة وتقاليده الثقافية من الماضي مجموعة من الرموز والأدوات ويوظفها لاحتياجاته الحديثة.

مضيفا: إن دراسة أسماء الأماكن الفلسطينية واستحضارها

131- هي كما يورد: الكنعانية والآرامية واليونانية والرومانية والعربية الفلسطينية، موضحا صعوبة التمييز بين المجموعات اللغوية المختلفة.

من مخزون الذاكرة الفلسطينية مسألة أساسية في مواجهة التهويد الصهيوني في فلسطين التي مثل فيها الشعب الفلسطيني خلاصة الاستقرار البشري في فلسطين، وامتداده التاريخي الطبيعي منذ آلاف السنين إلى اليوم وهو الذي حفظ أمانة التنوع الثقافي والديني والبشري في هذه البلاد[132].

132- محمد المرقطن أيضا في بحثه المعنون: ذاكرة المكان أسماء المدن والقرى الفلسطينية ما بين الاستمرارية التاريخية والطمس الصهيوني، مجلة تبين، العدد 9/33 صيف 2020م.

الفصل الرابع:

أسس تمكين الهوية الوطنية

تمكين الهوية الوطنية الحضارية بالمشاركة

إن المشاركة مطلوبة كأحد أهم ركائز تمكين وتمتين الهوية الوطنية لكل مكونات المجتمع المدني الديمقراطي، فهي تشارك وتخص بمعنى أنها تعطي القيمة العليا للمشترك وتعظّمه، ولا تبخس الخاص أبدا ككل، ويرتبط ذلك ببناء الاستراتيجيات وتشجيع المبادرات.

يقول الشاعر أحمد شوقي: هَب جنة الخلد اليمن = لا شيء يعدل الوطن[133].

يقول الكاتب إبراهيم الديب حول تمكين الهوية الوطنية الواحدة الجامعة: ((تستند عملية بناء وتمكين الهوية الوطنية الواحدة الجامعة لمكونات المجتمع إلى منظومة متكاملة من المبادئ

133- من قصيدة لأمير الشعراء أحمد شوقي – عصفورتان في الحجاز تقول:

عُصفورَتانِ في الحِجا ... زِ حَلَّتا عَلى فَنَن
في خامِلٍ مِنَ الرِيا ... ضِ لا نَدٍ وَلا حَسَن
بَيناهُما تَنتَجِيا ... نِ سَحَراً عَلى الغُصُن
مَرَّ عَلى أَيكِهِما ... ريحٌ سَرى مِنَ اليَمَن
حَيّا وَقالَ دُرَّتا ... نِ في وِعاءٍ مُمتَهَن
لَقَد رَأَيتُ حَولَ صَن ... عاءَ وَفي ظِلِّ عَدَن
خَمائِلاً كَأَنَّها ... بَقِيَّةٌ مِن ذي يَزَن
الحَبُّ فيها سُكَّرٌ ... وَالماءُ شُهدٌ وَلَبَن
لَم يَرَها الطَيرُ وَلَم ... يَسمَع بِها إِلّا اِفتَتَن
هَيّا اِركَباني نَأتِها ... في ساعَةٍ مِنَ الزَمَن
قالَت لَهُ إِحداهُما ... وَالطَيرُ مِنهُنَّ الفَطِن
يا ريحُ أَنتَ اِبنُ السَبي ... لِ ما عَرَفتَ ما السَكَن
هَب جَنَّةَ الخُلدِ اليَمَن ... لا شَيءَ يَعدِلُ الوَطَن

والمرتكزات يأتي في مقدمتها:

1. الهوية الوطنية للمجتمع تتشكل من جزء صلب وهو **اللغة والتراث التاريخي** للمجتمع[134]، وآخر مرن وهو **القيم الحاكمة** لهذا المجتمع بالإضافة إلى رؤيته وأهدافه المستقبلية.
2. الاعتراف الكامل بكل **المكونات الطائفية الموجودة** في المجتمع وحقها الكامل من المواطنة الحقيقة متساوية الحقوق والواجبات مع الجميع.
3. الاستناد إلى **الوجود التاريخي** كأحد المكونات التاريخية لهذا المجتمع، وليس الأكثرية العددية.
4. الاستناد إلى **منظومة القيم الإنسانية العالمية** المتعارف عليها عالميا بالحرية والتسامح والإخاء الإنساني والعدل والمساواة والتراحم والتي تعزز احترام وحماية حقوق الإنسان والتعايش السلمي وصيانة وتعزيز الحريات الخاصة والعامة وإعلاء وتمكين وتطبيق القانون بما يضمن الأمن والاستقرار المجتمعي.
5. **القيم المشتركة لكافة مكونات المجتمع الواحد** والتي تمثل نقطة الارتكاز الصلبة في بناء المجتمع الواحد، وذلك ما ذهب إليه المفكر العربي الجزائري مالك بن نبي[135] حين تحدث

134- ونحن الفلسطينيون تاريخنا عربي حضاري متناغم مع كافة المكونات.

135- مالك بن نبي (1905-1973م) من أعلام الفكر العربي والإسلامي في القرن العشرين. ويُعدّ المفكر الجزائري مالك بن نبي أحد رُوّاد النهضة الفكرية العربية والإسلامية في القرن العشرين ويُمكن اعتباره امتدَادًا لابن خلدون، ويعد من أكثر المفكرين المعاصرين الذين نبّهوا إلى ضرورة العناية بمشكلات الحضارة.

وكانت جهود مالك بن نبي في بناء الفكر الإسلامي الحديث وفي دراسة المشكلات الحضارية عموما متميزة، سواء من حيث المواضيع التي تناولها أومن حيث المناهج

عن فكرة التركيب النفسي للثقافة وتكوينها من تركيب جزئي وتركيب عام من مكونات متنوعة ومختلفة.

6. منظومة **القيم الفرعية التفصيلية لقيمة المواطنة (الاحترام، والعدل، والمساواة، والالتزام والانضباط، والمؤسسية) كقيمة عامة حاكمة لسلوك وأداء المجتمعات الحرة الحديثة.**

7. مجموعة قيم **الرقابة الشعبية** وفى مقدمتها الإيجابية، والتطوع، والمبادرة، والحكمة، والوعي، واليقظة، وتقديم الهمّ والمصلحة العامة على الخاصة، والتي تعزز تمكين الإرادة الشعبية، خاصة عندما يتم وضعها في أطر مؤسسية متنوعة لمؤسسات ومجالات عمل المجتمع المدني كمكمل وداعم لأدوار ومهام الحكومة، ومراقب لها، ومعزز لأدائها ولخدمة مصالح الجماهير.

8. وتتجلى **مظاهر بناء وتمكين الهوية الوطنية الحضارية** في عدد من المؤشرات: - ممارسة جميع أبناء المجتمع لكافة شعائرهم الدينية واحتفالاتهم الخاصة بحرية كاملة، مع الاعتراف الكامل للدولة بهذه الشعائر والاحتفالات، ومع إنشاء مؤسساتهم الدينية والثقافية بحرية كاملة ودون أية معوقات من الدولة، وقدرتهم الكاملة على تعليم أبنائهم قيمهم الدينية الخاصة بهم لمن يرغب في تعلمها، كما الحرية الكاملة في تقلد كافة الوظائف والمراكز القيادية المختلفة في كافة مجالات الحياة المدنية والعسكرية والقضائية بحرية

التي اعتمدها في ذلك. وله من الكتب: شروط النهضة، فكرة كومنولث إسلامي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، القضايا الكبرى، الإسلام والديمقراطية، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي.

تامة وفق قواعد الكفاءة المهنية المتعارف عليها دوليا، وكافة حقوق المشاركة في الحياة العامة والتعبير عن الرأي بحرية كاملة، وإنشاء مؤسسات المجتمع المدني بمجالاتها المختلفة).

أولا: الوطنية العربية الفلسطينية تعبويًا

1. أن نفهم الوطنية الفلسطينية[136] كما فهمتها الثورة الفلسطينية التي لها السبق بذلك، حيث رأتها بلورة لشخصية شعب ضمن أمة واحدة حضاريًا منذ القدم واليوم وفي المستقبل، ورأت الوطنية في سياق ثلاثية (**التكريس والتخصيص والأولوية**) للعمل من أجل فلسطين كأولوية وقضية رئيسة، لا أي قضية أخرى تسبقها، وتقبل الفلسطيني المختلِف في إطار وحدودي، بل وفتحت الباب للعربي وأحرار العالم ليندمجوا في الشخصية التحررية الفلسطينية النضالية الفكر والقيم[137].

2. **مدرسة العقل:** حيث أن إعلاء مدرسة العقل والتفكر والتأمل على حساب الموروث المقدس لمجرد أنه ارتبط بأسماء قُدست عبر التاريخ، يعتبر هذا التفكر والتأمل بما يتضمنه من بحث وفحص وكشف وإعادة إنتاج انتصارًا لخط الفهم، ومن ثم لإعادة بناء الفكرة عامة ومنها الوطنية في الوعاء العربي الواسع.

136- يقول الكاتب الإسرائيلي التقدمي (ايلان بابية): (الحركة الصهيونية أنجح حركة قومية بالتاريخ لأنها جاءت لتخلق شعبا واحدا، فإذ بها تخلق شعبين)! في إشارة للإسرائيليين والشعب الفلسطيني.

137- فلسطين هي الوطن وهي الهوية وهي الوعاء للتراث والتاريخ وهي الدليل الخالد على حقيقة وجودنا كشعب-شفيق الحوت، بين الوطن والمنفى ص400

3. **الأفق العربي باللسان والثقافة والحضارية**، وليس القومية العنصرية حيث: (واصلت اللغة العربية إمداد المراكز الحضارية التي جاءت بعد حضارة العرب بالمعاني والدلالات والحكمة والأثر البالغ، في إعادة تشكيل قوميات ومجتمعات جديدة شكّلت اللغة العربية قوامها الجوهري، إن على صعيد فهم وإدراك رسالة الدين الإسلامي واستيعاب الإنجازات العلمية والفكرية المتوارثة عن حضارة العرب في عهدها التقليدي=الكلاسيكي، كما حدث مثلا لحضارات أخرى في العديد من المناطق الآسيوية والإفريقية، إضافة لفضل العربية على النهضة الأوروبية الحديثة)[138].

4. **الكيانية الجامعة** (المنظمة بإطار (م. ت. ف)[139]/الجغرافيا/ الدولة المدنية) ووحدة الجغرافيا والشعب.

5. **الثقافة والقيم الجامعة**، ومن أبرزها قيم ومبادئ:

- الثقافة الحضارية العربية وبجذورنا الحضارية الإسلامية والمسيحية المشرقية، وتراثنا الزخِم منذ فجر التاريخ مع الكنعانيين والفلسطينيين واليبوسيين وكل قبائلنا التي عاشت في فلسطين، وذاكرة المكان التراثية الجمعية التواصلية.

138- من مقال للكاتب العربي الجزائري د. نور الدين ثنيو في القدس العربي 2016/4/15 تحت عنوان: اللغة العربية والقومية العربية الحديثة.

139- الشخصية الفلسطينية شخصية منظمة منذ وعت أهمية الوعاء الجامع ممثلا بالجمعيات والنوادي منذ بادية القرن العشرين، ثم التنظيمات والأحزاب السياسية وصولا للمنظمات غير الحكومية والنقابية، وعموما مثلت منظمة التحرير الفلسطينية بعد النكبة عام 1948م -واحتلال فلسطين من قبل الصهاينة بالدعم الانجليزي الكامل- الإطار الجامع لمختلف فئات وشرائح الشعب الفلسطيني.

- الاحترام المتبادل.
- الديمقراطية والتداول والمدنية.
- الإنسانية والمواطنة (حرية/مساواة)[140].
- المشاركة/التداول.
- الحرية والعدالة وسيادة القانون.
- المساواة بين المرأة والرجل أمام القانون.

ثانيا: تمكين الهوية الوطنية سياسيًا

1. **مركزة الهوية** المرتكزة على الرواية، وذاكرة الشعب والمعاناة مرتبطة بالنكبة والمذابح الصهيونية والطرد والإحلال عام 1948 بشكل رئيس، وحقنا الطبيعي والتاريخي والقانوني في أرضنا أرض فلسطين العربية، والعدالة.
2. **وحدة الشعب** في الأجزاء الأربعة (الضفة وغزة وفلسطين الداخل، وفي الخارج) ضمن **وحدة الأرض والوطن** (فلسطين 27 ألف كم مربع)، والمشروع الوطني السياسي.
3. **فكرة الثبات على الأرض والمواجهة** عامة للمشروع الصهيوني الاحتلالي الإقصائي الإحلالي، وبالرواية كشكل أساس: إن الهوية الوطنية الفلسطينية الحضارية، شكلت عنصر مواجهة مستمرة ضد الرواية الصهيونية والمشروع الصهيوني، وتمثل ذلك بعناصر الهوية «الأرض والسكان» والتاريخ والمصير، فالهوية الوطنية الفلسطينية تكذّب الرواية الصهيونية (ذات

140- وهي القيم المتفقة مع لائحة إعلان حقوق الإنسان العالمية، والعهدين اللاحقين والملحق فيما يسمى الشِرعة الدولية.

الاستخدام التاريخي التوراتي الأسطوري والخرافي) وتفندها مدعومة بالرواية العربية العلمية، وتعزز عبر الأجيال هوية الأصالة لشعبنا وعمق تاريخه وتواجده على أرضنا فلسطين، وبالتالي يتم نفي المقولة/الخدعة الاستعمارية-الصهيونية «فلسطين أرض بلا شعب» منذ القرن 19، أومقولة «أين هو الشعب الفلسطيني؟»، أو ادعاءات وجود شيء بالتاريخ[141] اسمه «الشعب» اليهودي أو «أرض» إسرائيل[142].

4. التمسك **بحقوقنا الثابتة غير القابلة للتصرف**، حسب قرارات الأممية الدولية، حقنا بالوطن وهو فلسطين، والدولة وبالعودة وتقرير المصير.

5. الحفاظ على الثقافة التاريخية والجغرافية والنضالية والشعبية والحفاظ **على ذاكرة المكان واستخدام الرموز**

141- حول قضايا التاريخ القديم يجب أن نقرأ للبحاثة وعلماء التاريخ الأجانب، والعرب بشقيهم سواء أولئك الذين يتعاملون مع سردية الرواية التوراتية التاريخية أنها جغرافيا في مسرح الأحداث أنه في فلسطين، أو أنه في اليمن القديم، إذ بالحالتين تظل القبيلة القديمة (إسرءيل) بائدة كغيرها، واليهودية ديانة كانت مفتوحة، وهنا نوجه للاطلاع على أبحاث كيث وايتلام وطومس طومسون، ود. علاء أبو عامر، ود. إبراهيم عباس وفراس السواح ود. زياد منى، وجواد علي قبلهم، وأحمد داوود، ولمن يفترضون اليمن أصل مسرح أحداث التوراة نقرأ للأساتذة: فرج الله صالح ديب وكمال الصليبي وفاضل الربيعي وأحمد الدبش...الخ.

142- يفند علم الآثار وعلوم التاريخ الحديثة والبحاثة الأجانب والعرب، بل والإسرائيليين كذبة وجود (شعب) لليهود تاريخيا- «أنظر أرثر كوستلر، وأنظر شلومو ساند-في كتابيه خرافة أرض إسرائيل، واختراع الشعب اليهودي»، وتكذب الأبحاث أيضا وجود (وطن) أو (أرض) للقبيلة البائدة أو الديانة اليهودية، فالحقيقة إن قبيلة بني إسرائيل العربية البائدة لا صلة لها مع من يتسمّون اليوم باسم الإسرائيليين وهم من قوميات عدة غالبها آسيوية (الخزر)، وأوروبية والديانة لا تعطي علاقة جينية قومية أبدا، ولم يكن بالتاريخ شيء إلا قبيلة من ضمن قبائل وكان لها سياق تاريخي وانتهت كما انتهى قوم عاد وثمود والاحقاف وقوم لوط الخ.

والإشارات وجعلها في كل مكان من خلاصات التثبيت البصري، وبالاستخدام اليومي للموروث في إطار النضال السياسي.

6. لا بديل عن الثبات والصمود و**النضالية ضد الاحتلال، والجهاد والمقاومة الشعبية وبالأشكال الإبداعية** المختلفة.

7. توليد **رؤية فلسطينية** جديدة تطابق بين الشعب والأرض والمشروع السياسي، والدولة والوطن في إطار الصراع ضد العدو.

8. إعادة **بناء المنظمة** (منظمة التحرير الفلسطينية) وفكرة الدولة (دولة فلسطين)، (الاتفاق على البرنامج السياسي، فهناك مشاريع متضاربة تحتاج لحسم منها مشاريع: الاستقلال الوطني، حل الدولتين، حل الدولة الواحدة- حل دولة الأنسنة كما يطرح روحانا»).

9. التأكيد الدائم على **ارتباط الهوية الوطنية الفلسطينية بامتدادها العربي** ربطا وثيقا لا فكاك منه مطلقًا، فنحن جزء من كل، وتجلي ضمن أفق حضاري عربي إسلامي واسع.

من الهام أن نقول نصًا مما ذكره الكاتب الصديق مازن صافي، وهو مما يصح نسبته لحركة فتح وللمفكرين خالد الحسن وهاني الحسن[143] أساسا بل وغالب مفكري الثورة أننا: (نفهم أن الهوية

143- المفكر العروبي الكبير خالد الحسن وأخيه هاني الحسن من قيادات حركة فتح كانا، وكما الحال مع صخر حبش وكمال عدوان وعثمان أبو غربية وعباس زكي وبكر أبو بكر وأحمد غنيم من أعمق الداعين للربط غير قابل الانفكاك عن الأمة العربية في كل كتاباتهم، فلم يروا القاطرة الفلسطينية تسير إلا في القطار العربي ما أصبح شعارا خالدا.

الوطنية الفلسطينية غير منعزلة أو معزولة عن الهوية العربية أو الإسلامية، بل أن الثورة الفلسطينية قد أعلنت في مبادئها الأولى والمستمرة» التمسك بالعمل على إبـراز الشخصية الفلسطينية بمحتواها النضالي الثوري في الحقل الدولي، وهذا لا يتعارض مع الارتباط المصيري بين الأمة العربية والشعب الفلسطيني» وبهذا يمكن أن نربط الهوية الوطنية الفلسطينية بالهوية الجامعة للأمة العربية، دون انفصال عنها، أو التناقض معها).

ثالثا: تعزيزها شعبيا

1. التأكيد على الرمزيات الوطنية مثل النشيد والقسم والعلم والذكرى السنوية للأحداث والشخصيات، والأرض ومعالمها الكثيرة التي لا تزول.
2. تسويق وسم للفخر بالإنجازات الوطنية، وشعارات تعزيز الانتماء والولاء للوطن.
3. وضع منهج للتفاهم الوطني بين الأحزاب والمؤسسات والفئات الجماهيرية.
4. الحث على الاقتراب القيادي من الشعب، فالهوية تتكرس كلما حصل الاقتراب.
5. إحياء المناسبات العربية الجامعة.

ولنا في الأدب والفكر والثقافة والشعر والفلكلور الشعبي والأغنية والأهزوجة والدبكة...الخ، والتجارب اليومية والحراكات الشعبية خير إضافة تقدم للهوية في ظل المعززات الوطنية والسياسية والثقافية والشعبية.

ومن الشعر ما يمكن أن يضج بالرموز التي تغني وتسمن ولننظر في مسك الختام لما يقوله الشاعر الكبير **معين بسيسو** في قصيدة المتاريس[144].

قد أقبلوا فلا مساومة
المجد للمقاومة
لراية الإصرار شاهقة
للموجة الحمراء من صيحاتنا المعلّقة
على الشوارع الممزّقة
ولليد المكّبلة
ولليد الطّليقة المناضلة
المد للجريح والمثقوب قلبه وللمطارد
مدينتي ! قد أقبلوا ليلا من الأظفار والخناجر
وكنت نجمة تقاتل
أضواؤها العريانة السلاسل
وكانت الذئاب تقتفي خطى الجداول
وكنت ماردا من السنابل
يداه منجلان والجراد زاحف قوافل
يريد أن يجرّ للطاحون مارد السنابل

***

مدينتي يا أدمع البركان قد جرت مشاعل
ويا ابتسامة الزلازل
مطبوعة سيفا على جبين شعبي المكافح
مدينتي زنبقة خضراء لم تنم على سرير فاتح

144-المتاريس، شعر للشاعر والثائر الكبير معين بسيسو.

ولم تصبّ الزيت في مصباح خائن
رموشه بساط كلّ مقبل ورائح
من صانعي المذابح
ولم تهب ضفيرة أسلاك معتقل
ولم تقبّل سوط طاغية
كجارية
مدينتي ! رأيت كيف تنسج الأمل
خطى حبيبك البطل
وكيف قد نشرت من دمائك الشراع
يمخر الحرائق
النار لا تمسه ولا الصواعق
ولا الرصاص طائرا حصى من البنادق
مدينتي ! وا حسرة القيثارة الخرساء
للغناء والبلابل
تشدو إلى الأبطال، وا عذاب شاعر
في السلاسل
وأنت في السلاسل
ولم تكن تناضل
غير الحروف من شريانه جرت قصائد

***

مدينتي ! وأيّ رعشة تهزّني وأيّ عاصف !!
من ذكرياتك العواصف
من ذكريات السجن والسّجان والأبطال والمعارك !
وخائن تهالك

وفوق صرخة القتيل
والمعذّبين في انتظار
الموت سار،
وحشا يشدّ للرّحى السوداء،
كي تدور تطحن الدماء
يداه حبلا كلّ خانق
عيناه شبّاكان للعدوّ منهما أطلّ بالبنادق
على الخيام والمنازل
يصيد إخوتي
أبناء شعبي البواسل.

خاتمة

الهوية الوطنية العربية الفلسطينية الحضارية إطار شامل جامع للكل الفلسطيني والكليّات العربية الفلسطينية، بمعنى أن المشتركات التاريخية والجغرافية المتصلة التفاعل، والعاطفية والقيم الروحية، وتلك المرتبطة بالعمق القومي والديني والطائفي المتنوع، وبطبيعة العيش المشترك بذات المساحة، وتناقل التجارب والرواية والموروث لم تستطع معها الآلة الاستعمارية العنصرية الغربية، ولاحقا بتحالفها مع الحركة الصهيونية العنصرية الإحلالية في العصر الحديث أن تنتزع من العربي الفلسطيني انتماءه لفلسطين، رغم حقيقة ذوبان الهوية الخاصة في كثير من فترات التاريخ بالهوية العامة سواء القومية أو الدينية أو الحضارية الجامعة للمنطقة.

إلا أن خصوصية هذا الشعب المناضل بلا شك قد أعيد بعثها بفضل الكثير من العوامل ليس أولها تواصل الثورات ضد المستعمر والمحتل الأجنبي، وليس أولها خوض الصراع والانخراط فيه من منعطف النكبة عام 1948 وما سبقها من أحداث جِسام مع أول قدم صهيونية منظمة تطأ أرض فلسطين عام 1882م.

كما كان للتعليم والمسجد والتعبئة الدينية، وذاكرة المكان الجمعية، وحجم الظلم والإرهاب الانجليزي والصهيوني جليل الدور في إذكاء الوطنية[145].

145- في سياق كتاب د. مي صيقلي المعنون حيفا العربية 1918-1939م التطور الاجتماعي والاقتصادي، نلحظ الدور الاجتماعي والاقتصادي كما نلحظ الدور التعبوي والسياسي المتمثل بحجم الظلم والسخط والرفض كأداة تحريض ضد المستعمر والصهاينة الغزاة، ونلحظ دور الصحافة ودور التعليم، والخلفيات الاقتصادية، والتواصل البشري الجغرافي مع المحيط (الشام) ودور المسجد والمدرسة والتنظيم في

ثم ما كان من منعرج النكسة عام 1967 وما تلاه من بزوغ شمس الثورة الفلسطينية الحديثة التي انطلقت أول مرة عام 1965 ثم بعد النكسة عام 1968م، وفي منعطفات الصعود الثوري وآلاف العمليات العسكرية البطولية، والهبوط، ومع الانتفاضات الجبارة خاصة انتفاضة الحجارة من عام 1987 وانتفاضة الأقصى من عام 2000م. وما تلاهما من مقاومة شعبية وثبات وصمود.

وليس آخرها فيما تمثل بما حققته هذه الثورة العملاقة مع حجم المؤامرات حولها وعليها منذ انطلاقتها الحديثة وخاصة عبر دور حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح البارز في إبراز الفكرة الوطنية المندمجة في حضارية وثقافة المحيط العربي الحضاري.

وفي إبراز الكيانية السياسية الموحدة في إطار الفعل الكفاحي المقاوم بكافة الأشكال، وضمن منظمة التحرير الفلسطينية.

بل ويتشارك في إبراز الهوية العربية الوطنية الفلسطينية مجمل الكُتّاب والمفكرين والفنانين والمثقفين والإعلاميين والأدباء والعلماء، بل وأبناء الشعب والأمة بطرقات معاولهم وغنائهم وأهازيجهم وفرحهم وترحهم التي ضمن العوامل الكلية حافظت وستحافظ على الكيانية والشخصية والهوية المتميزة في البحر العربي الحاضن، وفي إطار حضارتنا العربية الإسلامية، بالإسهامات المسيحية المشرقية، وفي سياق ثبات الشعب والفكر النضالي التحرري الإنساني العام.

الباب الثالث

القضية الفلسطينية والقطار العربي

القضية الفلسطينية والقطار العربي

مقدمة

الحركة الوطنية الفلسطينية الحضارية كفكر[146]، هي حركة تحرر بمعنى أن شغلها الشاغل كهدف وفكرة محورية محرّكة للفعل هو التحرير، وتحديدا تحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني للأرض العربية الفلسطينية، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، دولة مستقلة ثم دولة ديمقراطية مدنية على كامل التراب الفلسطيني.

إن التحرير الوطني أو القومي هو كفاح للتخلص من العبودية للمستعمِر، والتخلص من احتلال الأرض والإنسان[147]، وفي هذا السياق اقتدت الثورة الفلسطينية وحركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح ثم كافة فصائل الثورة الفلسطينية بتجارب الشعوب العربية، وغير العربية حتى اكتشفت طريقها الخاص.

منذ البداية وحتى اليوم والثورة الفلسطينية عامة، وحركة فتح لا تجمُد ولا تتحيز ولا تُقصي ولا تغتاظ من نجاحات الآخرين، بل كانت

146- التفكير عند د. زكي نجيب محمود شيخ الفلاسفة العرب هو: عملية ذهنية ترسم خريطة أوخطة العمل المؤدي إلى تحقيق هدف ما. والفكر هو نتاج الجهد العقلي المبذول بين المكونات ألأولية واللاحقة ليحقق بعملية التفكير انتزاع فكرة جديدة.

147- يتم احتلال الإنسان بمسخ لغته أو ثقافته أو حضارته أو قيمه الروحية وجعله يألف أو يرتبط بثقافة الآخر خاصة الغازي أو المستعمر أو المحتل ما قد يكون لبلادة عقلية أو جهالة، أو قد يكون لقوة الدعائية الغازية مثل الصهيونية، أو للقابلية الشخصية للانهيار والانكسار فيصبح الشخص يأتمر تحت أقدام الغازي منبهرا بكل ما يأتيه منه، فيفقد سماته المميزة شيئا فشيئا ليكون جزء من الآخر دون ملامح، بل وقد يصبح منظّرا له وداعية!.

مِرحابة دومًا منفتحة أبدا بحيث أنها احتملت في داخلها النقائص تلك التي عاشت متحاورة ومتجاورة، متحاربة حينًا ومتصالحة حينًا يحدها من الجهات الست[148] قضية فلسطين.

فحيثما اختلفت وصعدت أو حطّت رحالها كان الجامع لنقائض أو تيارات أو اجتهادات حركة فتح هو فلسطين، وليس كأولئك القدماء الذين وضعوا فلسطين على هامش مشروعهم الأكبر أو الشمولي[149] فأصبحت قضية ثانوية لا أساسية، وفرعًا لا أصلًا، أو الجُدُد الذين يضعونها على رفّ الزمن المهمل فداء لمصالحهم الانعزالية.

الثورة الفلسطينية وفتح الحركة حيوية جماهيرية، وديمومة عطاء وعمل، وأصالة **انتماء للأرض والحق والعدالة والمبدأ، وتغيّر واقعي دائم بالوسائل باتجاه تحقيق الهدف، حتى لو كان واقع بعض الممارسات خاصة القيادية السياسية في أيام التيه والضعف والانحسار يعطي مؤشرات متناقضة بل ومؤشرات جمود وتراجع وربما تخاذل أحيانًا.**

إن حركة فتح الفكرة والخُلُق والسلوك والجماهيرية والحضارية المرحابة كانت تنهض من عبق الشارع واغتراف المعاني الصاعدة من نهر الحضارة العربية الإسلامية وبالإسهامات المسيحية الشرقية بمنطقتنا، وبالانفتاح على الفكر والحضارة والثقافة الإنسانية عامة، وهي بذلك أبرزت مفهوم (الوطنية) النضالية، والمنفتحة في السياق المحيط بنا[150].

148- بالإضافة للجهات الأربع المعروفة نعتبر ما تحت الأرض جهة وما فوقها جهة أي الأعلى والأسفل.

149- خاصة التيارات الشمولية الفكرانية الشيوعية والإسلاموية والقومية الشوفينية، مع عدم الانتقاص من نضالاتها بلا شك التي نختلف بتقديرها وحجمها وتأثيرها.

150- من مقال للكاتب بكر أبو بكر تحت عنوان (في ذكرى انطلاقة الثورة الفلسطينية

طليعية الثورة و"عدم التدخل"

من 11 مبدأ من مبادئْ حركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح جاءت أربعة منها تؤكد على الصِلة الوثيقة بين فلسطين والثورة الفلسطينية وحركة فتح مع الأمة العربية، بل إنها أشارت للأمة العربية في البند الأول المكون من 15 كلمة 3 مرات وبعدد 5 كلمات، حيث تم ذكر الوطن العربي والأمة العربية صراحة، ومرة بالضمير العائد عليها (كفاحها)، وهي كالتالي:

المادة (1): فلسطين جزء من الوطن العربي والشعب الفلسطيني جزء من الأمة العربية وكفاحه جزء من كفاحها.

المادة (3): الثورة الفلسطينية **طليعة الأمة العربية** في معركة تحرير فلسطين.

المادة (5): معركة تحرير فلسطين واجب قومي تُسهم فيه الأمة العربية بكافة إمكانياتها وطاقاتها المادية والمعنوية.

المادة (9): تحرير فلسطين والدفاع عن مقدساتها واجب عربي وديني وإنساني.

بل وتعتبر في أهدافها أن من واجبها مساعدة العرب في التحرر، وبناء المجتمع التقدمي الموحد!

ومضيفة في بند آخر أنها تعتبر الأمة العربية شريكاً في المعركة، فيما اعتبرت الثورة نفسها الطليعة (المادة18) ثم تؤكد على **الارتباط المصيري** بين الأمة العربية والشعب الفلسطيني (المادة21).

47 فتح تنتصر بالعمل والجماهير) على موقع صحيفة الحياة الجديدة، وعلى موقعه الشخصي www. bakerabubaker. info

وفي المادة 23 تؤكد على (تطوير الجوانب الإيجابية في مواقف) الدول العربية، مطالبة بعدم الزج بفلسطين بالخلافات العربية، وفي المادة الأخيرة من (المبادئ والأهداف والأسلوب) لحركة فتح المادة (27) تقرر نصًا أن: حركة «فتح» لا تتدخل في الشؤون المحلية للدول العربية ولا تسمح لأحد بالتدخل في شؤونها أو بعرقلة كفاح الشعب الفلسطيني لتحرير وطنه[151].

في كل ذلك الدلالة الفكرية العميقة على حجم وأصالة الارتباط المصيري بين الثورة الفلسطينية وأمتها لأن الحركة رأت التحرير للوطن، في ظل الموازين العالمية والهجمة الاستعمارية، وغاية زرع الكيان الصهيوني في جسد الوطن العربي، لا تتحقق فقط بيد الفلسطينيين وإنما بالأمة وجماهيرها جميعا، ما دلّل على بُعد النظر للروّاد، وعلى فهم أصيل لمعطيات التاريخ ومجالات القوة ورِهان المستقبل لتحقيق النصر.

اعتمدت منظمة التحرير الفلسطينية (م. ت. ف) في ميثاقها، وحركة «فتح» فكرة الارتباط المصيري مع الأمة العربية[152].

151- النظام الأساسي لحركة فتح يشتمل على 27 نقطة تمثل الأهداف والمبادئ والأسلوب، **وفي الميثاق الوطني الفلسطيني لمنظمة التحرير الفلسطينية** في البند الأول نصًا: فلسطين وطن الشعب العربي الفلسطيني، وهي جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير، والشعب الفلسطيني جزء من الأمة العربية. ويؤكد الميثاق في البند 7 على ضرورة تنشئة الفرد الفلسطيني تنشئة عربية ثورية، وفي المادة 14 مصير الأمة العربية بل الوجود العربي ذاته رهن بمصير القضية الفلسطينية، ومن هذا الترابط ينطلق سعي الأمة العربية وجهدها لتحرير فلسطين، ويقوم شعب فلسطين بدوره الطليعي لتحقيق هذا الهدف القومي المقدس.

152- المادة 15 من **ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية: تحرير فلسطين من ناحية عربية هو واجب قومي لرد الغزوة الصهيونية والإمبريالية عن الوطن العربي** الكبير ولتصفية الوجود الصهيوني في فلسطين، تقع مسؤولياته كاملة على الأمة العربية شعوباً وحكومات وفي طليعتها الشعب العربي الفلسطيني، ومن أجل ذلك على الأمة

كما اعتمدت سياسة عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية، لأنها جعلت فلسطين الملتقى والهدف كما رأينا في النظام الأساسي لحركة فتح، وفي ميثاق المنظمة وتطبيقات العلاقة مع الأمة، ومن يأتي لفلسطين أهلاً وسهلاً به بيننا ومعا يدًا بيد وسويًا، في إطار المعركة «القومية»[153] أو المعركة النضالية عامة.

ورغم أن هذا الشعار الذي طبقته فعليًا على الأرض اجتُرح لغرض كفّ شرور بعض الأنظمة العربية عن العبث في جسد الثورة، لاسيما فترة الانقلابات العربية (ما بعد النكبة عام 1948م)، والتقلبات السياسية التي صاحبت الانطلاقة 1965، ولتكريس الثورة باتجاه العدو الرئيس وهو العدو الصهيوني المحتل لفلسطين، إلا أن العكس هو ما حصل من هذه الأنظمة أو وكلائها، إذ كان لعديد الأنظمة أو وكلائها قصب السبق في العمل على تحطيم وشقّ المنظمة وحركة فتح عند أول فرصة تلوح لها.

غنىّ عن الحديث المسهب ما حصل من النظام السوري (في أقله دعم الانشقاق على فتح عام 1983 ثم حرب طرابلس-لبنان، وحرب

أن تعبئ جميع طاقاتها العسكرية والبشرية والمادية والروحية، للمساهمة مساهمة فعالة مع الشعب الفلسطيني في تحرير فلسطين، وعليها بصورة خاصة في مرحلة الثورة الفلسطينية المسلحة القائمة الآن أن تبذل وتقدم للشعب الفلسطيني كل العون وكل التأييد المادي والبشري، وتوفر له كل الوسائل والفرص الكفيلة بتمكينه من الاستمرار، للقيام بدوره الطليعي في متابعة ثورته المسلحة حتى تحرير وطنه.

153- كان شعار الوحدة العربية وقومية المعركة يطغى على المفهوم «الوطني» الذي اعتمدته حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح بين أفكار: القومية الشوفينية وبين الاشتراكية العلمية (الشيوعية) وبين الإسلاموية (خاصة الإخوان المسلمين وحزب التحرير) كلها فكرانيات (أيديولوجيات) ذات الأفق العالمي أوالواسع، وفي السياق طرحت الحركة فكرًا غير مؤدلج يصر على أن (فلسطين طريق الوحدة) مخالفة شعار الأحزاب والدول البعثية القومية آنذاك أن: الوحدة طريق التحرير.

المخيمات البشعة في لبنان (1985-م1988)، والمحاولات المتكررة لإنشاء منظمة تحرير بديلة[154] سواء مع بعض تنظيمات اليسار الفلسطيني، ثم لاحقًا مع دعم النظام السوري لفصيل «حماس» الذي سعى جاهدا لإنشاء المنظمة البديلة)[155].

154- أنظر ماذا يقول الكاتب عصام عدوان في مجلة فلسطين الآن التابعة ل«حماس» http: //felesteen. ps/ هذا في 2015/9/8 بعد أن ينظّر لفشل «حماس» في دخول المنظمة رغم محاولاتها كما يرى (؟!) وحيث اعتبر الدخول للمنظمة دخولا إلى «قفص» و«عبودية» (؟!) حيث يختم بالقول: «على حركة حماس، ومعها كل فصائل المقاومة خارج إطار منظمة التحرير أن تُقِرّ بفشل سياسة الدخول إلى منظمة التحرير، لترفع تلك الغشاوة عن ناظريها، لتبصر آفاق الخيارات والبدائل الأفضل».

155- في شهر فبراير2009 وما زالت «حماس» في دمشق وبعد الانقلاب في غزة بعامين: ((تعهد رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل بـ«مفاجأة» لبناء مرجعية جديدة بديلا عن منظمة التحرير الفلسطينية، رافضًا الشروط الإسرائيلية لفتح المعابر مع قطاع غزة مقابل الإفراج عن الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط . وكشف مشعل في خطاب خلال حفل أقيم في الدوحة تحت عنوان «وانتصرت غزة»: «عن تحرك تقوم به الفصائل سوف تفاجئ به الأطراف الأخرى لبناء مرجعية وطنية جديدة تمثل فلسطينيي الداخل والخارج وتضم جميع القوى الوطنية الفلسطينية وقوى الشعب وتياراته الوطنية». وأكد أن «منظمة التحرير الفلسطينية في حالتها الراهنة لم تعد تمثل مرجعية الفلسطينيين وتحولت إلى إدارة لانقسام البيت الفلسطيني»)). أنظر صحيفة الشرق الأوسط في 2015/2/7. والى ما سبق يقول الكاتب صالح القلاب في فبراير 2009 حول الموضوع: ((لم يكن الاجتماع الذي عقدته ثماني فصائل فلسطينية في دمشق، ست منها وهمية ومجرد انشقاقات عن انشقاقات، والذي سبقه اجتماع مع الرئيس السوري بشار الأسد وتبعته جولة قادت خالد مشعل أولًا إلى الدوحة ثم إلى طهران، وإنما ذلك المؤتمر الذي انعقد في يناير (كانون الثاني) من العام الماضي 2008 تحت «لافتة» حق العودة، وثبت أن هدفه الحقيقي هو شطب المنظمة الحالية المعترف بها من قبل نحو مائة وعشرين دولة من دول العالم والتي اتخذ العرب في قمة الرباط عام 1974 قرارا ملزمًا بأنها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني. قبل هذا المؤتمر، الذي انعقد في دمشق في يناير (كانون الثاني) في العام الماضي والذي شكل لجنة لإقامة المنظمة البديلة لمنظمة التحرير التي أعلن عنها خالد مشعل بعد لقاء مع الرئيس بشار الأسد وعشية جولة قادته أولا إلى الدوحة ثم إلى طهران «الثورة»، كانت «حماس» قد قامت بانقلاب يونيو (حزيران) الذي قامت به في غزة،

والنظام العراقي (وفي أقله استغلال جماعة أبو نضال كبندقية للإيجار في تصفية قياداتنا، والتي تنقلت بندقيته لاحقا من كتف إلى كتف)[156].

والنظام الليبي في مراحل عديدة (مثل استغلال جماعة جبريل وبعض الفصائل الأخرى ضد الثورة، و«نصيحته»: موتوا في بيروت).[157] حيث عكس الخلاف السياسي المُفكرَن (المؤدلج) نفسه على العلاقة

وشطرت الوضع الفلسطيني سياسيا وجغرافيا إلى شطرين، إمارة غزة الإسلامية التي أقيمت وفق المواصفات الخمينية في مواجهة دولة الضفة الغربية والسلطة الوطنية في رام الله).)

156- صبري خليل البنا (16 مايو 1937 - 16 أغسطس 2002)، وشهرته أبو نضال، مؤسس ما أسماه فتح-المجلس الثوري، وهي جماعة مسلحة فلسطينية منشقة، عرفت أيضًا باسم منظمة أبي نضال، وإبان فترة السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين، كان البنا في أوج قوته، وحينها عرف على نحو واسع بكونه بندقية للإيجار حيث مارس العديد من عمليات الإرهاب والاغتيال للقيادات الفلسطينية بأوامر عراقية ثم ليبية لاحقًا مثل سعيد حمامي وعز الدين القلق وعلي ياسين ود. عصام السرطاوي.

157- كتب حافظ البرغوثي رئيس تحرير الحياة الجديدة عام 2000 في الصحيفة الفلسطينية يقول: (وسألت أبو اياد قبل اجتياح «إسرائيل» للبنان فقال ذهبنا إلى ليبيا نطلب صواريخ «لونا» التي يبلغ مداها 60 كيلومترا لردع «إسرائيل» حتى لا تفكر في غزو لبنان فرفض القذافي وقال «انه بمجرد بدء الغزو فإن طائرات ليبية ستنطلق لضرب تل أبيب وهناك طيارون فلسطينيون في سلاح الجو الليبي سيقومون بالأمر فلا حاجة للصواريخ» فقلت لأبي اياد ولكن ألا يعطونكم أسلحة ومدافع؟ فقال «لفتح لا... انهم يعطونها لأحمد جبريل... ونحن نأخذها منه بطرقنا» في البداية لعب-القذافي- دورا داعما للثورة ثم انقلب وبدأ يلعب دور الإفساد في الثورة الفلسطينية من حيث بث الفرقة وتبني الانشقاقات ودعمها واستخدامها في الاغتيالات الداخلية والخارجية والترويج بأنه يضع اقتصاد ليبيا وأموالها في خدمة القضية الفلسطينية. وهو ما لم يحدث بل سخر الأموال لضرب القضية الفلسطينية... فالدولة الوحيدة التي لا تسدد أي التزام بالدعم المالي... هي ليبيا سابقا ولاحقًا وحتى ما تم الالتزام به في قمتي سرت لم يدفع منه فلس واحد من جانب ليبيا. فدور القذافي كان دومًا استمالة فصائل معارضة لأبي عمار ولاحقا لأبي مازن... وحياكة المؤامرات ودعمها... فهو يلعب

والناس، لا سيما بين الرئيس الراحل الزعيم ياسر عرفات والمنظمة من جهة، وبين هذه الأنظمة المغترّة بذاتها.

ما كان الخلاف العربي على تحرير فلسطين أبدًا، وإنما على حجم دور هذه الأنظمة في الشأن الفلسطيني الذي كان يرفعها أو ينزلها في عيون جماهيرها، وبالتالي يثبّت أو يعظّم شرعية نُظُمها المهتزّة،[158] فكان الطعن في جسد الثورة ومحاربتها بالنار والبارود وقطع الأموال عنها، وشن حرب إعلامية شرسة عليها وعلى الفلسطينيين هو الأسلوب الأمثل والأسهل (والذي يرونه ذا الجدوى) لها بدلًا من اللجوء للحوار ومزيد من إيجاد الجوامع.

الثورة الفلسطينية والإجماع العربي

نؤكد أن الدول العربية، وحتى تلك المشار لها سلبًا، كانت في مراحل محددة ذات ثقل حقيقي وداعم للثورة بلا جدال[159] ، إلا أنه في حالات الخلاف والشِقاق كان الحلّ لدى أنظمتها أو لدى أجهزتها الأمنية خاصة، أو وكلائها هو من جنس الاستبداد والديكتاتورية وقمع الحرية التي عاملت به شعوبها، فقامت بإدخال المبضَع في جسد الثورة وحركة فتح ما شكّل تدخلًا سافرًا وقاتلا وخرقا لسياسة الحركة والمنظمة.

في ذات الإطار اتخذت حركة فتح مواقفًا واضحة في دعمها

ماديًا الدور الذي تلعبه قناة الجزيرة إعلاميا أي النميمة ونشر الفساد والفتنة وآخرها محاولة عقد لقاء بين احد قادة فتح وقادة من حماس في طرابلس لخلق تحالف ضد أبو مازن برعاية ليبية).

158- لا سيما أن الاستبداد وقمع الحريات الشعبية كان هو السمة الملازمة لعديد الأنظمة العربية قديما، وحديثا.

159- حيث لا ينكر دور النظام السوري في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي في الدعم الشريف للثورة كمثال، وفي مراحل أخرى متقطعة.

الإجماع العربي على صعوبة تحقيقه، وأحيانا على تساهله ومسايراته المائعة للأنظمة وجنوحها الدائم للتنازل.

وكانت الثورة وحركة فتح والمنظمة مع الحل العربي والتنسيق العربي دون فقدان روحها الاستقلالية (القرار الفلسطيني المستقل شعار حركة فتح الذي لم يعني العنصرية أو التقوقع أو العُزلة أو الإقليمية، وإنما عَنيَ القرار في إطار التعاون والدعم والاتفاق العربي)، ورفض انسحاقها تحت أقدام الأنظمة ومصالحها الخاصة وهيمنتها أو محاورها، فكانت مع الحل العربي فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية في ظل فقدان الداعم العربي الاستراتيجي لمعنى الجبهة الثورية ضد الاحتلال الصهيوني لفلسطين.

(أنظر الموقف من مشروع قمة فاس الثانية بعد حصار بيروت 1982 ومبادرة السلام العربية عام 2002 أثناء حصار أبو عمار في المقاطعة برام الله، بل ومنعه من دولة عربية من الحديث الفضائي المباشر للمؤتمر).

دعمت حركة فتح العمل العربي عبر الجامعة العربية[160] وعبر مختلف صيغ التعاون في كل المفاصل، في القضايا العربية كلّها وأبرزها السياسية، والوجودية ضد العدو الإسرائيلي باحتلاله فلسطين أساسا، وباحتلاله الجولان وجزء من الأراضي اللبنانية، وسيناء (حتى تحررت)، وأيضا الموقف الواضح من احتلال جزر دولة الإمارات العربية المتحدة من قبل النظام الإيراني الشاهنشاهي[161] حين احتلالها، فكله احتلال.

160- تألف ميثاق جامعة الدول العربية من ديباجة وعشرين مادة، وثلاثة ملاحق خاصة الملحق الأول خاص بفلسطين وتضمن اختيار مجلس الجامعة مندوباً عنها «أي عن فلسطين» للمشاركة في أعماله لحين حصولها على الاستقلال.

161- أقدمت إيران في 30 نوفمبر عام 1971 على احتلال الجزر الإماراتية الثلاث: طنب الكبرى وطنب الصغرى اللتان تتبعان إمارة رأس الخيمة، وجزيرة أبو موسى

كان موقف ثورتنا الفلسطينية وحركتنا دومًا موقفا عروبيًا صارمًا، لأنها رأت الاعتداء على أي جزء من الأمة العربية -بكافة مكوناتها- هو اعتداء على ثغرة من الثغور واعتداء على أولوية القضية الفلسطينية ومحاولة لحرف المسار العربي عن القضية المركزية قضية أمة العرب والمسلمين وأحرار العالم.

إن ما هو حاصل اليوم بالاقتتالات الداخلية الواسعة المدعومة إقليميا من المحاور الجغرافية الجاذبة والمجاورة، ومن المعسكر الأمريكي، والروسي العابثان في جسد الأمة وإن بنسب متفاوتة، أنتج اختلالات مبدأية وقِيَمية وفكرية تتعلق بأولوية العدو، لاسيما وأن القدم الأمريكية بدأت تتخفف من أحمالها بالمنطقة مُلقية كل الدور على الاحتلال الإسرائيلي الاستعماري والتوسعي والعنصري ليقوم بدور القائد للمنطقة برمتها،[162] وبدور الشرطي والمؤدب والمهذب لسلوك الأمة عبر نخر عظامها واختراق عقلها وثقافتها وروحها ودينها، قبل سياسة دولها، ونزق بعض حكامها.

التفتيت القائم اليوم في جسد الأمة العربية من شرقها إلى غربها، وتهديد أنظمتها الخائفة والمتوترة دومًا -إن عرّجنا عليه بعُجالة- هو بإرادة الفكر الاستعماري الغربي التمزيقي ورأس حربته الكيان الإسرائيلي الذي يجتهد لتسويق إعادة تركيب الأمة على منطق

التي تتبع إمارة الشارقة. قبل أيام من استقلال الإمارات العربية المتحدة في 2 ديسمبر 1971، وفي هذا اليوم أيضا نالت استقلالها من الحماية البريطانية.

162- استطاعت الدعائية الصهيونية والضغوط الأمريكية الصهيونية، والقابلية للانحطاط لدى بعض العرب في جعل العلاقات السرية بين الانعزاليين العرب والصهاينة ذات طبيعة علنية منذ العام 2020 والى ذلك تميزت بالفجاجة والوقاحة بضرب عرض الحائط القيم والأخلاق العروبية والحق والعدالة، وضرب عرض الحائط بقرارات القمم العربية بل وقرارات الأمم المتحدة، ووصل بها الأمر إلى حد الانبهار ومديح الصهاينة والدعاية لهم على حساب الحق العربي الفلسطيني.

طائفي/مذهبي وإثني واقتصادي تكديسي استهلاكي مهمين لها، لا يجابهه ويقف له بالمرصاد ويصمد أمامه إلا استعادة مفهوم الثورة العربية ومفهوم الثورة العربية الفلسطينية عامة ومفهوم حركة فتح الأصيل، وهو مفهوم الاقتراب العروبي الجامع والحضاري، بتكثيف الفكر الوطني الوحدوي ضمن حيّز الإقليم/الدولة المنفتح على البناء الوحدوي العربي/الإسلامي الجامع.

يقول الكاتب نجيب عـازوري[163]: «ظاهرتان هامتان، لهما نفس الطبيعة بيد أنهما متعارضتان، لم تجذبا انتباه أحد حتى الآن تتوضحان في هذه الآونة في تركيا الآسيوية أعني: يقظة الأمة العربية وجهد اليهود الخفي لإعادة تكوين مملكة «إسرائيل» القديمة على نطاق واسع، مصير هاتين الحركتين هو أن تتعارضا باستمرار حتى تنتصر إحداهن على الأخرى...».

"الوطنية العربية" في مواجهة "الانعزالية"

يقف الفكر الوطني المنفتح، الجامع للمكونات القومية والقيمية في كل دولة من الدول العربية، والمناهض للإقليمية أو {للوطنية «الانعزالية»}[164] المفترقة عن الأمة حلًا ضد ما انتشر اليوم

163- تنبه الكاتب العربي المسيحي الماروني نجيب عازوري كما أورد في كتابه الشهير (يقظة العرب) عام 1905م إلى خطورة الاستبداد على الأمة العربية وبعباراته المقتربة من فكر عبد الرحمن الكواكبي في كتابه (طبائع الاستبداد) حين يقول أن: «الاستبداد السلطوي هو الذي ينتج التخلّف والأرواح المتخلّفة المرعوبة، وخمود النفوس العربية المهزومة قبل أن تحاول الوقوف». وحول خطورة الاستبداد القيادي كتب المفكر خالد الحسن لاحقا كتابه الشهير(لكي لا تكون القيادة استبدادا، من حصاد تجربتي) الصادر عام 1995م، والذي وضع استهلاله عام 1985م.

164- ساد في فترة الخمسينيات إلى الثمانينيات من القرن العشرين فكرة {الإقليمية}

من دعوات طائفية أو مذهبية أو إثنية، أو إقليمية إنعزالية (تسمي نفسها «وطنية سيادية»[165] متبرئة من الوحدوية، ولو في إطار الحد الأدنى ضمن الجامعة العربية).

تأتي مثل هذه المواقف الانحسارية أو الانهزامية من بعض مكونات الأمة اللاهية أو الغاضبة أو المظلومة أو المنخرطة في اللعبة التفتيتية من شراذم السياسيين النزقين، والبُلداء ومن الكتاب والمثقفين الانهزاميين المأسورين للغرب، والمرعوبين من وهم القوة الأمريكية الأبدية! كما يظنونها[166].

يقف المفهوم العربي «الوطني الجامع» ضد الدعوات الإسلاموية المتطرفة والخطيرة التي تُفتت الشعوب وجسد الأمة وتنقل الثقل من الكُل الجمعي، ومن العمل على بناء الإنسان والبلدان بالعلم عبر التطوير والإبداع، وبالاقتصاد القوي الذاتي والجماعي، وبالصناعة والزراعة، والقوة العسكرية ذات العقيدة الجامعة، وبالتغيير بالفكر إلى الرجوع قرونًا للخلف واستفراغ سواد ليالٍ حالكة على شذوذها

المنبوذة مقابل {القطرية} المطلوبة، ما هي اليوم «الوطنية الانعزالية» المرفوضة منا، مقابل الوطنية الحقة تلك المنفتحة على مجموع الأمة. أي أن تكون منحصرا ومنغلقا على ذاتك منعزلا عن الأقطار العربية الأخرى، أو أن تكون جزء من كل، مع الاهتمام بالشؤون المحلية الوطنية دون الإضرار بالمصالح الجمعية للأمة.

165- ساد مثل هذا الطرح من بعض السياسيين والكُتاب والإعلاميين بعد الهرولة العربية باتجاه التتبيع المجاني مع الإسرائيلي، وهي الهرولة المناقضة لقرارات الإجماع العربي كلها ولمبادرة الملك عبد الله بن عبد العزيز، كما ساد المفهوم القائل: لا يحق للفلسطينيين أن يمتلكوا حق النقض (الفيتو) علينا في إقامة علاقاتنا مع الإسرائيلي؟! وذلك استجابة لذات المفهوم الأمريكي.

166- كل المؤشرات في التحليل السياسي-الاقتصادي لمضامين القوة وفرص التغيير العالمي تنبيء بأفول نجم أوحدية السيطرة الأمريكية على العالم، في مقابل ظهور رأسين آخرين هما الصين وروسيا، كما أن تحليلات أخرى تفترض عالما ليس فقط ثنائي الرؤوس أو ثلاثي كما سبق، وإنما متعدد القوى.

كان الوعي فيها خارج عن السياق العلمي أو الحضاري الإنساني بل وخارج عن السياق الإسلامي السمح.

ويقف المفهوم العروبي الجامع المحترِم للتعددية الوطنية في إطار الجمعية العربية سدّا منيعًا أمام الآخرين[167]، فلا يمكن للأمة أن تنهض مطلقًا بأن تنجرف باتجاه أي من محاور المنطقة أي المحور التركي أو الإيراني أو غيره، فما بالك بها وهي تنجرف باتجاه العدو المركزي للأمة العربية! أي دولة الكيان الغاصب للأرض العربية، فتفتح صدرها وعقلها ومجتمعها وقلبها لتُدخِل فيه طواعيةً سموم الفكرة الصهيونية[168].

يستخف بعض العرب بالخطر الصهيوني الاحتلالي التوراتي الخرافي، ولكنه للجهلة، هو الفكر العنصري المناهض للعرب عامة بل

167- تعتبر اليوم قرارات الجامعة العربية (تأسست عام 1945م) ممثلة للحد الأدنى للاتفاق بين دول العرب، رغم فشلها في تحقيق روابط أقوى بين أجزاء الأمة ودولها وزعمائها، ورغم الدعوات في مراحل عدة لتجاوزات حتى لتوافقات الحد الأدنى! وتأسست الجامعة في سياق الدعوات للوحدة الإسلامية أوالوحدة العربية في ظل دعوات التغريب الطاغية آنذاك المرتبطة بتقبيح الأمة والإسلام، وبالانبهار بالغرب أو الاستسلام له فكريا وسياسيا منذ بدايات القرن العشرين، هذه الدعوات التي تعود أقوى هذه الأيام مأسورة للفكر الصهيوني الأمريكي الإنجيلي.

168- قد يُفهم في مرحلة من المراحل (ضمن عقلية المرحلية السياسية) لمقتضيات السياسة إقامة سفارات أو مراكز وبعثات إسرائيلية في بعض العواصم العربية، ولكن ما لا يجب قبوله بتاتًا هو الانسحاق تحت ثقل الرواية الإسرائيلية الصهيونية الكاذبة حول امتلاكها فلسطين العربية! بدعاوي هي بالحقيقة خُرافية تنطلي على جهلة الأمة وبُلدائها وما أكثرهم، بمعنى أن السد أو الحائط المنيع أمام هذه الكارثة الفكرية الثقافية العظمى هم المفكرون والمثقفون والعلماء وقادة الرأي والمجتمع. إذ أنه حتى لو تهاوى السياسيون، فلا يجب على هؤلاء مطلقا القبول بما هو ضد الحقيقة والحق والعدالة وحقائق الدين والتاريخ. وليكونوا جميعا بمثل صلابة الفارس المغوار والبطل الكرّار الشيخ العز بن عبد السلام في مواجهة الغاصب، إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولاً، وتعود فلسطين العربية محررة.

وللآخر أي كان، وهو الفكر الاستعماري الذي لا يعيش إلا بالاحتلال والتوسع السياسي-الاقتصادي-الثقافي، وبالقتل والهجرة والاستيطان وسرقة الأرض ورفرفة الأساطير.

الفكر الصهيوني هو الفكر الخرافي التوراتي الذي ينظّر لامتلاك الغرباء عن أرضنا من سكان الكيان الإسرائيلي الحالي لأرض فلسطين العربية في سياقات الخلط الصهيوني المقصود بين الديانة اليهودية، والأسس القومية غير الموجودة[169].

وفي خلط بدأ يترسّخ لدى العامة الجهلة، والسياسيين الغَفَلَة بين أصول محتلي أرضنا اليوم المتعددة والمتناقضة والمتنوعة قوميًا، وبين قبيلة الإسرائيليين القدماء الغابرين.

إذ لا شك لدى أي من علماء اليوم من أن من يهود الديانة من محتلي فلسطين هم جاءوا من قوميات وإثنيات وبلدان متعددة لا

169- لذلك سنّ الصهاينة ما أسموه قانون «القومية اليهودية» عام 2018 م، وما الديانة بقومية أبدا، ولم تكن كذلك تاريخيا، ولم يشكّل محتلي بلادنا عبر التاريخ قومية واحدة أصلًا، كما لم يوجد شيء اسمه (أرض إسرائيل)، بل هي أرض فلسطين وكنعان العربية كانت وما زالت (أنظر أبو التاريخ هيرودوت)، ولا يوجد شيء عبر التاريخ الحقيقي يعطي أي دلالة لوجود «شعب يهودي» بل جماعات لقوميات متعددة وهي قوميات اعتنقت الديانة اليهودية شرقا وغربا. (أنظر الإسرائيلي «شلومو ساند» في كتبه حول الموضوع)، وأنظر أيضا أرثر كوستلر في كتابة القبيلة 13، والكثير من علماء اليوم والمؤرخين الذين كتبوا حول سرقة الرواية وكذب السرديات الصهيونية التوراتية مثل توماس طومسون وكيث وايتلام، وكُتب المفكرين فاضل الربيعي واحمد الدبش، ود. علاء أبو عامر ود. إبراهيم عباس وعز الدين المناصرة وفراس السواح وزياد منى، وفرج الله صالح ديب وكمال الصليبي (رغم خلاف بعضهم جغرافيًا، أي في التعبير عن الحدث التوراتي أكان في فلسطين أم اليمن القديم)، وغيرهم الكثير مثل العلماء الإسرائيليين: أرثر كوستلر وزئيف هرتزوغ الذين أثبتوا بمناهج البحث الجديدة، وبعلم الآثار زيف عديد الروايات التوراتية وأسفارها ما بين سرقة أحداث الآخرين، وما بين دمج أحلام وآمال وخرافات شعبية بالوقائع التي دونت في التناخ (التوراة وملحقاتها).

علاقة لها ولا لهم مطلقا بقبيلة/قوم بني إسرائيل القدماء المندثرين، لا قوميا ولا إثنيا ولا وراثيا جينيًا.

إن الخطر الأكبر لا يأتي فقط من استخفاف بعض السياسيين الانعزاليين وأشباه المثقفين الانعزاليين والبلداء بالتتبيع المجاني حفظا للعروش والمناصب ولقمة العيش ولو في ظل المهانة والذلة!؟ بإدخال الاحتلال إلى بيوتنا وعقولنا ومفردات حياتنا، وإنما أيضا من الاستهتار الكبير بالخطر الصهيوني الذي سيجتاحهم ولات ساعة مندم![170]

كما يأتي الفكر الانعزالي العربي الحديث المأسور للغرب الاستعماري والصهاينة من تقصير قادة الفكر والعقل والرأي والثقافة والدعوة الذين عليهم واجب اليوم هو أكثر خطورة يتمثل في صد الهجمة الصهيونية الأمريكية عن أرض الثبات والرباط والشهادة والنصر، وعن فكر وثقافة وعقيدة أمتنا العربية الإسلامية، وحضارتنا الغنية والمتمايزة والمصير المشترك[171].

بالإضافة لاستخفاف الانعزاليين العرب بفلسطين والقضية الفلسطينية، فإنهم يُظهِرون النَهَم الاستهلاكي التكديسي للفكر الغربي الاستعماري الذي ينظر للحياة المادية دون روح أو مبادئ غير مادية، بحيث تجدهم يسخرون من الانتماء العربي! كما يسخرون من البناء العقدي ويعتبرونه شعارات لا قيمة لها في ظل الحياة المستندة للمنفعة والعيش الاستهلاكي!

وينظّرون للدولة الوطنية بمعناها الانفكاكي والانعزالي[172] عن

170- يقول الشاعر العربي: ندم البغاة ولات ساعة مندم...والبغي مرتع مبتغيه وخيم.

171- يكتب أحد دعاة الانعزالية العربية في مقال له بصحيفة الشرق الأوسط 2020/9/19: أن (وحدة المصير كذبة! أثبتت عدم جدواها؛ فالناس لا يُهمها سوى السلام والأمان ولقمة العيش، وغير ذلك مضيعة للوقت)؟!

172- وهؤلاء الانعزاليون المنبطحون يقدسون الانقسام العربي إلى كيانات متفتتة! لا

مجمل الأمة بكل وقاحة السقوط القيمي والروحي[173] والمبدأي، بل ويذمّون فكرة الوحدة العربية بأي شكل كان اقتصادي أو سياسي أو حتى مفاهيمي أو فكري حضاري، ما يشكل قمة السقوط والاندحار أمام الفكرة الصهيونية الاستعمارية والإمبريالية الأمريكية بخصائصها الصهيونية والإنجيلية الصهيونية.

لقد أضاع الكثير من البُلداء وأشباه المثقفين في الأمة بانعزاليتهم وأسرهم للغرب الاستهلاكي، دون الاعتبار بقدراته الوحدوية والعلمية، وبارتباطهم بالفكر الصهيوني الجارف في كل وسائل التواصل الاجتماعي، أضاعوا ثقافتهم وحضارتهم ودينهم الإسلامي، والمسيحي في منطقتنا، كما أضاعوا مفاتيح قوتهم، تماما كالغراب الذي حاول تقليد مشية الحمامة فلم يستطع، فأضاع المشيتين.

العرب وفلسطين والإقليم

من منطلق عدم التدخل، واحترام الدول وشؤونها الداخلية، ودعم الإجماع العربي (ولو في حدّهِ الأدنى)[174] ودعم الثورات،

ترى وحدة المصير كما بالنموذج الأوربي الاقتصادي القوي من خلال الاتحاد الأوربي، ولا يجدون في النماذج الاتحادية (الفدرالية) العالمية القوية أي حاجة للسير على نهجها، بحيث أن (سايكس بيكو 1916م) و(سان ريمو 1920) أصبحت بالنسبة لهم قدرا يعني أن كل دولة منعزلة كليا عن خلقها وقيمها ودينها ومصالحها الحضارية المشتركة.

173- كما وينظّر هؤلاء الانعزاليون العرب ضد الأفكار الجامعة معتبرينها عواطفًا تافهة ووجدان سخيف! في ظل أن الاستهلاكية حسب قولهم والمصلحية الذاتية هي الأساس؟! ولا يعلمون أن الكيان الصهيوني قد بني دعائيا/إعلاميا ومازال على العواطف والوجدان (رغم كذبه وخرافيته) بل وعكسوا هذا الوجدان والعواطف (الكاذبة والخرافية) على هؤلاء حتى نسوا مشيتهم.

174- الالتزام بالحد الأدنى من الإجماع العربي يأتي في سياق مقررات الجامعة العربية،

والشعوب وشؤونها في أو طانها، وقفت الثورة الفلسطينية وحركة فتح مع الثورة الإيرانية (1979م) فكانت أول المرحّبين بها بل ومن الداعمين لعديد الرجال في مساراتها دعما لفلسطين، فكان (يوم القدس)[175] الذي أعلنه الإمام الخميني اقترابا أصيلاً من فلسطين وقضايا الأمة عامة عبر القدس، ما لم يمنعها من التردّد في الموقف من الحرب العراقية الإيرانية، [176] فوقفت الثورة الفلسطينية وحركة فتح

التي كانت قديما مجرد بيانات ولكن لها من القيمة الأخلاقية أن لم يتم الخروج عليها علنًا، إلا حديثا منذ العام 2019 في سياق تمزيقها كليا ومد اليد للإسرائيلي في مخالفات واضحة للمقررات تحت مسمى إنعزالي تفكيكي هو أن القرار للعلاقة الاستتباعية مع الإسرائيلي هو قرار «سيادي»!؟ رغم مساسه المباشر بقضية فلسطين أي بعضو آخر بالجامعة العربية، ورغم تناقضه الفاضح مع مقررات الجامعة (مثل المبادرة العربية عام 2002 مبادرة الملك عبد الله بن عبد العزيز، وقمة القدس في الظهران في السعودية عام 2018 وقمتي تونس ومكة عام 2019) التي رأت التتبيع تاليا وتابعا لقيام دولة فلسطين على جزء من أرض فلسطين.

175- الإعلان جاء بعد 6 أشهر من عودة الإمام الخميني إلى إيران وبعد أربعة أشهر من قيام «الجمهورية الإسلامية» أي في تموز من العام 1979م لإثبات حضور القضية الفلسطينية والقدس في فكر الإمام، واليوم لم يكن خاصاً بالمسلمين، بل يوماً عالمياً (كما يضيف موقع دار الولاية) «ولعل في ذلك إشارة إلى إعطاء الإمام للقضية بعدها العالمي، كنموذج للصراع بين الحق والباطل، وهذا ما عبر عنه الإمام والذي سيتضح من دلالات يوم القدس» ويقول الخميني نصا حول هذا الموضوع: «يوم القدس يوم عالمي، ليس فقط يوماً خاصاً بالقدس، انه يوم مواجهة المستضعفين مع المستكبرين». ويقول قدس سره: «انه يوم مواجهة الشعوب التي عانت من ظلم أمريكا وغيرها للقوى الكبرى» مضيفا: «يوم القدس يوم يجب أن نخلّص فيه كل المستضعفين من مخالب المستكبرين، يوم يجب أن تعلن كل المجتمعات الإسلامية عن وجودها وتطلق التحذيرات إلى القوى الكبرى». -أنظر موقع http: //alwelayah. net/?p=26807.

176- حرب الخليج الأولى أو الحرب العراقية الإيرانية، أطلق عليها من قبل الحكومة العراقية آنذاك اسم قادسية صدام بينما عرفت في إيران باسم الدفاع المقدس (بالفارسية: دفاع مقدس)، هي حرب نشبت بين العراق وإيران من سبتمبر 1980 حتى أغسطس 1988، خلفت الحرب نحو مليون قتيل، وخسائر مالية بلغت 400 مليار دولار أمريكي، دامت الحرب ثماني سنوات لتكون بذلك أطول نزاع عسكري في

بالبداية محايدة في محاولة لرأب الصدع، إلى أن ظهرت مطامع النظام الإيراني جليّة، هذه المطامع التي ظهرت لدى الحُكم المطلق بالهيمنة الإقليمية وتصدير الفكر السياسي السلطوي (دستور الجمهورية الإسلامية في إيران يلزمها بالتدخل لحماية المستضعفين في العالم)، الذي تريد حقنه قسرًا في جسد الأمة، ما كان معناه أن نكون مع أمتنا العربية والإسلامية وإما ضدها-عدا عن تدخلاتها اللاحقة في جسد الأمة وفي الساحة الفلسطينية- فوقفت القيادة الفلسطينية بوضوح ضد التدخلات الإيرانية في الشأن الفلسطيني، وفي الشأن العربي سواء في العراق أو سوريا أو اليمن أو غيرها، مع الاحترام لسيادتها الوطنية وعضويتها في الأسرة الإسلامية العامة وفي الإقليم.

وفي ذات الفهم العروبي الجمعي ينطبق الحال على الجارة تركيا (وغيرها) التي لا يُقبل منها التعدي على أراضي الأمة العربية، أو شعوبها، أو الاستقواء عليها بأي شكل من الأشكال السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية أو غيرها.

ضد مبدأ الاحتلال

رغم موقف القيادة الفلسطينية، من احتلال الكويت عام 1991 الذي تم من قبل النظام العراقي، الذي شابه التذبذب أو عدم التفهّم من بعض الأشقاء، وتكثيف الإدانات الظالمة، إلا أن حقيقته بأجمعه كان ضد مبدأ الاحتلال لأي دولة عربية أو جزء منها، واللجوء لحلّ عربي كما رأى عديد القياديين فيها، فيما انبرى آخرون لرفض الاحتلال

القرن العشرين، وواحدة من أكثر الصراعات العسكرية دموية، أثرت الحرب على المعادلات السياسية لمنطقة الشرق الأوسط وكان لنتائجها بالغ الأثر في العوامل التي أدت إلى حرب الخليج الثانية والثالثة (عن الموسوعة الحرة.

للأرض دون تحديد شروط الحل أو بالابتهاج بالأجنبي.

وفي جميع الأحوال إن فُهِم الموقف أنه كان خاطئًا، فلقد عبّرت القيادة الفلسطينية الرسمية عن اعتذارها عن ذلك الموقف، ليتم التأكيد الجليّ بالالتزام بمقررات الجامعة العربية ومقررات الأمم المتحدة التي لا تقبل الاعتداء على أراضي أي دولة أخرى أو احتلالها.

ومن هنا كان منطق الثورة الفلسطينية عامة وحركة فتح في السعي الدائم للحفاظ على الإجماع العربي (في الإطار العربي-الجامعة العربية بالحد الأدنى، لا انصياعًا للأمريكي أو الأجنبي الغازي).

إن الإجماع العربي-وإن بحده الأدنى يقف ضد الاعتداءات الإقليمية التي أساسها من العدو الصهيوني، ويتداخل معها اليوم مصالح سياسية واقتصادية وهيمنة من دول إقليمية استغلت الفراغ العربي القيادي، وهي الأنظمة التي لا يصدها إلا محور عربي وحدوي جامع ذو ثقل له مشروع واضح ضمن أهداف واضحة وخطة طريق، وليس الحل بالانسحاق تحت أقدام المحور الأمريكي وعدو الأمة الأول الكيان الصهيوني.

إن لم يقف العرب عامة ضد فكرة الاحتلال للأرض أولاً، وفكرة الاحتلال للعقل والاقتصاد والجغرافيا والتاريخ والثقافة الجامعة، فإنهم سيجدون أنفسهم شاءوا أم أبوا جزءًا من **الاستباحة الصهيونية** التي تعمل بمنطق التوسع في جسدنا قطعة قطعة، حتى يصل الأمر بالجماهير في مراحل متقدمة أن تستمرئ وتستحلي الاختراق الصهيوني الاقتصادي-الثقافي! وتعاف منتجاتها العربية المحلية أو العربية البينية! فتبور أسواقها، ويزداد فقر فقرائها، وتفقد مكون رئيس آخر من مكونات قوتها![177]

177- بدأت حالة الاستحلاء والاستمراء للمنتجات المادية والثقافية الصهيونية

إن استقرار الاحتلال الاقتصادي الصهيوني في بلدان الأمة يضرّ مباشرة بمصالحها الاقتصادية الوطنية والقومية، فلا ينفع أصحاب مقولة: أن الزمن زمن مصالح دعواتهم الانعزالية، تلك الدعوات التي تهمل ارتباط الاحتلال الصهيوني بالاقتصاد، وبتدمير ثقافة الآخر والهيمنة عليه، واستناده بكل قوة يملكها لاستخدامه حصان طروادة في جسد الأمة.

إن لم تصحُ الأمة بدولها وشعوبها قبل فوات الأوان، وتتنبّه لقدراتها الهائلة وتسعى جاهدة باتجاه امتلاك مفاتيح القوة الفكرية الثقافية والحضارية والاقتصادية والعلمية الجامعة عبر تطوير قدراتها البشرية والعقلية والاقتصادية والزراعية الهائلة، بل والتقانية ضمن مشروع متكامل فإنها بلا شك مقبلة نحو مستقبل مظلم في ظل التكالب على الأمة مما قاله رسولنا الكريم.

فما بالنا والتكالب علينا قد ارتبط بالصهيوني والأمريكي والفكر الغربي الاستتباعي، ومن دعى له من البُلداء وانعزاليي الأمة اليوم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، فقال قائل: ومِن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن»، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن ؟ قال: «حب الدنيا، وكراهية الموت».

بما يتسابق عليه الانعزاليون العرب من شراء منتجات الصهاينة ومنها منتجات المستعمرات؟! المدانة عالميا ومن الأمم المتحدة؟! بشكل غير مسبوق، وتوقيع عدد من الاتفاقيات الضارة سياسيا وثقافيا، مثل الدعم والمشاركة في نادي صهيوني رياضي معادي للعرب في شهر ديسمبر عام 2020م!

إن الانحناء العربي الرسمي (ومن ورائه الإسلامي) أمام سطوة المنتج الاقتصادي الغربي هو استمراء للجهل واستمراء للاحتلال الثقافي المرتبط بالمنتج الاقتصادي، في مقدمة لاحتلال الأرض العربية! فما بالك حين يكون الاحتلال الصهيوني هو قطار الاحتلال الداهم في جسد الأمة، وبإرادة أبنائها؟[178]

الثورة الفلسطينية والقطار العربي

وقفت الثورة الفلسطينية وعلى رأسها حركة فتح ثابتة في السياق الوحدوي في إطار المنظمة (م. ت. ف)، عندما انطلقت شرارة ما أسمى «الربيع العربي» وتعاملت مع إفرازاته حتى عندما لم تعجبها، فوقفت هنا مع إرادة الشعوب ضد الظلم والاستبداد والفُرقة، لأن إرادة الشعوب أهم من بقاء أو زوال الأنظمة السياسية أو رموزها، ما لا يعني تدمير الدولة وتفتيت الشعب وتقسيم الأمة.

قوة «المحور العربي» أو القطار العربي هذه الأيام كأولوية تتجلى حقيقته برأسه السعودية وبمصر وسوريا والجزائر، وقلبه النابض بالقضية الفلسطينية وفلسطين.

فإن كانت سوريا قد أخرجت من المعادلة بالقوة، كما أُخرِجت

178- حسب وزير الخارجية الأسبق جيمس بيكر فإن ما يهم أمريكا في الشرق الأوسط فقط شيئان لا ثالث لهما هما: «إسرائيل»، والنفط. ومع الترامبية أعطى الرئيس الأمريكي الأرعن للإسرائيلي اعترافا دينيا بروايته الخرافية، وأسقطها على أغبياء الأمة ليتبونها! كما أسقط من على أجندة العرب والمسلمين القدس باعترافه بها عاصمة للكيان! ولم يعترض أحدهم بل وقعوا مع الإسرائيلي على تطبيع بلدانهم للسيد الجديد! وأسقط ترامب اللاجئين، كما أسقط مبدأ إدانة الاحتلال بإهداء الجولان إلى الإسرائيلي، وأيضا بإقرار أن الضفة الغربية جزء من أراضي الإسرائيلي؟ فأين السلام وأين الوعي! وأنّى للغثاء أن يفهم حجم ذِلّته!؟

العراق ودول أخرى لأهداف تعظيم القوة الإسرائيلية وسطوتها على الإقليم، ولأهداف استمرار السيطرة الاستعمارية والهيمنة الاقتصادية والصناعية والثقافية الحضارية على أمتنا برأس حربتها الصهيونية إلى الأبد، إلا أنه كان لزاما على البقية من أمة العرب في مثل هذا الظرف الكئيب **الحفاظ على الوحدة الحضارية، أو استعادتها وإن بشكل تدريجي أو بشكل جديد يقتدي بالنموذج الأوربي أو الروسي**[179] **كمثال، ثم التعبير عنها بالتصدي للهجمات في جسد الأمة أولا وقبل كل شيء عبر مسارات العلم والتعليم والتربية والوعي والنور وهو النموذج للبناء الحضاري، وبالكفاح والمقاومة ضد العدو المشترك وضد الهيمنة الأمريكية**، وبتوقي محاولات الهيمنة الإقليمية.

العلاقات القومية الفلسطينية-العربية ليست علاقات ذاتية «شوفينية» أو عنصرية أو انعزالية مطلقا، ترتبط بالجنس أو العرق أو القبيلة، أنما هي علاقات تفاعل حضاري وعلاقات مكانية تفاعلية تاريخية/حضارية ثقافية، مصلحية قومية بصبغة تعاونية تشاركية وحدوية اقترابية للكثير من المشتركات.

إن العلاقات القومية الفلسطينية-العربية علاقات حضارية لا تحد من ضرورة تمتين العلاقات الأخرى مع دول الإقليم ومع دول المحيط أي تلك الإفريقية أو الآسيوية، ومع الدول الإسلامية غير العربية وعلى رأسها إيران وتركيا في سياق سليم، وكذا مع المنظمات والجماعات.

بل إن **الفناء العربي السمح ذو العمق العروبي-الإسلامي بكافة مكونات منطقتنا (الأمازيغية والكوردية، وغيرها) يستطيع بجامعية**

179- نموذج الاتحاد الأوربي، ونموذج الاتحاد الفدرالي الروسي الذي نشأ بعد تفكك الاتحاد السوفيتي.

فلسطين أن يستقبل الإسهامات التي تُقرّب ولا تبعّد، ويستطيع أن يُصعِد في مركَبه الواسع كل الثوار في العالم.

القضية الفلسطينية، المحمولة على بحر فلسطين العربية منذ الأزل والى الأبد، هي تلك الممتدة من ساحل عكا وحيفا ويافا وأسدود وعسقلان وغزة.

إن القضية الفلسطينية هي القاطرة التي لا تسير إلا بالقطار العربي[180] بحقائق الأرض والجماهير والتاريخ ومشروع المستقبل الواحد، وتَعْبُر محطات الدعم والمساندة في الأمة الإسلامية وجميع أحرار العالم.

وأن فلسطين الدولة على الجزء كقاطرة لا تسير إلا في القطار العربي، فلا يجوز للقطار صاحب المشروع أن يتخطاها أبدًا، لأن بوصلته بدونها تكون قد انحرفت. والقاطرة الفلسطينية بدون القطار العربي تقف عند المحطة منتظرة!

180- لسنوات طويلة ظهر التعارض والتضاد بين الفكرتين، وهما فكرة القومية العربية والفكرة الإسلامية، رغم أن الأولى كفكرة كانت بالأساس جامعة ونهضوية، والثانية أيضا باعتقادنا في سياقهما الرحب، لا المغلق كما طبقتا، هي فكرة عروبية رحبة كما فهمها ساطع الحصري وميشيل عفلق (أبو محمد)...الخ، وربما كما فهمها حسن البنا المصري العربي الإسلامي. في صياغة أعيد تركيبها من المتطرفين الإسلامويين أنها مضادة للعروبة أو القومية العربية وكذلك الأمر من أصحاب الفكر العربي القومي الشوفيني. وطال الصراع هذا القرن العشرين، حتى استفاق النهضويون من الطرفين على فكرة التلاقح بين التجارب في الإطار الحضاري العربي والإسلامي، وأن الفكرتين متعاضدتان في إطار الرحابة والانفتاح والتنوع المقبول، ما دامت الدعوة للتعاون والترابط والوحدة الاقتصادية أو الحضارية المجتمعية أو السياسية في إطار احترام التنوع الوطني هو الأساس. ويخاصمك في هذا العصر أولئك البُلداء والانعزاليون الذين يدعون لإبقاء تفكيك الأمة ودولها إلى شظايا منفصلة أبدا، تحت مظلة الانفصالية/الانعزالية العربية أو الإقليمية العربية دون احترام عوامل الترابط العديدة في جسد الأمة وفي عصر لا يقبل إلا القوي ولا يقبل إلا التكتلات.

العرب والتطبيع[181] قبل الدولة

لا يمكن أن يكون المبرر عند العرب للجري وراء الإسرائيليين المحتلين بشكل محموم فيما يسمى التطبيع أو التتبيع -وهو في حقيقته التحالف المختل بين السيد والعبد-أن الفلسطينيين يتعاملون مع الإسرائيليين! كحجة لعملية التطبيع المجاني المتسارعة عربيًا مع الإسرائيلي.

الفلسطينيون يتعاملون بأشكال مختلفة مع الاحتلال الجاثم على أنفاسهم-وان بصدور شامخة وعقل وفعل مقاومة يومي- وهي أشكال فرضتها وقائع الأرض من جهة، أي نتيجة القوة العسكرية الغاشمة، وفي شق آخر بالاتفاقيات الموقعة وغير الموقعة سواء تلك الاتفاقيات السارية في غزة أو في الضفة.

هذه الاتفاقيات على جدليتها، وسلبياتها، وباعتبارها كانت ممرّا إجباريا، أو خيارا لا بد منه حينها، هي ليست ذات مقارنة مطلقًا مع من يمتلك إرادته الحرة كدولة أو شخص أو جماعة، وعليه فان القياس على طريقة تعامل العرب الفلسطينيين الواقعين تحت الاحتلال مع الإسرائيليين المحتلين لفلسطين ليست ذات صلة مع وضع أمة العرب، ودولها «المستقلة» نظريًا.

قد تصح المقارنة إن اعتبر بعض القادة العرب أنفسهم تحت

181- فكرة التطبيع بإقامة العلاقات السياسية والدبلوماسية مع الإسرائيلي، والاقتصادية، جاءت في المبادرة العربية في ختام المبادرة، التي تشترط لحدوثها تحقق الاستقلال الفلسطيني على أراضي العام 1967 من فلسطين، ولم يكن في الوارد الانسحاق والهرولة تحت الهيمنة الصهيونية ثقافيا وفكريا وفي الرواية التاريخية وما سيتبعه حضاريا مما هو حاصل اليوم! ومن خلال دعوت بعض «المثقفين» بالسلام الحار! وليس البارد كما في مصر والأردن!

الاحتلال الصهيوني، وهم بذلك يصبحون ملزمين بالتنسيق والتعاون لإدخال الخضار والفاكهة والحليب، وملزمين بتصدير منتجاتهم أو تلقي الماء والكهرباء وموجات الهواء من الهاتف والإذاعة والتلفزة... الخ، من الإسرائيلي أو بأمره، ومعدات البناء والمصانع وتنقل الناس!

بمعنى آخر أن كل دولة عربية أو غير عربية أو شخص أو جماعة تعتبر ذاتها تحت الهيمنة والاحتلال والسطوة الإسرائيلية فهي ملزمة بالأمر الواقع التعامل مع الاحتلال، في درجات سلّم تبدأ من الصمود والمقاومة، وصولًا إلى درجة الانسحاق الكلي والاستسلام.

رغم أن **فهم التعامل مع الاحتلال القائم في فلسطين، من كل الفلسطينيين مهما اختلفوا سياسيًا، لا يعني الارتماء والانسحاق تحت أقدام الإسرائيلي، بل يعني -تعامل نختلف في حدوده وشكله ومواضيعه...الخ- تعامل في ظل الرفض للاحتلال بالمقاومة المتصلة، وبسعي دائم للانفكاك من هيمنته الاستعمارية والفكرية والتاريخية والقانونية، وليس ما يحصل من ارتماء لا يُقارن، ارتماء عربي مجاني بلا حدود.**

لقد اتخذت الجامعة العربية قرارها الشهير باعتماد المبادرة العربية (منذ العام 2002)[182]–وكان ياسر عرفات محاصًرا في رام الله ومنعه العرب من الحديث المباشر للقمة!-وهي المبادرة التي ترفض أي علاقة مع الاحتلال والاستعمار الإسرائيلي (باستثناء دول الطوق عمليًا) إلا بعد إنجاز تحقيق الاستقلال الوطني لدولة فلسطين القائمة بالحق الطبيعي والتاريخي والقانوني، وهو ما كرّره الرئيس محمود عباس أبو مازن حتى بُحّ صوته بالقول بضرورة تطبيق المبادرة العربية

182- وتم التأكيد على المبادرة العربية للعام 2002م، لاحقا في القمم العربية كلها والتي منها قمة القدس في الظهران عام 2018، وفي قمة تونس وقمة مكة العام 2019.

من الألف إلى الياء، وليس العكس بمعنى أن الفلسطينيين يستقوون بالظهير العربي (في حده الأدنى عبر قرارات الجامعة العربية) الذي يبدو أنه يتشقق وينكسر بسرعة مذهلة.

الانجرار وراء الوهم الإسرائيلي والتطبيع المجاني، أوالتساقط العربي الرسمي في حضن الهيمنة والسيطرة الإسرائيلية التي يظن فيها المتساقطون الانعزاليون أنهم يسايرون (موضة) الانصياع للرئيس الأمريكي المثير للجدل «دونالد ترامب» أو لأمريكا عامة، والذي واجهناه فلسطينيا بصفعة{لا} ضخمة ناءت ظهور العرب من حملها، سيكتشفون أن الطاغوت الإسرائيلي هو الجزّار الأشد فتكًا من الذئب، والذي سيجرّدهم آجلا أم عاجلا، من كل أموالهم وكرامتهم وعروبتهم، فيحتل عقولهم وذائقتهم وعيونهم وشعوبهم وأرضهم، وهي أرضنا.

من افترض من السياسيين «البراغماتيين» تعظيم المصالح الآنية لدولته[183] والخوف على عرشه الأصل والأولوية فهو لا يهمه الا أن يأخذ القرار بقصر نظر ضاربا بعرض الحائط الجوامع الاستراتيجية، وقرارات القمم العربية ومصالح الأمة التي قلبها فلسطين، أو هكذا نُحسن الظن[184] دوما بأمتنا العربية وشعوبها الأبية كما نحسنه مع أحرار العالم.

يلتمس البعض العذر لبعض الدول العربية وأنظمتها الرسمية أن تنساق للتطبيع المجاني في المسلخ الإسرائيلي بتطبيق القاعدة المعكوسة من الياء إلى الألف أي بشكل مقلوب للمبادرة العربية!

إن نظرنا بعجب واستغراب ورفض للمنطق الرسمي أعلاه

183- يقول خالد الحسن إن: («الفلسفة البراغماتية» التي تمثل قاعدة التفكير الرأسمالي ككل، تعني منفعتي أولا والحل الوسط في حالة العجز عن الانتصار في الصدام ثانيا).

184- نُحسِن الظن هنا، بألا نتهمهم بالتهم الجارفة والمجازفة للمتطرفين كالخيانة.

للتطبيع العربي المجاني الانسحاقي، بدلاً من دعم فلسطين والتضامن معها، فمّما لا يُعذر مطلقا ولا تحت أي مبرر هو أن يقبل إنسان عربي أو مسلم أو مسيحي بحرّ فكره أن يعتقل عقله ويقيده للاستعمارية والعنصرية والاحتلال الصهيوني، وهو يضحك كالأبله تماما!

ما لا نفهمه أبدا أن يؤجر المثقف والمفكر والعالم والكاتب والإعلامي العربي عقله للإسرائيلي، ويتغنى بالاحتلال فيكتب فيه قصائد المديح؟ فيتبنى روايته وتضليلاته وأكاذيبه التي وعاها الأوربيون! وبدأ بعض المسلمين والعرب بدلاً من تعميق وعيهم، ينهارون تباعاً.

إن خطوات الانسياق لمسلخ الاحتلال الطوعي أو لمسلخ الذبح الصهيوني بالتطبيع أو التتبيع أو التحالف المجاني يعني أن هؤلاء القادة العرب أو بعض المثقفين الانعزاليين، يحفرون قبور بلادهم بأيديهم التي ستكون بنفس سياق الاحتلال القائم في فلسطين.

يقول الكاتب أحمد الحاج في سياق رفض التطبيع المجاني[185] أن: (مهمة الجزار هي إقناع الخراف بأن الذئب هو أكبر خطر يتهددها أملا بأن تنتظم في طوابير طويلة من دون اعتراض ولا صخب ولا ضجيج ولا حتى محاولة التفكير بالهروب من الحظيرة وهي في طريقها إلي... المجزرة، كل الطغاة المستبدين يفعلون ذلك ويصنعون عدوا أو يضخمونه لسوق شعوبهم إلى المجزرة ولو بالاستعانة بذئب مستأجر له حصة من غنائم ما بعد السلخ).

185- من مقال للكاتب احمد الحاج في موقع كتابات على الشابكة.

الأمة والتقارب والنهضوية.

رغم كل ما مر بنا من نكسات وأزمات وكبوات، جزء منها بأيدي عربية رسمية، ورغم سيرنا في طرق مليئة بالأشواك كما كان يردد الخالد ياسر عرفات، إلا أننا نحن العرب، ونحن الجزء الذي يشكل الحربة، والطليعة، ومقدمة الرمح للأمة الذي يقاتل ويجب ألا يتوقف عن الجهاد والنضال والمقاومة ممثلا للأمة، حيث الرباط والصبر والمصابرة كما كان من شأن الإشارات الواضحة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم.[186]

وكما كان يردّد المفكر خالد الحسن نحن القاطرة التي لا تسير إلا في القطار العربي الذي به ينعقد لواء التحرير لفلسطين العربية.

رغم كل الأزمات، فإن كل من يتنطّع من شعبنا الفلسطيني أو من أي شعب عربي آخر أو من أي شعب بالعالم لشتم أي من شعوب الأمة، أو فئات أو أديان أو طوائف فيها، أو يتنطّع لشتم أي دولة عربية فهو إما مستهتر أو جاهل أو بليد أو مسيّر.

وكل من يتنطّع لشتم فلسطين، أو الثورة الفلسطينية بإجماليها دون تبصّر وبعيدا عن مفهوم النقد العلمي كارِه لنفسه، مستعرّ من تاريخه، متغرب عن وطنه.

وكل من يظن أن الشتم بوابته الواسعة نحو الشهرة وتجميع الإعجابات (likes) في وسائل الإعلام، ووسائل التواصل الاجتماعي

186- قال رسول الله عليه وسلم: ((لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: ببيت المقدس، وأكناف بيت المقدس))، وهو الحديث الشريف الذي لم ينفك الخالد ياسر عرفات في ترداده حتى استشهد.

الإلكتروني، على حساب الأمة هو وباء لا ينفع معه إلا العزل والتباعد الاجتماعي والنبذ.

إن كل من يستعذب الطعن بالعروبة برماح طوال قد خرج عن الصف ليصافح يد ذاك المستعذِب للطعن في الإسلام أو في المسيحيين فينا.

كل من يجلس في بيته ومن وراء شاشة الحاسوب أو الهاتف النقال ليشعل حريقًا ضد هذا البلد أو ذاك لتسويق مقطع شريط مرئي ما أنتجه، أو لجذب عدد أكبر من المتابعين هو يخدم أسيادًا زعيمهم الأكبر هو الإسرائيلي حتماً، ويخدم أصناما جُبلوا على الحرب ضد الأمة بكل مكوناتها.

فما بالك بذاك الجاهل والمستهتر والمستعذِب الذي يضخّم السخيف فيجعله قضية، ويسخّف العظيم فيدوسه تحت قدميه؟

لن نكون أدوات حرب ولا قنوات تباعد اجتماعي أو ثقافي أو روحي أو فكري ولن نكون إمّعات وعصيّ في معركة (فتوات وبلطجية) ولا ناقلي وقود لحرب هي دمار لوحدة وقيم وتآلف أمة اللسان العربي من الشرق إلى الغرب بعربها وكوردها وأمازغييها[187].

لا يكتفي المتنطعون من استلال الخبائث حتى من صلب أنصع صورة، فهم يتفننون في اختيار القبائح حتى يظهر لك تاريخ الأمة أسودًا كلّه، وحاضرها كالحًا، ومستقبلها ذليلا. فما بالك بأولئك الانعزاليون

187- الأخوة من القومية الكوردية يكتبونها هكذا أي كوردية وليس كُردية، والأمازيغ هم من يطلق عليهم العامة خطأ اسم البربر في المغرب الكبير، وهم إخواننا الأمازيغ الذين احتضنوا الإسلام والذين شكلوا جزء عظيم من تاريخ وتراث وحضارة الأمة في الماضي واليوم، وفي تأصيل تاريخي لعديد من المؤرخين أن أصولهم جزيرية أي منسوبة للجزيرة العربية.

الذين ينكرون ثم يدعون لإسقاط كل فكر وثقافة وحضارية الأمة؟!

لا، ليس بالشيء الهين أن نرى سيل التشاتم الموبوءة ضد هذا البلد أو ذاك بطريقة إجمالية وتحقيرية عنصرية بعيدا عن أجواء النقد لذات الموقف، وفي حدوده، لا للبلد أو الشعب أو الرموز.

وما هو بالشيء المقبول أن يعتدي أحد على أي من دولنا أو شعوبنا في المغرب أو تونس أو مصر أو السعودية أو فلسطين أو الأردن أو الكويت أو السودان أو البحرين وغيرها.

ليس مقبولا من أي كان أن يستغل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي[188] فيعمل مثل الجرافة (البلدوزر) التي تطيح بما أمامها مهما كان، على نمط بلدوزرات الاحتلال الصهيوني التي تهدم بيوت الفلسطينيين يوميا وتقتلهم، وبالمقابل تبنى البيوت في صدورنا للمستعمرين القادمين من البعيد.

ليس مقبولا بأن يجعل أحدهم من إساءة بضعة ممثلين أو منتجين أو كتّاب أو مدوّنين أو شعراء أو إعلاميين مدخلا للطعن بالجميع لا. فكل قضية تؤخذ بحجمها ووقتها وشخوصها، فالتخصيص بالنقد للمواقف والأحداث أولى من التعميم ليطال الشخص المعني وابن عمه وجيرانه والقبيلة والبلد.

ما زالت عقلية المستعمِر وفي مقابلها المستعمَر المنبهر به سائدة في أذهان الكثيرين الانعزاليين الذين يتمنون سقوط عروبتهم ودينهم

188- تسيطر وحدة 8200 الصهيونية الإسرائيلية على عقول الانعزاليين العرب وتنخر في عظام الأمة باللغات المختلفة وفي مقدمتها بالطبع العربية، وهي فيلق وحدة الاستخبارات الإسرائيلية المسؤولة عن التجسس الإلكتروني والمسؤولة عن قيادة الحرب الإلكترونية في الجيش الإسرائيلي ضد الأمة العربية وشعوبها جميعا، وغيرها ممن تصنفهم أعداء أو يمكن استقطابهم كما حصل مع انعزاليي الأمة المتصهينين.

وبلدانهم وقيمهم بمقدار انبهارهم واستخذائهم (ذلهم) تحت أقدام أولئك الذين يخوضون الحرب ضدنا منذ زرعوا الكيان في فلسطين بعيد مؤتمر «كامبل بانرمان» (1905-1907) وقُبيله وحتى الآن.

بل ويعبّر انعزاليو العرب عن انبهارهم بالصهيوني ذاته! من عديد الزوايا وعلى رأسها الاقتصادي التقاني العلمي في مظنّة أنهم قادرون على الاستفادة من الصهاينة! ضمن علاقة ندية أو تعاونية! وسيخيب ظنهم بكل تأكيد، فالمشروع الصهيوني يتمدّد بكل الأدوات بالاحتلال واستتباع الآخرين له، ولا يأبه لجهل الانعزاليين، أو سقوطهم الحضاري تحت أقدام التوسع الصهيوني.

ذكرت الدراسات عام 2018م[189] أن: (هناك مخاوفُ واضحةٌ ومعقولةٌ من أنّ «إسرائيل» ستلتهمُ الأسواقَ العربيةَ مُستقبلاً، وهي تعملُ منذُ أو قاتٍ مُبكّرةٍ على أن تكون القوّةُ الاقتصاديةُ العالميةُ في المنطقة)!

وهذا ما ظهر بكل جلاء ضمن سياق اتفاقيات التطبيع المجاني/ التتبيع عام 2020م التي أسقطت فلسطين كليًا، ما كانت تسمى حتى أيام قليلة من التوقيعات المهرجانية أنها (القضية المركزية للامة)! وأدرجت نفسها في مربع الارتماء بحضن الإسرائيلي من حيث أنها تبنت روايته الكاذبة والخرافية المتعلقة بفلسطين والأمة من جهة.

تدخل الدول العربية المطبّعة مع الصهيوني إلى غرفة الإعدام الاقتصادية الصهيونية التي ستركب السوق العربي ولن تنزل عنه، بل وستخترقه بكل ما لديها، بقوتها العسكرية والأمنية والاقتصادية

189- أنظر دراسة إسلام موسى عطا الله في موقع باب الواد تحت عنوان: التقانة (التكنولوجيا) الصهيونية مدخلاً للتطبيع: تطوّر «إسرائيل» التقاني =التكنولوجيّ، في 2018/8/14م.

والعقلية والإعلامية فتحقق «إسرائيل» مما يدعونها من الفرات إلى النيل إلى بحر العرب!

كما هو لون العلم الصهيوني الأزرق (إشارة للنهرين: من الفرات إلى النيل) وربما حاليا للبحرين أي من الخليج إلى المحيط!

لا يمكن لأمة أن تنهض بعقلية الاستهلاك والتكديس والتبعية للآخر سياسيا أو ثقافيا أو اقتصاديا.

ولا أمة تنهض بالاستهتار والشتائم والطعن والاتهامات المتبادلة، وليس لقلّة موبوءة أن تقود إلا من أسماهم رسولنا الكريم إمّعات فقط[190].

نحن بالثورة الفلسطينية، وفي الأمـة العربية بجماهيرها العريضة الواعية، وبالوطن وصمود الشعب ننهض بالوعي وبالعلم والفكر والاقتصاد والصناعة المشتركة ضمن مشروع متكامل يشكل مفاتيح القوة اليوم.

وننهض بالنقد العلمي والإبداع، وننهض بالحرية التي تكتّف الاستبداد. وحيث أن (الاستبداد في القيادة هو نتيجة حتمية ولازمة للعجز الفكري والإحساس الداخلي بالعجز والهزيمة أيضا).

نعم وقبله ننهض بالحب والتآلف والثقة، والتقارب الاجتماعي، وبالفهم والوعي الذي يعني عميق الاطلاع والمرجعية الحضارية الصلبة فلا نخاف النقد بأصوله المحترمة، ونتقدم نحو المستقبل بخطوات واثقة.

190- قال عليه السلام: «لا تكونوا إمَّعَة تقولون: إن أحسن الناس أحسنّا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطِّنوا أنفسكم: إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا»

الجماهير وثبات المكونات

نعلم يقينا أن مفاهيمًا كثيرة قد سقطت، ومنها الشيوعية بمنطقها الاستبدادي، والقومية بمنطقها الشوفيني، والإسلاموية بفكرها المتطرف.

ولكن أسس قيام الأمة العربية أو العربية الإسلامية بالإسهامات العربية المسيحية في بلادنا، واستمرارها كأمة لا يمكن أن تنهدم، فهي أسس نشأت وتوسعت بعلاقات الجماهير وتفاعلها المنفتح الحيّ مع المكان والتجاور والثقافة والحضارة واللسان على كتفي الصراع العنيف والسلمي معا.

لذلك فإن **مكونات الأمة على تنوعها الجميل لا يمكن أن تكون شيئا عابرا أو رمزية قابلة للاندثار، بل هي أبرز وأهم مكونات الانتماء الجمعي الأصيل والشعور بالاعتزاز وأحد أبرز عوامل بناء المستقبل القوي القادر على الحياة في ظل تكتلات سياسية أو اقتصادية لا تعترف إلا بالأقوياء والشركاء القادرين على حماية أنفسهم.**

الأمة التي تجمعنا هي أمة ذات جماهير امتزجت تاريخيا، وفي المساحة الجغرافية المشتركة المتوزعة على جناحي الوطن الجامع شرقا وغربا بين قارتي آسيا وإفريقيا، وفي هذه المساحة التي كانت تتوسع في أحيان أخرى نمت الحضارة، وفي إطار الصراعات، فقامت الحروب والمصالحات وتذبذبت العلاقات هبوطا وصعودًا ولكنها ظلت في ذات المكان واللسان والتفاعل، وازدهرت الثقافة المنفتحة ذات القدرة على استيعاب المختلِف وتشكلت هذه الحضارة للأمة من عديد المكونات التي جعلت لها سمة واضحة محددة، تعرفها منها وتحتاج منّا في فلسطين وفي العالم العربي عامة لوعي وتنشيط ونشر وبناء قوي

نتحدى به المستقبل.

إن العلاقة مع الجماهير يجب أن تكون علاقة تشاركية ديمقراطية تواصلية وتبادلية بين قيادة الفكر والسياسة والمجتمع، وبينها بكافة أطرها. نتعلم منها ونعلمها ونتحسس متطلباتها وتكون العلاقة معها على مسافة التفهم والتعاون والعطاء.

الجماهير الحرة هي الجماهير القادرة على صيانة فكر الأمة الجامعة ومكوناتها، لأنها تصبح جماهيريا تحمل قضية فلا تنفلت حين ضعف العلاقة القيادية-الجماهيرية لتجري وراء مصالحها الآنية المحلية أو الاستهلاكية.

يقول المفكر خالد الحسن[191]: (عندما تقطع الصلة مع الجماهير تنقطع الصلة فوراً مع القضية القومية، وستتحول الجماهير ولو مؤقتا عن القضية إلى الذات، فتصبح الغرائز هي اليقظة، وعندما تستيقظ الغرائز يصبح الاستهلاك هو محور التفكير، مجتمع بقضية، يقوده عقله في سبيل القضية وتصبح الغرائز تابعة لا قائدة... لحركة الفرد والمجتمع، أما إذا زالت أو تقلصت القضية فإن الديناميكية المجتمعية الجماعية تتفتت، وينتهي الموقف النضالي الجماعي المنظم للشعب... ويصبح الموقف الجماعي يعبر عنه بمجموع مواقف الأفراد التي تقودها الغرائز، وهي بالنهاية المتعة والاستهلاك).

الأمة والحبل الوثيق

من المهم أن يكون لدينا كفلسطينيين وكعرب قيادات وجماهير بكافة تشكيلاتها سعيٌ واضح للفهم، كما السعي للتغيير الإيجابي

191- خالد الحسن، من يحكم الآخر أمريكا أم «إسرائيل»، أوراق سياسية، صدرت في العام 1981 وهو لقاء مع الكاتب مع صحيفة الأنباء الكويتية حينها.

وامتلاك المشروع العربي النهضوي، لأن المدخل لأي خطوة صحيحة نحو التقدم هو الوعي والفهم، وعليه فإن التبني لأي مشروع ومبادئ يكون مرتبطًا بالتفكر والتأمل، والاستفادة من التاريخ والتجارب مادام التغيير هو الهدف.

إننا نحتاج لربط جماهير الأمة العربية، ومن ورائها الإسلامية بحبلٍ وثيقِ الالتفاف حول مبادئ أو مقومات منها:

1. التاريخ الجامع، والجغرافيا المتصلة.
2. العلاقات الاجتماعية الممتدة، واللسان العربي الجامع،
3. الحضارة والثقافة الديمقراطية المشتركة،
4. الحرية[192] والكرامة والعدالة، وقبول التنوع في الإطار العربي الجغرافي المنفتح.
5. «الفهم» الرحب للفكر الإسلامي في منطقتنا، وبمسيحيينا،
6. وضمن مركزية فلسطين كوعاء جامع.
7. والارتباط بالمفهوم الوحدوي كتكتل سياسي، و/أوتكتل مصلحي اقتصادي تكاملي لهذه الأمة.
8. المفهوم الإنساني والتقدمي في التطور، وتحقيق المستقبل الواعد، والدول المدنية في الوعاء الجامع.

كل هذا في الدائرة المكونة لجدار الأمة العربية الأول وهو الجدار الحامي لمركزية فلسطين وقضية فلسطين وتحررها، يلي ذلك المحيط الإقليمي المجاور كدائرة لاحقة.

192- يقول المفكر العربي الفلسطيني خالد الحسن: قاعدة الحرية... اذا لم تصبح حقيقة قائمة في واقعنا العربي ولدى القيادة العربية، فستبقى الجماهير مكبوتة تحس بعبودية قد تتحول إلى استمراء إذا أخذت وقتا طويلا.

وإن لم يوجد من يتبنى مثل هذه الفكرة أو المشروع أو المقومات فذلك لا يقطع بعدم صلاحيتها، وإنما اختلاف النظرة منها، وجاهزية أو قدرة حامليها على نشرها أو غرسها.

حُسن التقبل للفكرة يحتاج لدعوة ولأطر جامعة ويحتاج عوامل ذاتية وموضوعية إن لم تتوفر الآن، قابلة للتوفر مستقبلا في ظل متغيرات الإقليم والعالم الداهمة فالعالم لن يظل محكوما بدولة واحدة مهما تجبرت، والفجر القادم مع أكثر من رأس أو رأسين فأين نحن منهم؟.

اختفى مفهوم التحليل الأحادي للتاريخ، أو المتغيرات ذاك التحليل الذي يرتبط بعنصر موحد واحد، وذلك لأن تشابك واجتماع مجموعة من العناصر الفكرية والميدانية الواقعية مع النشاط التنظيمي-الفكري الداخلي ضمن البوابة المفتوحة على المتغيرات هو القادر على إحداث الفرق والتغيير وصنع التاريخ.

الإسلام وتعدد الأفهام

حين النظر للرسالة في عمق البناء الموحد، فإن مفهوم الدين الإسلامي الحنيف هكذا مجردًا كأحد عوامل التماسك في الأمة سواء العربية أو الإسلامية قد لا يكون بين معتنقيه خلاف، ولكن الخلاف الحقيقي في اتجاهات ثلاثة رئيسة:

الأول: طريقة الفهم، ومنه تنشأ التيارات

والثاني: في الاستغلال، وهو ما تقوم به غالب الأنظمة السياسية، والمتطرفين فداء للكرسي والمصلحة وأوهام الخلود.

والثالث هو في إدراك معنى التنوع وجماليته في ظل الصراع وقبول التعددية.

وعليه نستطيع كأمة عربية أولًا، وأمة إسلامية ثانيا أن نستخدم المقوّم أو العامل الأساس (الدين) ليس مجردًا، وإنما مرتبطا ب{الفهم {أو} الاستغلال {أو} الإدراك السليم للتنوع} فيتوفر لدينا عاملان من ثلاثة وهما لوحدهما لا يفسران حركة التحشيد أو التجميع والتوحد لإحداث التغيير.

إذ لابد لنا كثورة فلسطينية وكعرب من النظر في عوامل أخرى كثيرة تتعلق بالمستهدفين بالفكرة، وطرائق تحشيدهم لينتظموا، وطبيعة القوى المتحكمة بالمجتمع...الخ، ما يحتاج هنا لعامل الربط والتشبيك وتوسيع مساحات الاتفاق والأطر القائمة.

وبالقطع فإن عامل ضخ مجموعة من القيم والمبادئ قد يمهّد أو يقترن بالعوامل الجامعة السابقة لتُحدث التغيير بالمجتمع أي مجتمع.

لذا فان نظرية ماركس-لينين التي حبلت بالتفسير الطبقي ولدت فناءها من ذاتها متى ما تجمّدت، كما الحال في النظريات الإسلاموية الإقصائية الجديدة سواء التي تستخدم الناس وتستغلهم تحت رداء الدين شعارا بلا مضمون، أو تستغله لهدف مصلحي سلطوي للبلد أو التنظيم أو الزعيم وهي الغالب فإنها تحمل بذور فنائها في داخلها.

إن نظرية تكامل العوامل أو تضافرها وفق فهم صحيح للمرحلة القائمة، وفي إطار الوعي بالمتغيرات الداخلية والخارجية، وتتبع مسار المتغير الاقتصادي والثقافي الفكري وعبر توسيع الوعاء في فهم التناقضات وإحسان التوازن بينها هو القادر على إحداث الفرق.

قد يسأل سائل أين كل هذا الفكر النظري من التطبيق؟

سؤال مشروع، ولكن مشروعيته إن استندت لنظرة أحادية العوامل في التفسير، أو لِوَهم أن لا حركة للتاريخ، وإنه مجرد أحداث تكرر نفسها! أو لعدم وجود إدراك واعي لحقيقة قوى التغيير وتحليلها بالضرورة ستنتج فهما منحرفا أو خاطئا.

لذا فان التمهيد للفكرة أو الرسالة أو المشروع، ثم التبشير أو كليهما مراحل هامة يتبعها التحشيد للانتظام في إطار قبول التنوع لتحقيق النشر والتوسع، ما يقتضي مد الخيوط وإمساك العقل عن التناقضات الثانوية، وتكريس النظرة باتجاه ثابت وبخطى متعرجة (تكتيكات) ضمن السير في حقول الألغام.

الاحترام في علاقاتنا العربية

من وجهة نظر العروبة المنفتحة التي تجمعنا وإخواننا في كل الدول العربية بالجغرافيا والتاريخ والنسب والأرض واللسان العربي والدين (عرب وأمازيغ وكورد) ومسيحيين ومسلمين عرب، قد نختلف معا في كثير من الأمور، ولكن يجب أن تنبع أولويتنا من قضايانا الوطنية المندغمة في الإطار الحضاري الجامع، وعبر الاهتمام بدائرتنا العربية هو الأولى والأهم.

نحن كعرب (وكل دول العالم فيما بينها) ما يهمنا هو من يتعامل معنا، خاصة من جيراننا الإقليميين، بالقواعد الثلاثة الرئيسة لعلاقات الدول أي:

* بالاحترام المتبادل، وصون الاتفاقات والكلمة الجامعة

* وحُسن الجوار، وعدم التدخل بالشؤون الداخلية للآخر.

* والتبادل الاقتصادي العادل.

الاستقلالية الوطنية جزءٌ من كلّ

نحن الفلسطينيون بتمسكنا باستقلاليتنا، جزء من كل، أي أننا جزء لا يتجزأ من الحضارة العربية الإسلامية وبالإسهامات المسيحية في بلادنا، وبالفهم التقبّلي التعددي المدني المتسامح.

ونحن أولًا جزء لا يتجزأ من الأمة العربية، كما هي الحقيقة التاريخية والحضارية، وكما علمنا ياسر عرفات وخالد الحسن وصلاح خلف وجمال عبد الناصر، والملك فيصل بن عبد العزيز وهواري بومدين والشيخ عبد الله السالم الصباح، والشيخ زايد... وغيرهم من القادة السياسيين وغير السياسيين الكثير، لذا فمركبنا لاتسير للتحرير إلا بهم، أي بإخواننا.

فنحن منهم وهم منّا شاء من شاء وأبى من أبى، ومن يغضب على عائلته حتى وأن كان محقًا في غضبته لا يُطلق عليها النار أبدا، إلا من انتمى لقطاع الطرق، أو من كان أحمقا أو غبيّا أو ذو دماغ تعرض للغسيل.

وكذلك الأمر حيث وجب أن تُفهم السيادة أو الوطنية المنفتحة (وليس الانعزالية) في كافة الدول العربية أنها تجتمع حيث مصلحة الأمة الجماعية لا تحيد عنها، وتبدي أولوية في استقلاليتها في شؤونها الداخلية[193].

193- ظهر حديثا مع الهرولة نحو الصهيوني عام 2020م مفاهيم انهزامية تقول: أن لكل دولة عربية حقها بالسيادة! ولو أضرت هذه السيادة المفترضة بدولة عربية أخرى، أو بالقرارات الجامعة وخاصة من خلال الحد الأدنى المتفق عليه في الجامعة العربية، وذلك تبريرا للمنطق السلطوي الرأسمالي النفعي البراغماتي المهرول نحو

إن من يركب معنا المركب على قاعدة الاحترام المتبادل وحُسن الجوار والتخلي عن الاحتلال، ودعم فلسطين العربية، وعلى قاعدة الإنصاف والتوازن من أخواننا في الأنظمة السياسية عامة أو قياداتها من أحزاب، فأهلًا بهما دومًا، فالمركب يتسع لكل الأحرار.

لكن ما لا نتقبله كعرب فلسطينيين من إخواننا العرب جميعًا، ومن جيراننا الإقليميين-مهما اختلفنا بالتحليل والنظرات- أمور خمسة

أولا: لا نقبل أن تكون فلسطين كرة يتقاذفونها فداءً لمصالحهم، أي هذه الدولة أو تلك، أو فداءً لهذا الزعيم (أو الحزب) أو ذاك.

وثانيا: لا نقبل أن يبيعوننا شعارات عظيمة، ولكنهم يفتحون شريان الاقتصاد بالمليارات مع التناقض الرئيسي أي الإسرائيلي! فلا حرب ولا سلام ولا سياسة تتناقض مع الاقتصاد واتجاهاته مطلقا، وإنما تتكاملان معًا ضد التناقض الرئيسي، وهما معًا جزء من الصراع، وإلا لكنا قد اتخذنا من الغباء السياسي دينًا لنا.

ثالثا: كما نحترم إستقلالية قرار كل دولة في حدودها الوطنية، أي بما لا يؤثر بتاتًا على أي دولة أخرى، نطالب بالمثل، وما يجمع العرب في الإطار العام قرارات الحد الأدنى.

رابعا: يجب تكريس فهم مركزية قضية فلسطين العربية، بتعريف الأولوية، وتعريف معنى الدعم وتعريف معنى العدو الرئيس العدو المركزي، الذي ينتهب ثروات الأمة ويحتل بلدانها وعلى رأسها فلسطين، ويخترق قلب الأمة السياسي

الإسرائيلي، بالدفع الأمريكي.

والاقتصادي والثقافي ليحولها لجثة هامدة، أو مساحات تابعة تبعية كاملة للهيمنة الصهيونية.

أما خامسا: فلا نقبل، ولا نفهم معنى استغلال الدين من أي دولة أو أي طائفة بالمنطقة، أو من أي قائد أو حزب أو سياسي، والثروات تتراكم هنا وهناك والشعارات الإسلاموية المثالية تطيح بالمساكين من الإمعات الذين لطالما خُدعوا وما يزالون يُخدعون بالشعارات ليصفقوا لهذا أو ذاك دون أن يزيلوا الغشاوة من على عيونهم.

نحن كعرب فلسطينيين، وبغض النظر عمّن يناقضنا أو يختلف معنا بالرأي فهذا شأنه ونحترمه في إطاره، فلن نصفق لا لهذا النظام السياسي ولا ذاك مطلقًا، فعيوننا فقط على فلسطين.

من يريد أن يركب مركب التحرير لأراضينا العربية وعلى رأسها فلسطين، بشروط الصعود للمركب من الإيمان والتضحية، فأهلا وسهلا به، وإلا دعوهم ينظّرون ويصفقون للساحر الأمريكي-الإسرائيلي، أو لهذا النظام الإقليمي أو ذاك النظام العربي كما يشاؤون.

إن فلسطين القضية المركزية الجامعة لمناضلي الأمة، والعالم هي قضية فوق الجميع ويجب أن تكون فوق أي خلاف، في إطار الرسالية والنضالية والديمومة، والله ناصرنا، وهذا جهاد نصر أو استشهاد.

انتهى

خاتمة الكتاب

في الربط بين الفكرة القابلة للحياة بالتسوير المعرفي حولها، والتحشيد الجماهيري من أجلها وبين صوابية الفكرة وعدالتها ناظمٌ من العمل الدؤوب من خلال الرُعاة والرُسل حملة المشاعل من الرجال الأفذاذ الثابتين على الحق.

الحق هو الممثل للفكرة المحمولة على الأعناق، ومن حيث أن العمل الدؤوب بكافة الأبعاد يصنع الجهاد أو الكفاح لتحقيق الفكرة القضية بهزيمة الغول الإمبريالي والصهيوني عبر إنزالها من الواقع المتخيل في العقل كأمل، أو هدف إلى حالة التطبيق العملي في واقع الحياة.

إن لزومية الربط بين الفكرة-القضية والعمل-الإنجاز، وبين أصحاب الرسالة أو حملة المشاعل تمثل ديمومة لا تعرف الكلل. وتعرف هذه الديمومة معنى القيم الإيمانية وعلى راسها التضحية والإيمان الحتمي بالنصر.

وتمثل اللزومية الرابطة معادلة واضحة متكونة من: عمل وفكر ومبشّر.

إن الفكرة الحضارية الرسالية الجامعة للأمة بكافة عناصرها القومية والوطنية، والدينية هي فكرة الأمة التي تموضعت جغرافيا في وسط العالم القديم لتتخذ في آسيا وافريقيا جناحين يحتضنان القلب منها وهو فلسطين.

عملنا في هذا الكتاب على التنقل بين ثلاثة مساحات متقاطعة ومتصلة هي مساحة الفكرة الحضارية بحملة المشاعل من الرساليين،

وبوسطية الفكرة الرحبة ووسطيتها الجغرافية القيمية التاريخية العادلة التي تمثلها فلسطين، وبحالة الاحتضان العربي الواسعة التي تمهد للنمو الحضاري الثقافي ثم الإزهار.

حاولنا أن نبين في كتابنا هذا ضرورة الربط العميق بين القضية المركزية في العقل، وبين الوعاء الجامع والامتداد البشري، ومن حيث هي الفكرة الأساسية الجاذبة، أو البوصلة الكاشفة للانتماء الوطني الحضاري الوحدوي.

إن فلسطين هي مفتاح الربط للأطر والأفكار والجماعات، وهي لُباب ديمومة رسالة المحيط الحضاري الرحب والذي يتوقف نموه على أكتاف الرساليين من المناضلين الذين يواجهون في هذا الزمن حالات لا تخفى من الهزائم والإحباطات والنكبات التي لولا عِظم المهمة وأخلاقيتها وعدالتها لما استطاعت أن تنهض بها الأكتاف لتحقيق النصر القادم بإذن الله.

المحتويات

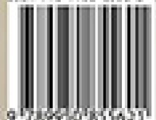
فهرس الباب الثاني

فهرس الباب الثالث

من ثوابت الفكر الثوري العربي الفلسطيني هو تكثيف النقاط الداخلة في نطاق الدائرة الأولى والدائرة الأولى هي الدائرة المحيطة بنا أي المحيطة بالمركز، وعدم إلقاء المخالفين في البحر الواسع البعيد عن دوائرنا الثلاث الرئيسة، وإنما خوض الصراع معهم وبهم، بما يعيد الضم للدائرة الأقرب، فالنصر يتأتى من معادلة الإيمان والعمل والدعم والإسناد من هذه الدوائر-على اختلاف درجة تأثيرها ومستوى دعمها- بلا أدنى شك.

إن الدوائر المحيطة بالقضية الفلسطينية كمركز تنبه للوعي القومي ولأحرار العالم، والوعي الحضاري، والوعي الوجودي، والوعي التحرري ترتبط بفكرة النضالية والرسالية والديمومة والثورة حتى تحقيق النصر.







دار الأمين للنشر والتوزيع